

مقدمة الباحثة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد

فإن خير ما تبتذل فيه الجهود وتقضى فيه الأوقات هو عمارة الدنيا بالطاعات والسعي لبلوغ الآخرة بصالح الأعمال. وقد دلت الشريعة الغراء على أن العلم من القربات التي افترضها الله على عبده، فقد أمر الله عز وجل نبيه وخليفه محمداً ﷺ بالعلم في أول آية أوحى بها إليه فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [علق: ١]

وأبان عز شأنه وتقدس أسمائه ما أعده للعلماء من الرفعة يوم القيامة فقال ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المائدة: ١١] وفاضل سبحانه وتعالى بين العلماء وغيرهم فقال ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ١٧]. وأوضح تبارك وتعالى أن العلم هو داعية خشيته فقال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [طه: ٢٨].

والآيات الدالة على فضل العلم وأهله العاملين به كثيرة جداً في كتاب الله تعالى. وقد تظاهرت الأحاديث النبوية الشريفة على الحث على طلب العلم والترغيب فيه وبينت ما أعده الله لطلاب العلم من خير في الدنيا وثواب في الآخرة. ولو شئنا أن نتبع هذه الأحاديث لأعيانا حصرها لكثرة ما ورد منها في السنة المطهرة. وقد أورد العلماء والأئمة كثيراً من هذه الأحاديث في ثانيا مصنفاتهم، وقام العلماء بلفراد مصنفات خاصة تبين فضل العلم وأهميته في الإسلام^(١).

(١) أنظر مثلاً كتاب العلم للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي المتوفى ٢٣٤هـ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر المالكي فقد أحسنوا وأجادوا رحمهما الله تعالى.

قلت: والعلم المقصود في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إنما هو العلم الشرعي لا غيره، إذ أن كل علم سواه إنما هو تبع له يؤدي صاحبه حسب جهده. فقولُه عز شأنه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

يعني العلماء من أئمة الدين والشرعية لا أصحاب العلوم الدنيوية التي ليس لها تعلق بأحكام الدين، فهؤلاء لهم ثواب العمل لا ثواب العلم والمعرفة. قال الله تعالى: ﴿أَشْرَفَ مَوْقِنَتْ إِتْنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَآئِ الْبَشَرِ﴾ [الزمر: ٩]

وقد أشار ناظم هذه الجوهرة العلامة حافظ بن أحمد الحكيم في منظومته القصيدة الميمية في الآداب العلمية إلى ذلك فقال :

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ١. يا طالب العلم لا تبغى به بدلا | فقد ظفرت ورب اللوح والقلم |
| ٢. وقنس العلم واعرف قدر حرمة | في القول والفعل والآداب فالتزم |
| ٣. واجهد بعزم قسوي لا انشاء له | لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم |
| ٤. والنصح فابذله للطلاب محتسبا | في السر والجهر والأستاذ فاحترم |
| ٥. ومرحبا قل لمن يأتيك يطلبه | وفهم احفظ وصايا المصطفى هم |
| ٦. والنية اجعل لوجه الله خالصة | إن البناء بغير الأصل لم يقم |
| ٧. ومن به يتغي الدنيا فليس له | يوم القيامة من حظ ولا قسم |

ولما كان العلم الشرعي بهذه المثلة فقد وُجِّهت إلى دراسته وتقديمه على غيره من العلوم رغبة في تحصيل المعارف الشرعية محبة لها باذلة لها طاقتي وجهدي ما استطعت ، ولما كان تصحيح المعتقد هو أهم العلوم والمعارف إذ به يعبد العبد ربه وخالفه على بصيرة وعلم، فقد وُجِّهت أيضاً لدراسة العقيدة في مراحلها الدراسية داخل وخارج المملكة وقد كان من توفيق الله ونعمته علي أن انتدبت بعد تخرجي من الدراسة الجامعية من التعليم العام إلى الكلية المتوسطة بصامطة ومن توفيق الله لي أيضاً أن اخترت من قبل عمادة الكلية لتدريس مادة العقيدة ، وبعد مرور سنتين رأيت أنه لا بد لي من التزود بالعلم والمعرفة في هذا المجال بصورة أدق وأعمق فتقدمت لهذه الكلية بطلب الالتحاق بها لمواصلة دراستي العليا فكان ما ترونه اليوم من هذا الجهد المتواضع والله الحمد والمنة.

وكان من توفيق الله تعالى لي أن وقع اختياري على منظومة الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لتكون موضوعاً لبحثي لنيل درجة الماجستير في العقيدة، وقد اخترت هذا الموضوع للأسباب التالية :

١. مكانة الناظم العلمية ، فهو عالم فذ ، وناطقة فريدة شهد له القاصي والداني ممن تتلمذوا على يديه أو قرأوا له.

٢. إبراز جهد الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في الحفاظ على عقيدة السلف والدفاع عنها.

٣. احتمال المنظومة على أصول الدين، بالاعتماد على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول.

٤. موافقتها لمنهج أهل السنة والجماعة، وردّها على أهل البدع والأهواء وإبطال أقوالهم.

٥. تعرضها لبعض المذاهب المعاصرة والرد عليها.

٦. عرضها للعقيدة السلفية بأسلوب معاصر سهل جامع موجز تسهيلاً وتقريباً لطلاب العلم.

٧. أنها لم تشرح من قبل فرأيت أن أقوم بمجهدتي المتواضع بشرحها خدمة للعقيدة السلفية وتحقيقاً للنفع والفائدة منها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة :

وتتضمن أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، والمنهج المتبع فيه.

القسم الأول : الدراسة

المبحث الأول : التعريف بمؤلف المنظومة .

المبحث الثاني : منهج المؤلف في تقرير العقيدة.

المبحث الثالث : التعريف بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها.

المبحث الرابع : منهج المؤلف فيها .

المبحث الخامس : مصادر المؤلف التي اعتمد عليها.

المبحث السادس : موقف المؤلف من المبتدعة من خلال هذه المنظومة.

القسم الثاني :

التحقيق والشرح :

المبحث الأول : وصف النسخة المخطوط والنسخة المطبوعة والمعتمدة في التحقيق والشرح .

المبحث الثاني : المنهج المتبع في التحقيق والشرح ويشتمل على :

- (١) قراءة النص ومقابلة نسخ المنظومة وإثبات الفروق في الهامش.
- (٢) تقسيم النص إلى وحدات موضوعية كما قسمه المؤلف.
- (٣) شرح النص شرحاً علمياً بالاعتماد على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول.
- (٤) بيان معاني المفردات الفريدة.
- (٥) الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
- (٦) ذكر بعض أقوال السلف الصالح في المواضع التي قد تحتاج لذلك.
- (٧) الرد على أقوال أهل البدع والأهواء وإبطال أقوالهم.
- (٨) الترجمة للأعلام غير المشهورين.
- (٩) التعريف الموجز بالفرق الواردة في النص.
- (١٠) عمل الفهارس المتنوعة .
- أ / فهرس الآيات القرآنية .
- ب / فهرس الأحاديث النبوية .
- ج / فهرس الآثار .
- د / فهرس الأعلام .
- هـ / فهرس المصادر .
- و / فهرس الموضوعات .

الخلاصة :

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث ، وبعض التوصايا العلمية التي أراها نافعة في

هذا المجال.

والله ولي التوفيق .

القسم الأول

(الدراسة)

(المبحث الأول)

التعريف بالشيخ حافظ الحكمي

- المطلب الأول اسمه ونسبه وقبيلته .
- المطلب الثاني مولده ونشأته .
- المطلب الثالث صفاته الخلقية والخلقية .
- المطلب الرابع نبوغه وأسبابه .
- المطلب الخامس شيوخه .
- المطلب السادس تلاميذه .
- المطلب السابع آثاره العلمية .
- المطلب الثامن شعره .
- المطلب التاسع وفاته وورثاء العلماء له .

التعريف بالشيخ حافظ الحكمي

(١٣٤٢-١٣٧٧هـ) (١٩٢٣-١٩٥٨م)

يعد الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي من كبار علماء الإسلام في العصر الحديث، وقد نبغ الشيخ في مجالات العلوم الشرعية المختلفة من فقه وأصول وحديث بجانب اللغة والنحو والأدب، ولم تقتصر شهرة الشيخ حافظ على بلاده بل تعداها إلى جميع البلاد الإسلامية فصار اسماً من بين أسماء العلماء الأعلام، ولا أدل على ذلك من أن العلامة خير الدين الزركلي أدرجه ضمن من ترجم لهم في موسوعته المعروفة (بالأعلام) وهي أكبر موسوعة ترجمة لتوايف العرب والمسلمين منذ الجاهلية حتى القرن الرابع عشر الهجري، ولمكانة الشيخ حافظ العلمية المرموقة ودوره في نشر العقيدة الصحيحة فقد أفرد له الباحثون مجموعة من الكتب والمقالات التي ترجمت له، ولا تزال الدراسات عن الشيخ حافظ وجهوده مستمرة حتى اليوم^(٢).

اسمه ونسبه وقبيلته :

هو حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن مین بن علي بن مهدي بن أحمد بن الحسين بن علي بن صغير بن علي بن محمد بن علي بن عبده بن عبد الهادي بن صديق بن الطاهر بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي الأصغر بن محمد بن علي بن عمر بن عثمان بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الواحد بن الشيخ محمد العواجي بن أبي بكر الحكمي الأكبر.

(٢) أفرد كتاباً عن حياة الشيخ حافظ الحكمي كل من أحمد بن علي علوش المدخلي في كتاب (الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب) وزيد بن محمد بن هادي المدخلي في كتاب (الشيخ حافظ الحكمي، حياته وجهوده العلمية والعملية) وقد ترجم للحكمي أيضاً الزركلي في الأعلام ١٥٩/٢ وأحمد بن حافظ الحكمي في مجلة العرب ٣٣٩/٧ وفي مقدمة معارج القبول (الطبعة الثالثة) ومحمد بن علي السنوسي في مجلة المنهل (الجزء الأول / مجلد ١٩) وهناك أخبار متفرقة عن الشيخ في عدد من المؤلفات التي تحدثت عن النهضة العلمية في الجنوب مثل كتاب النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي لعمر بن أحمد جردي المدخلي وكتاب السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي لعلي بن قاسم بن مایسان الفیلي وغيرها.

هذا أبعد ما وجد من نسب الشيخ حافظ ، وهي نسبة صحيحة لأن الشيخ كتبها بخط يده ، وقد أوردها عمر بن أحمد جردي المدخلي في كتابه النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية وعلي بن قاسم بن سليمان الفيفي في كتابه السمط الحاروي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي^(١) وأحمد بن علي علوش مدخلي في كتابه عن الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي^(٢) وابنه الدكتور أحمد الحافظ الحكمي في مقدمة كتاب معارج القبول^(٣) . وأما زيد بن محمد بن هادي المدخلي فقد اكتفى في كتابه عن الشيخ بذكر جده الأول علي بن أحمد^(٤) وكذلك الزركلي في الأعلام^(٥) .

وأما نسبة الحافظ فهي : الحكمي ، وهي نسبة إلى الحكم بن سعد العثيرة بن مذحج (أشهر وأعظم قبيلة من شعب كهلان) بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٦) ويتنسب إلى هذه القبيلة كثير من العلماء والمصلحين منهم :

- الشيخ صديق بن أبي بكر الحكمي (ت ٨٧٣هـ) .
- والشيخ الهادي بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي (ت ٩٣٩ هـ) .
- والشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي (ت ٩٧٧ هـ) .
- والشيخ علي بن صديق الحكمي (ت ٩٨١ هـ) .
- والشيخ عمر بن عبد القادر الحكمي (ت ٩٨١ هـ) .
- والشيخ أبو القاسم بن مهدي الحكمي (ت ١٠٦٦ هـ) .

(١) السمط الحاروي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي لعلي بن قاسم بن سليمان الفيفي ص ٩٧ الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٣٨ تأليف أحمد بن علي علوش مدخلي ، مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

(٣) مقدمة معارج القبول ، الطبعة الثالثة .

(٤) الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٣٣ ، دار علماء السلف - الإسكندرية ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(٥) الأعلام للزركلي ١٥٣/٢ دار العلم للملايين ، بيروت - الطبعة السابعة ١٩٨٦م .

(٦) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٣٨ . انظر : معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ٢٨٦/١ مؤسسة الرسالة : الطبعة السادسة ١٩٩١م .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى - بقرية السلام التابعة لمدينة المضاي الواقعة بجنوب المملكة العربية السعودية لأربع وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان سنة ١٣٤٢ هـ وانتقل مع والديه وهو صغير إلى قرية الجاضع وعمل في رعي غنم والده مع أخيه الأكبر محمد الحكمي، بدأ حافظ في حفظ القرآن الكريم وقراءة بعض المتون أثناء رعي الغنم وكانت نفسه تترع للتعليم والتفقه في الدين ، وفي تلك الأيام جاء إلى المنطقة الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي قادماً من نجد لنشر العلم والعقيدة السلفية بالجنوب ، فلما سمع به حافظ كتب إليه رسالة بعثها مع أخيه محمد يخبره فيها برغبته في العلم، وفي سنة ١٣٥٩ هـ التقى الشيخ القرعاوي بحافظ لأول مرة فأعجب به وبذكائه فطلب من والديه الإذن ليصطحبه للدراسة بمدرسته بصامطة . ولكن الأبوين لم يأذنا له بذلك لحاحتهما له في رعي الغنم ، وبعد عام من ذلك - أي في سنة ١٣٦٠ هـ - توفيت والدته حافظ ثم تبعها أبوه في نفس العام وهو قادم من الحج، وهنا تفرغ حافظ للعلم فلاحق بالشيخ عبد الله القرعاوي بصامطة فاحتفى به الشيخ في مدرسته . ومن ذلك التاريخ بدأت رحلة حافظ مع شيخه عبد الله القرعاوي، ولم يمض سوى سنوات قلائل حتى كان حافظ أعلم تلاميذ مدرسة صامطة مما جعل الشيخ القرعاوي يوكل إليه وضع مقرر الدراسة وتأليف المتون العلمية للطلاب، وكان أول عمل قام به حافظ هو تأليف منظومة (سلم الوصول في علم الأصول) ، وقد تم كل ذلك في وقت قياسي لم يتسن لأحد من أقرانه .

وفي سنة ١٣٦٣ هـ أي بعد ثلاثة سنوات من التحاق حافظ بمدرسة صامطة أوكل له الشيخ عبد الله القرعاوي إدارة المدرسة وتفرغ هو للتجول على بقية المدارس التي أنشأها في المناطق المجاورة^(١).

وفي سنة ١٣٦٦ هـ حج الشيخ القرعاوي وقابل ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز وكبار المسئولين عن التعليم ، وفي أول المحرم سنة ١٣٦٧ هـ استدعى الشيخ عبد الله القرعاوي حافظ إلى مكة وزوجه ابنته تكريماً له ولعلمه^(٢).

(١) السط الحواوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ .

تجول الشيخ حافظ في كل من السلامة العليا من قرى ييش وأم الخشب ومدينة صيبا ومدينة
ضمد، وكان في كل مدينة يدخلها يلقي الدروس على طلبة العلم ويقرأ عليهم الأمهات الست
فأفاد الله به خلقاً من الناس.

وفي عام ١٣٧٢هـ تم تعيين الشيخ حافظ مديراً لمدرسة جازان التابعة لوزارة المعارف
فاستمر في إدارتها وتربية طلابها حتى تأسس المعهد العلمي بصامطة سنة ١٣٧٤هـ فتولى إدارته
والتدريس فيه وتأليف مقرراته ومناهجه ، واستمر على ذلك حتى وافاه الأجل المحتوم سنة
١٣٧٧هـ^(١).

صفاته الخلقية والخلقية .

كان الشيخ حافظ -رحمه الله- ربعة أسمر اللون ، مستدير الوجه ، مفلج الأسنان ، خفيف
اللحية والعارضين أقرن الحاجبين^(٢).

وكان -رحمه الله- آية في الورع والزهد وخشية الله ، مع الاشتغال بما يعنيه من علم
وتدريس وتأليف وعبادة ، وكان حسن المعاملة مع جميع الناس على اختلاف طبقاتهم ومراكزهم ،
ولذلك أحبه الناس ووقروه بما لا مزيد عليه من توفير العلماء ، قال زيد بن محمد بن هادي المدخلي
(وكنا نستدل بذلك التقدير والاحترام والمحبة والطاعة الشرعية على أن الله قد وضع له القبول في
الأرض بعد أن أحبه وأحبته الملائكة في السماء، وجعل له لسان صدق يذكر به أيام حياته وبعد
مماته ، إذ هو بحق وصدق قدوة حسنة ومثال يحتذى في صدق التعامل مع الله خالقه وبارئه وحسن
التعامل مع عباد الله على اختلاف طبقاتهم وثنى مستوياتهم^(٣)).

وقال عمر بن أحمد جردي المدخلي (هو مربوع القامة ، أسمر اللون ، خفيف اللحية، قوي
البنية، نشيطاً صحيحاً في بدنه ، مرحاً مع زملائه ، كان يداعبهم ويغلبهم ، وكان أمراً بالمعروف
وناهياً عن المنكر ، كان مساعداً للشيخ عبد الله ومساعداً في دعوته ويتجول على مدارس الشيخ

(١) الشيخ حافظ الحكيم ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٤٤ .

(٢) الشيخ حافظ الحكيم حياته وجهوده العلمية والعملية ص ٣٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣ . وانظر أيضاً السط الحاروي ص ١١٧ .

علي حمار اشتراها لهذا الشأن ، وكان حافظ مع الشيخ عبد الله بمحلة الروح من الجسد لا يخالف له أمراً (١٤).

وقال أيضا في موضع آخر من كتابه (كان - رحمه الله - زاهدا عن الدنيا عازفا عنها همه وهمة طلب العلم وتعليمه وبيانه للناس قولا وعملا ، ومن زهده لم يشغل نفسه بالدنيا ولا بحطاسها ، ولا يجمع المال منها (١٥).

وقد حفظ لنا مترجموا الشيخ حافظ أبياتا قالها ردا على أحد الذين امتدحوه ، وهذه الأبيات تكشف لنا عن نفسية الشيخ واعتزازه بالله وحده وزهده في مدح الناس إذ هو لا يعلم ما له عند الله ، أو بما يحتم الله له ، وهذا شأن الورع الذي يرجو الله ولا يأمن مكره . يقول الشيخ في هذه الأبيات وهي من نفس بحر وروى القصيدة التي مدح بها (١٦):

- | | |
|------------------------------------|------------------------------|
| ١. عادت عليكم تحيات مضاعفة | أما المديح فمالي حاجة فيه |
| ٢. ولست أرضاه في سر ولا علن | ولست أصفي إلى من قام بنشبه |
| ٣. إذ يورث العبد إعجابا يسر به | وما جناه من الزلات ينسبه |
| ٤. ما لي وللمدح والأملأ قد كتبوا | سعى جميعا ورب العرش محصيه |
| ٥. ولست أدري بما هم فيه قد سخطوا | وما بقى أي شيء صانع فيه |
| ٦. وما اغتراري بأهل الأرض لو مدحوا | وفي السماوات ذكرى لست أدريه |
| ٧. إياكموا أن تعبدوا مثلها أبدا | فاستقبل النصح مني حيث أمله |
| ٨. لكن على خير من هذا أدلكموا | إن تقبلوه فما شيء يساويه |
| ٩. دعاكموا لي يظهر الغيب لا سيما | وقت الإجابة في الأسحار تلفيه |
| ١٠. والنصح للمسلمين أبذل له مبتغيا | وجه الإله به للدين تحية |
| ١١. والعرف فأمر به والمنكر أنه عنه | وكن لله حيك والبغض اجعلن فيه |
| ١٢. بدون ذا لم تسئل قط ولايته | فإن ربك مولى من يواليه |
| ١٣. والحمد لله مع أزكى الصلاة على | خير الأنام وصحب ثم تاليه |

(١٤) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٦٩ .

(١٥) المرجع السابق ص ١٨٣ .

(١٦) المرجع السابق ص ١٨٠ والسقط الحارثي ص ١١٧ ، والشيخ حافظ الحكيم حياته وجهوده العلمية والعملية لأزيد بن محمد بن عادي المدخلي ص ٣٨ .

فهذا الشعر من أنفس ما قيل في هذا المعنى، وقل أن نجد من العلماء من رفض مدح الشعراء وعلل رفضه بهذه الفصاحة والوضوح والعلم، أما العامة من الناس وأصحاب الرئاسات والوجهاء وأصحاب المناصب الدينية فإنهم يسعون لمدح الشعراء بكل حيلة ويدلون لهم الأموال الطائلة نظير ما يمدحونهم به رجاء أن يخلدوا أسماءهم في كتب الأدب ، وهم في ذلك لا يبالون بما قاله الشاعر إن صدقاً وإن كذباً ، وما يفيد مدح الشاعر إذ كان الممدوح ممن لا وزن له عند الله؟ وما يضر محاسنهم إذا كان المهجو من أولياء الله؟ .

نوعه وأسبابه :

عاش الشيخ حافظ الحكمي خمسة وثلاثين عاماً إذ ولد سنة ١٣٤٢هـ وتوفي سنة ١٣٧٧هـ، وبعد هذا العمر قصيراً بالنسبة لأعمار كثير من علماء الأمة، ولكن الحكمي برغم قصر عمره حقق ما لم يستطع المعمرون تحقيقه، فحس بحجته بعد سنوات فقط من التحاقه بمدرسة الشيخ القرعاوي يصل إلى مرتبة كبار العلماء والمؤلفين في علوم الشريعة وهذا ما لم نسمعه إلا عن أفاض العلماء في التاريخ، ولا شك أن الله تعالى قد وهب الحكمي من الذكاء وقوة الحافظة فوق ما أعطى الآخرين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هناك قصة تروى بشأن نبوغ الحكمي تقول أن امرأة صالحة من أشراف مدينة صامطة - وهي أم الشريف منصور بن حمود مكرمي والشريف أحمد بن حمود مكرمي - رأت فيما يرى النائم كأن الليل مظلم ظلمة شديدة وإذا هي بلبن يصب في فم ولد مستلق على ظهره في دار خلوة طياش والد الشيخ ناصر بن خلوة، وقد عبرت هذه الرؤيا فيما بعد أن اللين هو العلم السافع وأن الولد المستقي هو حافظ بن أحمد الحكمي، وذلك لأن المدرسة التي قرأ فيها حافظ بيت بدار خلوة طياش والد الشيخ ناصر بن خلوة طياش ماركي^(١).

إن أسباب نبوغ الشيخ حافظ الحكمي ترد - بعد تقدير الله تعالى - إلى عدة أمور منها^(٢):

(١) الهضبة لإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي لعمر بن أحمد حردي

المدحني ص ٤٤ (دار النشر بمجھولة وبنون تاريخ).

(٢) للتوسع في هذه الأسباب انظر : الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعينية لزبد بن محمد بن هادي المدحلي

ص ٤١-٤٣ .

- ١- إخلاص الية في طلب العلم ، فمن أخلص نيته لله لم يجيب الله رجاءه.
- ٢- طاعة الله تعالى في السر والعلن ، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه فيما يروى عنه :
١. شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
٢. وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يعطى لمعاصي
- ٣- توجيه الشيخ عبد الله القرعاوي لحافظ والأخذ بيده ومهيد الطريق له لتحصيل العلم بمساعدته المادية والمعنوية.

شيوخه :

تفترض سعة معارف الشيخ حافظ وإحاطته بأنواع العلوم المختلفة وجود عشرات الشيوخ الذين تتلمذ عليهم حتى تمت له المعرفة الشاملة في الفقه والحديث والأصول والأدب والنحو واللغة وغيرها، ولكن الواقع على خلاف هذا الافتراض، إذ ليس للشيخ حافظ سوى شيخ واحد تلقى عليه العلوم وهو الشيخ عبد الله القرعاوي، فجميع من ترجم لحافظ لا يذكر غيره، نعم هالك بعض الإفادات من بعض أقرانه وشيوخ عصره لكنها لا ترقى أن تكون (مشيخة) بالمعنى المعروف، وعلى كل حال فإننا نستطيع تحديد من أفاد مهم الشيخ حافظ فيما يلي :

١- الشيخ عبد الله القرعاوي^(١):

لا يذكر الشيخ حافظ الحكمي إلا ويذكر معه الشيخ عبد الله القرعاوي، فقد كان الشيخ القرعاوي صاحب الفضل بعد الله عز وجل في توجيه حافظ للعلم وترغيبه فيه وعنايته أثناء دراسته، فقد رعاه صغيراً وتكفل بإعاشته في مدرسة صامطة وزوجه ابنته، والشيخ القرعاوي هو العلامة الجليل أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن عثمان بن علي بن نجيد القرعاوي، نسبة إلى قرعاء إحدى قرى القصيم، ولد الشيخ القرعاوي سنة ١٣١٥هـ في مدينة عنيزة وتوفي أبوه وهو حمى في بطن أمه فنشأ في حجر أمه، وقد أحسنت تربيته وعنت بتعليمه فحفظ القرآن

(١) يتلخص من السمت الخاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي ص ٤٣ . وانظر كذلك : حافظ بن أحمد الحكمي، حياته وسهجه في تقرير العقيدة وشرها في منطقة الجنوب ص ٦١-٦٤ .

في الرابعة عشرة ، وقد قام الشيخ القرعاوي بعدة رحلات لطلب العلم فسافر للبصرة وبغلي الهند، وفي الهند التحق القرعاوي بالمدرسة الرحمانية بدلهي وقضى بها ثمان سنوات هي مدة الدراسة وتخرج بها ونال الشهادة العالمية سنة ١٣٥٧هـ . تلقى القرعاوي العلم على يد كثير من علماء نجد وغيرهم منهم :

الشيخ عبد الله بن مانع في عنيزة .

والشيخ عبد الله السليم ، والشيخ عمر بن سليم في بريدة .

والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الرياض.

والشيخ عبد العزيز بن بشر في الأحساء .

والشيخ محمد بن مانع في قطر .

والشيخ عبد الله العنقري في المجمعة .

وقد قام الشيخ القرعاوي بجهود دعوية كثيرة في جنوب المملكة العربية السعودية وكان له أسلوبه الخاص والمميز في الدعوة ، وللباحثين كتب مفردة ترجموا فيها للشيخ القرعاوي وينبوا جهوده في الدعوة السلفية^(١).

يقول أحمد بن علي علوش مدخلي (ويعتبر الشيخ عبد الله القرعاوي هو الشيخ الوحيد لتلميذه حافظ إذ يعود إليه الفضل -بعد الله تعالى- في اكتشافه ورعايته وتدريبه مذهب السلف وتوفير الكتب له من كل مكان، بل سكن الشيخ معه في بداية الطلب ما يقارب أربع سنوات حتى ذكر أنه غداً عالماً يشار إليه بالبنان، بل اعترف تواضعاً أن تلميذه حافظ فاقه في العلم والنشاط ، ويتضح ذلك من رسالة كتبها الشيخ لولي العهد سعود بن عبد العزيز رحمه الله حوالي عام ١٣٧١هـ أثنى فيها ثناءً عطرًا على تلميذه حافظ^(٢).

(١) منها السمع السعدي لأسلوب الشيخ عبد الله القرعاوي في نشر التعليم بجنوب المملكة العربية السعودية لعلي بن قاسم بن سليمان الفيفي.

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٦٣ .

٢- الشيخ محمد بن أحمد بن علي الحكمي :

وهو أخو الشيخ حافظ الأكبر^(١)، ولد في قرية الجاضع سنة ١٣٣٧هـ وتلقى الدراسة في كتاب القرية بعد بيوغته سن السابعة ، قام محمد بتعليم أخيه حافظ القراءة والكتابة قبل وصول الشيخ القرعاوي للمنطقة ، وبعد وصول الشيخ القرعاوي التحق محمد وأخوه حافظ بمدرستهم وصارا من الأقران ، وتدرج الشيخ محمد في مناصب التدريس وتنقل في عدة مدارس ومعاهد حتى تاريخ إحالته على التقاعد سنة ١٤٠٢هـ ، يدخل الشيخ محمد ضمن شيوخ حافظ لأنه هو الذي علمه القراءة والكتابة ، فهو واضع اللبنة الأساسية في حياة حافظ العلمية^(٢).

٣- الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة :

من علماء الأزهر ، ولد بقرية كفر عامر بالقليوبية بمصر سنة ١٣١١هـ ، درس في قريته ثم انتقل إلى الأزهر ودرس به ، أسندت إليه إمامة وخطابة المسجد النبوي سنة ١٣٤٧هـ وعمل مدرسا للحديث في الحرم المكي سنة ١٣٤٨هـ ، له عدة مؤلفات منها: ظلمات أبي رية والمقابلة بين الهدى والضلال والشواهد والنصوص ، توفي رحمه الله بمكة سنة ١٣٩٢هـ^(٣).

درس الشيخ حافظ على الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في فترات متقطعة أكثرها بعد الحج ، وفي سنة ١٣٦٧هـ بقي حافظ بمكة أكثر من أربعة أشهر أتاح له المزيد من الأخذ عن الشيخ حمزة ، فكان يدرس عليه مرتان ، مرة مع جملة الطلاب ومرة منفردا ، وقد أخذ حافظ من حمزة علوم اللغة وخاصة البلاغة^(٤).

٤- الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني :

ولد الشيخ عبد الرحمن بقرية المحاقرة بزازح في اليمن سنة ١٣١٣هـ وفيها حفظ القرآن وهو صغير السن ، التحق بعدها بالمدرسة الحكومية بالحجرية فتعلم الحساب واللغة التركية ثم تحول في أنحاء اليمن طلبا للعلم ، ارتحل بعدها إلى الهند ودرس الحديث في حيدر أباد ثم عاد إلى حيران

(١) يكبر الشيخ حافظ بخمس سنوات .

(٢) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجبيل من ٥٨-٦٠ .

(٣) الأعلام للزركلي ٢٠٣/٦ .

(٤) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجبيل من ٦٥-٦٦ .

فتولى رئاسة القضاء بالمنطقة ولقب بشيخ الإسلام، وفي سنة ١٣٤٢هـ عاد إلى الهند وعمل مصححاً
لكتب الحديث في دائرة المعارف العثمانية بمحدر آباد عين أميناً لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢هـ —
وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة ١٣٨٦هـ حقق عدداً من كتب الحديث مثل تذكرة الحفاظ
للذهبي والجرح والتعديل لابن أبي حاتم والفوائد المجموعة للشوكاني وغيرها ، من مؤلفاته كتاب
التكميل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ومقدمته طليعة التكميل، رحمه الله^(١).

كان الشيخ حافظ الحكمي يزور المعلمي في مكتبة الحرم ويدرس عليه علوم الحديث وكان
المعلمي يعجب بحافظ ويقدره ، وقد قام المعلمي بمراجعة بعض كتب الشيخ حافظ أثناء طبعها^(٢).

هذا ما وقفنا عليه من شيوخ حافظ، وبما ذكرناه يتبين أن أهم شيوخه وأولهم هو الشيخ عبد
الله القرعاوي .

رحم الله الجميع وغفر لهم ، وأسكنهم فسيح جناته.

تلاميذه :

لم يكن الشيخ حافظ الحكمي من أولئك الشيوخ الذين اقتصرتهم جهودهم في التدريس على
حلقات العلم التي يأتيها من يأتيها ويتركها من يتركها، ولكنه كان معلماً في مؤسسات علمية تخرج
طلاب العلم بانتظام وفي دفعات سنوية ، ومن هنا كثر عدد تلاميذ الشيخ حافظ وصعب إحصاؤهم
. وبالطبع فليس كل من تلمذ على يد الشيخ حافظ بلغ من العلم مبلغاً يستحق معه أن يترجم له مع
تلاميذ حافظ، إذ أن البعض وقف في حد معين في الدراسة بينما تابع الآخرون، ولذلك فسدكر هــ
من تلاميذ حافظ من استمر في طلب العلم وارتقى في درجاته ومن كانت له آثار علمية مشورة أو
جهود دعوية واضحة، ولن نستقصى الأسماء بل سكتهم بالمشهورين^(٣).

(١) حافظ ابن أحمد الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٨ .

(٣) ومن أراد التوسع في معرفة تلاميذ الشيخ حافظ فعليه بكتاب : حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير
العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب في المبحث الذي خصص لتلاميذه ص ٧٣-٩٧ .

١- الشيخ أحمد بن محمد جابر مدخلي :

من مواليد قرية الحراية سنة ١٣٤٨هـ ، عمل في السلك القضائي أربعين عاماً ، وتقاعد بعد أن وصل إلى عضو مميز.

٢- الشيخ أحمد بن يحيى النجمي :

من مواليد قرية الحماية سنة ١٣٤٦هـ ، عمل بالتدريس وتدرج في المناصب المختلفة حتى أصبح معي حازان، ومن مؤلفاته : تنسيبه الشريعة عن إباحة الأغاني الخبيثة وأوضح الإشارة في الرد على من أباح المنوع من الزيارة، وتأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام.

٣- الشيخ حسن بن زيد النجمي :

من مواليد قرية الحماية سنة ١٣٤٣هـ ، كان من أكثر تلاميذ الشيخ حافظ ملازمة له، عمل في سلك القضاء أربعين سنة حتى وصل إلى قاضي محكمة مميز ، وقد أحيل إلى التقاعد.

٤- الشيخ حسن بن يحيى حملي :

من أعيان صامطة وأثريائها، قرأ على الشيخ القرعاوي ثم على الشيخ حافظ ، توفي بصامطة سنة ١٣٧٨هـ رحمه الله .

٥- الشيخ حسين بن عبد الله حكيمي:

من مواليد الجاضع سنة ١٣٤٢هـ تقريباً، وهو ابن عم الشيخ حافظ ، قرأ على الشيخ القرعاوي والشيخ حافظ ، توفي سنة ١٣٦٨هـ رحمه الله.

٦- الشيخ ناصر خلوفة طياش مباركي :

من مواليد صامطة سنة ١٣٢٢هـ ، وهو صاحب البيت الذي أسس فيه الشيخ عبد الله القرعاوي مدرسته ، عمل بالتدريس في المدرسة السلفية والمعهد العلمي بصامطة وأسندت إليه إدارة المدرسة بعد حافظ ، عين عضواً بمهنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم مقدر شجاع بصامطة ، توفي سنة ١٣٩٧هـ رحمه الله.

٧- الشيخ علي بن قاسم الفيبي :

من مواليد فيفاء في موضع يقال له ذراع أمّنة سنة ١٣٥٠هـ ، لازم الشيخ حافظ تسع سنوات عمل بالتدريس والقضاء ووصل إلى رتبة عضو تمييز الأحكام الشرعية بالمطقة القرية بمكة المكرمة ، من مصفاته : الحوار المين عن أضرار التدخين والتخزين والسمط الحساوي لأسلوب الشيخ عبد الله القرعاوي في نشر التعليم بحنوب المسكة^(١) وديوان شعر بعنوان الطيب العابر .

٨- الشيخ محمد بن صغير المحسن :

من مواليد سنة ١٣٥٠ هـ ، قدم إلى صامطة ودرس على علمائها ومن بينهم الشيخ حافظ، عمل مدرساً بمدرسة صامطة ثم المعهد العلمي بها ومعهد نجران ، توفي سنة ١٣٩٧هـ .

٩- الشيخ إبراهيم بن حسن الشعبي :

من مواليد صامطة سنة ١٣٥٧هـ ، درس بمدرسة صامطة ومعهدا العلمي ثم كلية الشريعة بالرياض، عمل مدرساً بالمعهد العلمي بصامطة ومديراً للمدرسة معاذ بن جل بحيزان وثانوية أمها ، من شعراء وأعيان منطقة جيزان .

١٠- الشيخ زيد بن محمد هادي مدخلي :

من مواليد قرية الركوبة سنة ١٣٥٧هـ ، درس بمدرسة صامطة السلفية وحقق بالشيخ حافظ بي يش وقرأ عليه مع الطلاب المغتربين وتخرج في كلية الشريعة بالرياض، عمل مدرساً بالمعهد العلمي بصامطة، من مؤلفاته : الحياة في ظل العقيدة وشرح القصيدة الهائية لشيخ حافظ والأفتان الندية شرح السبل السوية لحافظ أيضا والمنهج القويم بالتأسي بالرسول الكريم .

١١- الشيخ علي بن عبد الله الأهدل :

من مواليد ديار بكر بمحافظة الحديدة باليمن سنة ١٣٥٤هـ ، درس بمعهد صامطة وتخرج بكية الشريعة بالرياض ، عمل مدرسا بالمعاهد العلمية بالمحمة وصامطة ونجران ، له شعر جيد .

(١) وقد أهداه في هذه الترجمة للشيخ حافظ المحكمي .

١٢- الدكتور الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي^(١)

من مواليد قرية الجرادية عام ١٣٥٢ هـ درس بمعهد صامطة العلمي حتى تخرج منه عام ١٣٨٠ هـ ثم التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في أول افتتاحها ثم تخرج مع أول دفعة من الجامعة الإسلامية عام ١٣٨٥-٨٤ هـ عمل مدرساً بالمعهد الثانوي بالجامعة ثم انتدب للتدريس في الجامعة السلفية بنائي بالهند تحصل على الماجستير من جامعة أم القرى ثم الدكتوراة من جامعة أم القرى عام ١٤٠٠ هـ عمل مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتدرج في كادرها الجامعي حتى وصل إلى درجة أستاذ ثم أحيل للتقاعد .

قام بأعباء الدعوة في كثير من دول العالم كالعهد والباكستان واليمن والصومال وكينيا على منهج أهل السنة والجماعة بدافع عن السنة والعقيدة بكل ما أوتي من وسائل وله ردود على بعض مخالفيه . من مؤلفاته : ١- مكانة أهل الحديث ٢- كشف موقف الغزالي من السنة ٣- أضواء إسلامية على بعض الأفكار الخاطئة ٤- المدخل إلى المستدرك للحاكم ٥- صد عنوان الملحدين وجواز الاستعانة بغير المسلمين ٦- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية تحقيق ٧- منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب .

١٣- الشيخ الدكتور علي محمد ناصر الفقيهي^(٢)

من مواليد سنة ١٣٥٤ هـ ، درس بمعهد صامطة العلمي وتخرج بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونال درجتي الماجستير والدكتوراة من جامعة أم القرى عمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مدرساً حتى وصل إلى درجة أستاذ . قام بتحقيق عدة كتب من كتب الأئمة منها : ١- الرد على الجهمية ٢- وكتاب الإيمان ٣- وكتاب التوحيد ، وكلها للإمام الحافظ بن منده ٤- الأربعين في دلائل التوحيد ، للإمام الهروي ٥- كتاب الرؤية والذوق ، للإمام الدارقطني ٦- كتاب الحيدة للإمام الكشيري ٧- كتاب الإمامة والرد على الرافضة كلاماً للحافظ أبي نعيم الأصبغاني . المؤلفات : ١- منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ٢- الفتح المبين في الرد على نقد كتاب الأربعين ٣- الرد القويم البالغ في الرد على الكتاب المسمى بالحلق الدامغ ٤- الوصايا في الكتاب والسنة .

(١) من أراد التوسع في ذلك فعليه بكتاب فرحة النظر للشيخ أحمد الشنقي المعافا ج ١ - ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) مر أستاذي المشرف على هذه الرسالة معته الله بالعافية والحياة الطيبة

١٤- الشيخ الدكتور طاهر أحمد طاهي^(١):

من مواليد سنة ١٣٥٦هـ ، درس بمعهد صامطة العلمي وخرج بكلية الشريعة بالرياض ، نال درجتي الماجستير والدكتوراة بجامعة أم درمان الإسلامية ، عمل مسئولاً عن الدعوة في أثيوبيا وإريتريا والصومال ، تقلد عدة مناصب آخرها ملحقاً دنيماً بسفارتنا المملكة بمصر والخرطوم . أشرف على المناظرة التي جرت بالخرطوم بين مجموعة من النصارى وعلماء المسلمين وأدت إلى إسلام تلك المجموعة ، والمناظرة مطبوعة متداولة .

رحم الله من مات من تلاميذ الشيخ ، وبارك للأحياء في حياتهم ونفعهم .

آثاره العلمية :

حلف الشيخ حافظ الحكمي رغم قصر عمره آثاراً علمية جلية سيقى أثرها عميقاً بين أبناء الأمة الإسلامية ، وقد نفع الله بمؤلفات الشيخ حافظ فأفادت كثيراً من الناس في تصحيح عقائدهم المنحرفة في المملكة العربية السعودية وخارجها من بلاد الإسلام الواسعة ولا أدل على ذلك من الطباعات المتعددة لكتب الشيخ حافظ التي تنتشر في جميع أرجاء الأرض الآن ، وتتميز أكثر آثار الشيخ حافظ بأنها رسائل ومظومات صغيرة الحجم^(٢) ولكنها مع ذلك تحمل بين طياتها علماً غزيراً لا يوجد إلا في مؤلفات حافظ فيما يلي :

١- سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ^(٣).

ألفه بتوجيه من شيخه عبد الله القرعاوي سنة ١٣٦٢هـ ، وهو منظومة في أصول الدين عدد أبياتها ٢٧٠ بيتاً ، وقد قسمها إلى مقدمة وأحد عشر فصلاً وخاتمة ، وقد طبع سلم الوصول عدة طباعات في حياة الشيخ وبعدها .

(١) وهو والدي حفظه الله تعالى ومتمتع بالعافية .

(٢) وصف الركني مؤلفات الشيخ حافظ في الأعلام ١/ ١٦١ بقوله (وكلها رسائل) وهو خطأ والصواب (وأكثرها رسائل).

(٣) السمعط الحارثي ص ١١٩ ، الأعلام ١/ ١٥٩ ، النهضة الإصلاحية في حروب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدني ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكسي لأحمد بن علي علوش مدني ص ١٢٦ .

٢- معارج القبول^(١).

وهو شرح سلم الوصول السابق ، وهو أكبر مؤلفات الشيخ حافظ إذ يقع في مجلدين وقد أكمل تأليفه سنة ١٣٦٦هـ ، طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٣٧٧هـ ثم توالى طباعته بعد ذلك. وأفضل طباعته الطبعة المحققة على يد ابنه الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي سنة ١٤٠٤هـ

٣- الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة^(٢).

وهي منظومة في تقرير عقيدة السلف ، طبعت مرة واحدة بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ ، وهي موضوع دراستنا ، قال أحمد بن علي علوش مدخلي (وهذا النظم بحاجة إلى شرح موجز يفصل أدلته ويوضح محمده)^(٣) نرجو أن نكون قد حققنا ذلك.

٤- أعلام السنة المشهورة لاعتقاد الطائفة المنصورة^(٤).

وهو في العقيدة ، ألفه الشيخ على طريقة السؤال والجواب ، وقد حققه أحمد بن علي عبوش مدخلي .

٥- مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام^(٥).

وهي في شروط شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وأدلتها من الكتاب والسنة ، وقد أدرجت الرسالة ضمن كتاب معارج القبول.

(١) السط الحايي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ الأعلام ١٥٩/٢ الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٣٦ .

(٢) السط الحايي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٤٦ .

(٣) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومهجه في تقرير العقيدة وبشرها في منطقة الجبيل ص ١٥١ .

(٤) السط الحايي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ . الأعلام ١٥٩/٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ .

(٥) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩ والشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٥١ .

٦- رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد أشار إليها الشيخ حافظ في كتابه أعلام السنة المنشورة^(١).

٧- دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الإصلاح^(٢).

وهو في مصطلح الحديث ، ألفه سنة ١٣٦٥ هـ لطلاب المدرسة السلفية بصامطة ويقع في ١٧٤ صفحة. طبع طبعة واحدة كثيرة التحريف سنة ١٣٧٤ هـ وقد أشرف المعلمي على طباعة ثلاث ملازم منه وصنع جدولاً للخطأ والصواب لقبة الملازم.

٨- مختصر دليل أرباب الفلاح^(٣).

وهو مختصر الكتاب السابق في نحو الربع .

٩- اللؤلؤ المكنون في أحوال الأمانيد والمتون^(٤).

منظومة في علم مصطلح الحديث وتقع في ٣٤٠ بيتاً ، نظمها الشيخ سنة ١٣٦٦ هـ ، طبعت طبعة واحدة في حياة المؤلف .

١٠- السبل السوية لفقه السنن المروية^(٥).

وهي منظومة في الفقه تزيد على ٢٢٠٠ بيت ، طبعت عدة طبعات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣ هـ وقد شرحها تلميذه الشيخ زيد بن محمد هادي المدخلي في كتاب الأفتال الندية في ستة مجلدات.

(١) أعلام السنة ص ٨٩ مطابع الجزيرة العربية .

(٢) السمعط الحاوي ص ١٢٠ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لريد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٥٤ .

(٣) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٣ .

(٤) السمعط الحاوي ص ١٢٠ ، الأعلام ١٥٩/٢ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لريد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٤ .

(٥) السمعط الحاوي ص ١٢٠ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لريد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٨ .

- ١١- النور الفانئ من شمس الوحي في علم الفرائض^(١).
وهي رسالة في الموارث تقع في ٤٦ صفحة ألفها سنة ١٣٦٤هـ ، وقد طبعت طبعة واحدة سنة ١٣٧٣هـ .
- ١٢- وسيلة الوصول إلى مهمات الأصول^(٢).
وهي منظومة في أصول الفقه نظمها سنة ١٣٧٣هـ وتقع في ٦٤٠ بيتا ، طبعت عدة طبعات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ .
- ١٣- لامية المنسوخ^(٣).
وهي مظمة في الناسخ والمنسوخ نظمها قبل عام ١٣٧١هـ وتقع في ١٣٢ بيتا ، طبعت مرة واحدة مع اللؤلؤ المكنون سنة ١٣٧٣هـ .
- ١٤- شرح الورقات للجويني^(٤).
وهو شرح للورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني ، وقد أملاه الشيخ حافظ على طلابه ، ولا يزال مخطوطا .
- ١٥- نيل السؤل في تاريخ الأهم ومسيرة الرسول ﷺ^(٥).
وهي منظومة في التاريخ في ٩٧٤ بيتا ، طبعت مرة واحدة في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ .

(١) السط الحايي ص ١١٩ ، الأعلام ١٥٩/٢ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدحني ص ١٨٣ .

(٢) السط الحايي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدحني ص ١٨٩ .

(٣) السط الحايي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدحني ص ١٩٥ .

(٤) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدحني ص ٢٠١ .

(٥) السط الحايي ص ١٢٠ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٠٣ .

١٦- نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والتبغ والدخان^(١).

وهي منظومة في التحذير من القات والتبغ والدخان نظمها سنة ١٣٦٧هـ فجلدت في ٤٢ بيتاً، فرد على الشيخ بعض علماء اليمن في خمسين بيتاً فأجابه الشيخ بأبيات أخرى قبلت عدد أبيات المنظومة ١٩١ بيتاً. طبعت المنظومة مرة واحدة في حياة الشيخ سنة ١٣٧٤هـ .

١٧- المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية^(٢).

وهي في الآداب في ٢٤٦ بيتاً . طبعت عدة مرات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ.

١٨- همزية الإصلاح^(٣).

وهي قصيدة طوية عدد أبياتها ٢٠٢ بيتاً نظمها المؤلف بحماسة توطين اليهود بأرض فلسطين عام ١٩٤٨م.

١٩- القصيدة الهائية في الزهد^(٤).

وهي في الزهد والتقلل من الدنيا وتقع في ٣٨ بيتاً ، وقد طبعت القصيدة مع شرحها لزيد بن محمد هادي مدخلي سنة ١٤٠٧هـ وفي كتاب النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية^(٥) والسمط الحاوي^(٦) وأبيات القصيدة الأولى تقول :

(١) سمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لريد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢١٠.

(٢) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢، الشيخ حافظ الحكمي لريد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢١٥.

(٣) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٢٤.

(٤) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٨، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٣١.

(٥) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٨٣-١٨٥ .

(٦) السمط الحاوي ص ١١٣-١١٥ .

١. وعالي وللدنيا وليست ببغيني ولا منتهى قصدي ولست أنا لها
٢. ولست بميال إليها ولا إلى رفاستها تأساً وقبحاً لحالها
٣. هي الدار دار الهم والغم والعناء مريع تقضيها قريب زوالها

هذه هي مولفات الشيخ حافظ الحكمي المطبوعة والمخطوطة، وهناك آثار غيرها من الخطب والأشعار والأمال التي كان يملئها الشيخ على طلابه، ومن أراد التوسع في معرفة كتب الشيخ ومهجه في تصنيفها فعليه بالمؤلفات التي أوردت لذلك خاصة كتاب (الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي) لأحمد بن علي علوش، فقد أجاد الكاتب في وصف مصنفاته.

شعره :

كان الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي شاعراً كبيراً بجانب عمله في العلوم الشرعية ولذلك فقد ترحم له الرركلي بقوله (فقيه أديب من علماء حيزان)^(١) فجمع له بين الفقه والأدب، وقد حفظ لنا مترحمو الشيخ عدداً من قصائده التي تدل على تمكنه من قول الشعر لكن شعر حافظ كان كغيره من شعر العلماء ملتزماً بقضايا معينة ولذلك ترك كثيراً من الأغراض الشعرية كالغزل والوصف والمجاء وغيرها من الأغراض المنبوذة التي تزري بالعلماء وقد اقتصر شعر حافظ بمدح أولي الأمر ومداعبة الأصدقاء ومعاتبتهم والتهاني في المناسبات.

ومن الأبيات الطريفة التي قالها حافظ يداعب فيها تلميذه وصديقه الشيخ حسن بن زيد النحوي عندما رأى كنية جديدة لم تقرأ :

١. بيت الشيخ كتب قد شراها وجعها ولكن ما قراها
٢. وطابت نفسه منها بلوى إذا فتح المكان بأن يراها
٣. وينظر في قطائمه ويحصى وهل تدري القطائع ما وراها
٤. فلو أسفي على الأيسام ضاعت سدى وقضى على نفسي كراها
٥. وقد قنعت من العليا بدون وباعتها ببخس في شراها

ومن أراد الوقوف على أكثر شعر حافظ فلينظره في كتاب (الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية) لزيد بن محمد هادي مدخلي والسمط الحاوي لعلي بن قاسم سليمان الفيفي.

(١) الأعلام للرركلي ١٥٩/٢ .

وفاته ورثاء العلماء له :

توفي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي بعد حياة قصيرة عامرة بالطاعات والدعوة إلى الله بعد أداء مناسك الحج ضحى يوم السبت ١٨ من ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ بمستشفى الزاهر بمكة المكرمة وصلى عليه في الحرم المكي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ودفن بمقابر العدل بمكة، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة في الدار الآخرة.

وقد خلف الشيخ رحمه الله من الأولاد سبعة ، أربعة أبناء وثلاث بنات، والأبناء هم :

- ١- الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض .
 - ٢- الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي رئيس مكتب الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.
 - ٣- الأستاذ عبد الرحمن بن حافظ الحكمي المدرس بالمعاهد العلمية.
 - ٤- الشيخ محمد بن حافظ الحكمي ويعمل برئاسة إدارة البحوث العلمية بالمملكة .
- وقد فجع الناس بموت الشيخ حافظ ورثاه عدد من الأدباء منهم تلميذه إبراهيم بن حسن شعبي بقصيدة مطلعها ^(١):

- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| ١. توفي حافظ ركن البلاد | وخلف حسرة لي في الفؤاد |
| ٢. وقد ضاقت على الأرض ذراعاً | بما رحبت ولم تسع البوادي |
| ٣. وساء الحال مبني حين وافي | بنا نعي الفقى البطل العماد |
| ٤. وددت لو أن أمي لم تلدني | ولا كنت من بعض الجماد |
| ٥. أنا ممن فضيحه أنسالت | وممن دريت تلك الأيادي |
| ٦. فهلا يا إله الخلق كانت | متيته على مثلي تنادي |
| ٧. فذلك النفس من شيخ كريم | وليتي كنت أول من يفادي |
| ٨. لقد كنت المقدم في المزاييسا | من الخيرات يا قطب النوادي |
| ٩. وكنت القائد المدعو فينا | فمن لختار بعدك للقياد |

(١) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٠٠ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١١٩ .

١٠. بعيد الهم لم تأنس بدنيا ولم يطربك فيها صوت هادي
١١. فمن للشمل والأعواء يحمل ومن للناس يرعى بالرداد
١٢. سلاح للمشاكل كنت فيها ومعراج البحوث بكل وادي
١٣. وفي كل العلوم مددت باعاً وهمتك العلية في ازديادي
١٤. لقد صفت أسفاراً جلالاً وقد أجملت لي حسن اعتقادي
١٥. ملأت للوب أهل الدين حزناً وظل الجمع في الكسرب الشداد
١٦. بكاك العلم والعلماء طرا وأرباب الحجبا أهل الرشاد
١٧. لقد خلفت أضيالاً فضاعوا دهمهم آفة قبل الخصداد

ومنهم تلميذه راهر بن عواض الألهي بقصيدة منها (١):

١. لقد دوى على المخالاف صوت نعي التحرير عالمها الهامما
٢. تفجعت الجنوب وماكنوها على بدرها يحمر الظلاما
٣. وذاعت في الدنيا صيحات خطب فهزت من فجانعها الأناما
٤. فكفكت الدعوى على فقيده على الإسلام شمر واستغاما
٥. وأحيا في الربوع بيوت علم وواس مقعدا ورعى يتامما
٦. أحافظ كنت للعلباء قطبا وللإسلام طودا لا ينامي
٧. وبحرا في العلوم بعيد غور كشم النفع قواما إماما
٨. وما منم فمنهجكم منار يضيء دروبنا وهما أقامما

(١) الشيخ حافظ احكمي لريد بن محمد هادي مدخلي ص ١٠٠ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٢٠ .

المبحث الثاني

منهج المؤلف في تقرير العقيدة

نحى الشيخ حافظ رحمه الله في تقرير العقيدة منهج السلف الصالح الذين يثبتون لله ما أثبتته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وقد أشار إلى هذا المنهج في (سلم الوصول) حيث قال بعد تقريره توحيد المعرفة والإثبات.

- | | |
|-----------------------------|---|
| ١ . وكل ماله من الصفات | أثبتها في محكم الآيات |
| ٢ . أوضح فيما قاله الرسول | فحققه التسليم والقبول |
| ٣ . غرها صريحة كما أتت | مع اعتقادنا لماله اقتضت |
| ٤ . من غير تحريف ولا تعطيل | وغير تكييف ولا تمثيل |
| ٥ . بل قولنا قول أنمة الهدى | طوبى لمن يهديهم قد اهتدى ^(١) |

وقال في الجوهرة الفريدة مقررًا للذين الأصليين بعد أن تبرا من مذاهب الضالين:

- | | |
|------------------------------------|---|
| ١ . لكن لنا نص آيات الكتاب وما | عن الرسول روى الآيات معتمد |
| ٢ . لنا نصوص الصحيحين الذين لها | أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا |
| ٣ . والأربع السنن العر التي اشتهرت | كل إلى المصطفى يعلم له سند |
| ٤ . كذا الموطأ مع المستخرجات لنا | كذا الممانيد للمحتج مستند |
| ٥ . متمسكين بها مستسلمين لها | عنها نذب الهوى إنا لها عضد ^(٢) |

(١) سلم الوصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكيم ص ٤.

(٢) الجوهرة الفريدة ص ٤ .

المبحث الثالث

التعريف بالجوهرية الفريدة وأهم موضوعاتها

الجوهرية الفريدة منظومة دالية في تسعة عشر صفحة وعدد أبياتها مئتان وستة وتسعون بيتاً وهي من البحر البسيط الذي يتكون من تكرار مستفعلن فاعلن أربع مرات.

أهم موضوعاتها :

تناولت هذه المنظومة أهم موضوعات العقيدة من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره كما تناولت أركان الإسلام والإحسان واشتملت على ذكر بعض أنواع الشرك ونواقص الإسلام واشتملت على ذكر الخلافة وعبة الصحابة ووجوب طاعة أولي الأمر والنصيحة في الدين ، كما اشتملت هذه المنظومة على مقدمة وحاتمة ، أما المقدمة فتتول عقيدة المؤلف والرد على أهل البدع والأهواء ، وأما الحاتمة فاشتملت على بعض أمور الشرع وأصول الفقه، كما سيأتي الحديث عن ذلك من خلال المنظومة .

المبحث الرابع

منهج المؤلف فيها

اتبع المؤلف في هذه المنظومة منهج التبريد حيث قسمها إلى أبواب متعددة بحسب وحدائرها الموضوعية ، فقد بدأ هذا النظم بخطبة تضمنت حمد الله والثناء عليه ثم ذكر مقدمة هذه المنظومة حصصها ليان منهجه في العقيدة والرد على أهل البدع والأهواء ثم قسم المنظومة إلى أبواب متعددة بدأها بأبواب أمور الدين وختمها بباب في الشرع وأصول الفقه وتحت عنوان كل باب يبدأ في الحديث عن موضوع الباب وما يندرج تحته من أمور متعلقة به مستنداً على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية ويذكر أقوال الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ويفدها ويرد عليها معتمداً في كل ذلك على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول^(١).

(١) سوف يتضح هذا المنهج من خلال شرح المنظومة.

المبحث الخامس

مصادر المؤلف التي اعتمد عليها

لقد اعتمد المؤلف رحمه الله في نظمه لهذه المنظومة على أمهات كتب العقيدة والحديث والتفسير والأصول مثل الفتاوي ومهاج السنة وشفاء العليل والصواعق المرسلة والكتب الستة وكتب المسانيد وفتح الباري وشرح النووي وتفسير ابن كثير وابن جرير وكتب الأصول مثل الوريقات والإحكام في أصول الأحكام . وغيرها .

المبحث السادس

موقف المؤلف من المبتدعة

يتضح من خلال هذه المنظومة موقف المؤلف من المبتدعة فقد تراءى من جميع البدع وأهلها كما صرح بذلك حيث خص باباً من أبواب هذه المنظومة في البراءة منهم وسماه (براءة المتعين من حجارة المدعين وافتراءات المتدعين) وقال في بدايته :

إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

ثم شرع في ذكر فرق الضلال التي تراءى منها وذكر بعض أقوالها المخالفة للشرع ورد عليها فذكر منها الجهمية ، المشبهة ، المعتزلة ، الجبرية ، الشيعة والنواصب .

وذكر أهل الفلسفة والمنطق اليوناني مثل أرسطو والطوسي وأهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود كابن عربي وأبن سبعين وذكر المصريين الذين اتبعوا سنن الغرب وقلدوهم في كل شيء . وذكر الطرق الصوفية المختلفة^(١) .

فقد تراءى الناظم من كل هؤلاء وأبطل أقوالهم ورد عليها ثم بين أنه لا يحتكم إلى العقل والمنطق عند وجود النص كما يفعل أهل البدع والأهواء وإنما يسير وفق منهج الله المأخوذ من القرآن الكريم والسنة النبوية حيث قال :

١. ولا لحكم في النص العقول ولا نتائج المنطق المحقو نعتمد

٢. لكن لنا نص آيات الكتاب وما عن الرسول روى الألبات معتمد

(١) سيأتي ذكر أقوال هذه الفرق ورد الناظم رحمه الله عليهم مفصلاً أثناء شرح المنظومة.

القسم الثاني

(التحقيق والشرح)

المبحث الأول

النسخة المخطوطة والمطبوعة المعتمدة في التحقيق

١/ النسخة المخطوطة :

نسخة بخط السخ وناسحها غير معروف على أوراقها ويقال أنها بقلم تلميذ المؤلف على بن قاسم الفيقي^(١) وعدد صفحاتها أربع وعشرون صفحة وعدد أبياتها أربع وعشرون وثلاثمائة بيت وقد رمزت لها بحرف (ع).

٢/ النسخة المطبوعة :

بعد البحث والتحري وجد أن هذه المنظومة قد طبعت عام ١٣٧٣ هـ بمطابع البلاد في حياة المؤلف ودرسها لتلاميذه وهي مطبوعة^(٢) وعدد أبياتها مائتان وستة وتسعون بيتاً. وقد احترت النسخة المطبوعة كسحة معتمدة في التحقيق ورمزت لها بالحرف (ط) ذلك أن النسخة المخطوطة عادة يعتريها الخطأ والحذف والزيادة، أما المطبوع فلا يطبع إلا بعد المراجعة وحذف ما يرى حذفه وزيادة ما هو مفيد خاصة وأن الطبع قد تم في حياة المؤلف وروجعت من قبله ودرسها لطلابها كما هو الحال في هذه الجوهرة التي أنا بصدد تحقيقها وشرحها فإلى النسخة المطبوعة (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة).

(١) انظر الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم ، حياته ومهجه في تقرير العقيدة ص ١٥١ .

(٢) قد يلاحظ القارئ اختلافاً في عدد الأبيات بين النسختين المخطوطة والمطبوعة، وذلك يرجع إلى أن النسخة المخطوطة قد اعتراها التدمير والحذف في حياة الناظم، والنسخة المطبوعة هي التي اعتمدها الناظم في حياته، وهي التي اعتمدنا في هذا التحقيق والشرح.

(المبحث الثاني)

(خطة الناظم في الجوهرة الفريدة)

المطلب الأول

نظم

الجوهرة الفريدة

في

تحقيق العقيدة

بقلم

حافظ بن أحمد الحكمي عفا الله عنه

أمر بطبع هذه المنظومة المباركة على نفقته جلالة الملك

المعظم محيي آثار السلف الصالح

ملك المملكة العربية السعودية

الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

آل سعود

أيده الله ووفقه آمين

مطابع البلاط السعودية بمكة الشامية

سنة ١٣٧٣هـ

موضوعات عقيدة الجوهرة الفريدة

خطبة العقيدة	بجمل أركان الإسلام
المقدمة	جامع وصف الإحسان
أبواب أمور الدين	باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها
باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته	باب شرك دون شرك وكفر دون كفر .. الخ
فصل في بيان الشرك بالله سبحانه	باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان
الإيمان بالملائكة عليهم السلام	باب التوبة وشروطها
الإيمان بكتب الله المنزلة	باب حكم السحر والكهانة .. الخ
الإيمان بالرسل عليهم السلام	باب حكم الرقي والتعليق
الإيمان باليوم الآخر	باب الخلافة ومحبة الصحابة .. الخ
إثبات النظر إلى الله تعالى في الدار الآخرة	باب وجوب طاعة أولي الأمر
الإيمان بالقدر خيره وشره	باب وجوب النصيحة في الدين
	باب الشرع وأصول الفقه.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة العقيدة

١. الحمد لله لا يحصى له عدد
٢. حمداً لربي كثيراً دائماً أبداً
٣. ملء السماوات والأرضين أجمعها
٤. ثم الصلاة على خير الأنام رسو
٥. وأهل بيت النبي وآل لاطبة
٦. والرسول أجمعهم والتابعين لهم
٧. أزكى صلاة مع التسليم دائمة
٨. وبعد ذي في أصول الدين (جوهره
٩. بشرح كل عرى الإسلام كافلة
١٠. وما أبرئ نفسي من لوازمها
١١. والله أسأل منه رحمة وهدي
- ولا يحيط به الأقلام والمداد
- في السر والجهر في الدارين مسترد
- وملء ما شاء بعد الواحد الصمد
- ل الله أحد مع صحب به سعدوا
- والتابعين الأئلي للدين هم عضد
- من دون أن يعدلوا عما إليه هدوا
- ما إن لها أبداً حد ولا أمـد
- فريدة) بسنا التوحيد تقـد
- ونقض كل الذي أعداؤه عقدوا
- وأحد الله منه العون والرشـد
- فضلا ومـالي إلا الله مستد

- مقدمة -

(في براءة المتبعين من حراة المبدعين واقتراعات المبتدعين)

١٢. إني براء من الأهواء وما ولدت
١٣. والله لست بجهمي أعـا جـدل
١٤. يكذبون بأسماء الإله وأو
١٥. كلا ولست لربي من مشبهة
١٦. ولا بمعترلي أو أعـا جـير
١٧. كلا ولست بشيخي أعـا دغل
١٨. كلا ولا ناصي ضد ذلك بل
١٩. وما ارمطو ولا الطوسي أمتا
٢٠. ولا ابن سينا وفارابيـه لدوتنا
٢١. مؤسس الزيف والإلحاد حيث يرى
- ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا
- يقول في الله قولاً غير ما يرد
- صاف له بل لذات الله قد جحدوا
- إذ من يشبهه معبوده جـد
- في السيئات على الأقدار يتعد
- في قلبه لصحاب المصطفى حقد
- حب الصحابة ثم الآل نعتـد
- ولا ابن سجين ذاك الكاذب الفـد
- ولا الذي لفصوص^(١) الشر يستد
- كل الخلائق بالباري قد انحـدوا

(١) في المخطوطة (لفصوص) وهو الصحيح لأن المؤلف يتحدث عن محبي الذين بن عربي وكتابه فصوص الحكم

٢٢. معبوده كل شيء في الوجود بدا
٢٣. ولا الطريق والأهواء والبعد السـ
٢٤. ولا تحكم في النص العقول ولا
٢٥. لكن لنا نص آيات الكتاب وما
٢٦. لنا نصوص الصحيحين الذين لما
٢٧. والأربع السنن التي اشتهرت
٢٨. كذا الموطأ مع المستخرجات لنا
٢٩. مستمكنين بما مسلمين لما
٣٠. ولا نصيخ^(١) لعصري يقوه بما
٣١. يرى الطبيعة في الأشياء مؤثرة
٣٢. وما مجلاتهم وردى ولا صدرى
٣٣. إذ يدخلون لما عادتهم ومجا
٣٤. محنين لما كيما تروج على
٣٥. من أجل ذلك قد أضحي زنادقة
٣٦. يرون أن تبرز الأنس يزينها
٣٧. من أجل ذلك^(٢) بالإفرنج قد شفوا
٣٨. وبالعوائد منهم كلها اصفوا
٣٩. على صحائفهم يا صاح قد عكفوا
٤٠. وعن تدبر حكم الشرع قد صرفوا
٤١. وللشوارب أعفوا واللعى نفوا
٤٢. فالوا رقباً قلنا للحضض نعم
٤٣. ثقافة من سماج ساء ما ألقوا
٤٤. عصرية عصرت عجباً لحاصلها
٤٥. مروت وموه مجديد الحياة فيها^(٣)
٤٦. دعاة سوء إلى السوأى تشابت السـ
٤٧. ما بين مسعلن منهم ومستترا
- الكلب والقرود والخنزير والأسد
ضلال ممن على الوحيين ينتقد
تعالج المنطق المحرق نعتد
عن الرسول روى الأئبيات معتمد
أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا
كل إلى المصطفى يعلمو له سند
كذا المانيد للمحتج مستند
عنها نذب الهوى إننا لما عهد
يناقض الشرع أو إياه يعطد
أين الطبيعة يا مخذول إذ وجدوا
وما لمعتقها في الفلاح يد
يا هم وحكم طواغيت هم طردوا
عم^(٤) البصائر ممن فاتته الرشد
كثيرهم لسييل الغي قد قصروا
وبيعها البضغ تأجلاً وتنفسد
هم تزيوا وفي ذي^(٥) التقى زهدوا
وفطرة الله تميزاً لما اعتمدوا
ولو تلوت كتاب الله ما وجدوا
وفي المجلات كل الذوق قد وجدوا
تشبهاً^(٥) ومجساة وما أأدوا
تفهمون منه إلى سجين مؤتصد
حضارة من مروج هم لما عمدوا
سم نقيع وما أغمار فازدردوا
ليت الدعاة لها في الرمس قد حسدوا
قلوب منهم وفي الإضلال قد جهدوا
ومستبد ومنها^(٦) بالفير محتشد

(١) في المخطوطة (كلا وليت بعصري) (٢) في المخطوطة (عمي) وهو الصواب (٣) في المخطوطة (وآخرون فبالفرنج)

(٤) في المخطوطة (وفي ذي) وهو الموافق للشطر الأول (٥) في المخطوطة (شبه الجوس لأولى للبار قد عبدوا)

(٦) في المخطوطة (ألا ما ليتهم قبل ذا في الرمس)

٤٨. لهم إلى دركات الشر أهوية
٤٩. وفي الضلالات والأهواء لهم شبه
٥٠. صم ولو سمعوا بكم ولو نطقوا
٥١. عموا عن الحق صموا عن تدبره
٥٢. كأنهم إذ ترى غيب منة
٥٣. باعوا بها الدين طوعاً عن تراض ومما
٥٤. يا غربة الدين والمستمكن به
٥٥. المقبلين عليه عند غربته
٥٦. إن أعرض الناس عن تبيان نطقوا
٥٧. هذا وقد آن نظم العقد معتصماً
- لكن إلى درجات الخير ما صعدوا
وعن سيل الهدى والحق قد بلدوا
عمي ولو نظروا همت بما شهدوا
عن قوله غرموا في غيرهم صعدوا
وتحب القوم أيقاضا وقد رقدوا
بالوا بهذا (١) حيث عند الله قد كعدوا
كقايض الجمر صبراً وهو (٢) يتقد
والصلحين إذا ما غيرهم قدوا
به وإن أحجموا عن نصره لمعدوا
بالله حسبي عليه جل أعتمد

أبواب أمور الدين

٥٨. والدين قول بقلب واللسان
٥٩. يزداد بالذكور والطاعات ثم له
٦٠. وأهله فيه مفضول وفاضله
٦١. وهاك ما سأل الروح الأمين رسو
٦٢. فكان ذاك الجواب الدين أجمعه
- وأعمال بقلب وبالأركان معتمد
بالتذب والعقلة القصان مطرد
منهم ظلوم وسباق ومقتصد
ل الله عن شرحه والصحب قد شهدوا
فالفهم عقدا صفا ما شابه عقد

باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته

٦٣. بالله نؤمن فرد واحد أحد
٦٤. ولا إله ولا رب سواه ولم
٦٥. حي سمع بصر جل مقدر
٦٦. هو العلي هو الأعلى هو المتعالي
٦٧. لهراً ولدراً ذاتاً جل خالقنا
٦٨. في سبع آي من القرآن صرح باسم
٦٩. ولفظ فوق أتى مع الإقتران بمن
٧٠. وفي السماء اتلها في الملك واضحة
٧١. وتخرج الروح والأملاك صاعدة
- ولم يلد لا ولم يولد هو الصمد
يكن له كفوا من خلقه أحد
عدل حكيم عليم قاهر صمد
في كل معنى علو الله نعتقد
ما حل فينا ولا بالخلق متحد
توى على العرش رب فهو منفرد
ودوننا لمريد الحق مستند
وكم حديثاً بها يعلو به السند
أصا إلى ربهم نحو العلى صعدوا

(٢) في المعطوفة (فهر يتقد)

(١) في النخطوفة (وما سوا به)

٧٢. وهكذا يصعد المقبول من عمل
٧٣. كذا عروج رسول الله حين مرى
٧٤. وحين غطته في جمع حجته
٧٥. أليس يشهد رب العرش جمل على
٧٦. ومن رفع الملقى في تشهده
٧٧. وكل داع إلى من رافع يسهده
٧٨. وكم فلذا براهنا مؤيدة
٧٩. ونحن نبت ما الوحيان (٢) تبه
٨٠. يدنو كما شاء من شاء يفعل ما
٨١. وكل أمانه الحمقى نقرها
٨٢. مستيقين بما دلت عليه ومن
٨٣. دلت على ذات مولانا مطابقة
٨٤. كذا تضمنت المشرق من صفة
٨٥. كذلك استلزم باقي الصفات كما
٨٦. وكل ما جاء في الوحيين من صفة
٨٧. صفات ذات وأفعال ثممر ولا
٨٨. لكن على ما بمولانا يليق كما
٨٩. وفي الشهادة علم القلب مشروط
٩٠. إخلاصك الصدق فيها مع محبتها
٩١. فيه نوالي (٣) أولى التقوى ونصرهم
- من العباد لمن إياه لشد عبدوا
قل لي إلى من له قد كان مصطعد
أشار رأس له نحو العلى ويد
تبليغه ثم (١) أهل الجمع قد شهدوا
مباحة لعلو الله يعتقد
إلا إلى من يجي من عنده المدد
وحين يسمعها الجهمي يرتعد
من أن ذا العرش فوق العرش منفرد
يشا ولا كيف في وصف له يرد
مما علمنا ومما استأثر الصمد
ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد
به تليق بما الرحمن منفرد
نحمر العليم بعلم ثم تطرد
للقدرة اعلم الرحمن والصمد
لله نبتنا والنصر نعمت
نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا
أرادته وعنايه الله نعتقد
يقينه القدر قبول ليس يفقد
كذا الولا والبرا فيها لها عمد
وكل أعدائه إننا لهم لملو

فصل

٩٢. والشرك جعلك ندأ للاله ولم
٩٣. تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده
٩٤. وعلمه بك مع سمع الدعاء وقد
٩٥. مثل الألى بدعا الأموات قد متفوا
٩٦. وكم ندورا وقربالا لها صرلوا
- يشارك الله في تخليقنا أحد
لدفع شر ومنه الخير ترتعد
رة وسلطان غيب فيه تعقد
يرجون نجدقم من بعد ما لحدوا
ظلما ومن أنفس النقوش كم نقدوا

(١) في المخطوطة (وأهل الجمع)

(٢) في المخطوطة (الوحيين) وهو خطأ

(٣) في المخطوطة (توالي) بالتاء والصحيح الذي يدل عليه السياق ما في النسخة المطبوعة .

٩٧. وكم قبايا عليها زعمفت ولها
 ٩٨. فهم يلوذون في دفع الشرور بها
 ٩٩. ويصرفون لها كل العبادة دو
 ١٠٠. إن لم تكن هذه الأفعال يا علما
 ١٠١. إن لم تكن هذه شركا فليس على
 أعلى النسيج كساء ليس يفتقد
 كما لها في قضا الحاجات قد قصدوا
 ن الله جهراً وللتوحيد قد جحدوا
 شركا فما الشرك قولوا^(١) لي أو ابتعدوا
 وجه البسيطة شرك قط ينتقد

باب الإيمان بالملائكة

١٠٢. وبالملائكة الرسل الكرام عبا
 ١٠٣. من^(٢) دون ربي تعالى والتساب لن
 ١٠٤. بل هم عباد كرام يعملون بأمر
 ١٠٥. منهم أمين لوحى الله يبلغه
 ١٠٦. وللرياح وتطر والسحاب فيه
 ١٠٧. كذلك بالصور إسرائيل وكل وهـ
 ١٠٨. وحاملوا العرش مع من حولهم ذكروا
 ١٠٩. والحافظون علينا الكاتبون لما
 ١١٠. وآخرون بحفظ العبد قد وكلوا
 ١١١. والموت وكل^(٣) حقاً بالوفاء لرو
 ١١٢. ومنكر ونكير وكللا سوا
 ١١٣. كذلك رضوان في أعوانه خزنوا
 ١١٤. كذا زبانية النيران يقدمهم
 ١١٥. وآخرون لمباحون حيث أمروا
 ١١٦. وغيرهم من جنود ليس يعلمها
 د الله تؤمن محابوا من لهم عبدوا
 كانوا له ولهم والمرسلين عدو
 الله ليس له ند ولا ولد
 لرسله وهو جبريل به يفد
 كال بذلك إليه الكيل والعدد
 وآلآن منتظر أن يأذن الصمد
 وذاثروا بته المعمور ما التقدوا
 نسعى وفي الحشر إذ يوتى بهم شهدوا
 حق إذا جاءه المقصور لم يفدوا
 ح العبد قبضا إذا منها خلا الجسد
 ل العبد في القبر عما كان يعتقد
 لجنة الخلد بشرى من بها وعدوا
 في شأنها مالك بالغيظ يتقد
 مجالس الذكر حفوا من بها قعدوا
 إلا العليم الخبير الواحد الأحد

باب الإيمان بكتب الله المنزلة

١١٧. وكتبه يلهدى والحق منزلة
 ١١٨. ثم القرآن كلام الله ليس كما
 ١١٩. جعد وجههم وبشر ثم شيمتهم
 ١٢٠. تكلم الله رب العالمين به
 نورا وذكرى وبشرى للذين هدوا
 قال الذين على الإلحاد قد مردوا
 ألا فبعدا لهم بعداً وقد بعدوا
 فرلا وأنزله وحيا به الرشد

(٢) في المخطوطة (دون الإله)

(١) في المخطوطة (أو قاموا وابتعدوا)

(٣) في المخطوطة (كذا إلى ملك الموت الوفاة لروح العبد)

١٢١. تتلووه نسمعه نراه (١) نكتبه
 ١٢٢. وكل أعمالنا مخلوقة وكذا
 ١٢٣. وليس مخلوق القرآن حيث تلى
 ١٢٤. والواقفون فشر لحظة وكذا
 خطا ونحفظه بالقلب نعمت
 آلتنا السرق والأفلام والمسد
 أو عطف فهو كلام الله مسترد
 لفظية ماء ما راحوا (٢) وما قصدوا

باب الإيمان بالرسول عليهم السلام

١٢٥. والرسول حق بلا تفریق بينهما
 ١٢٦. وبالحق والإعجاز أيدهم
 ١٢٧. وفضل الله بعض المرسلين على
 ١٢٨. من ذلك أعطى لإبراهيم خاتمه
 ١٢٩. وكلم الله موسى دون واسطة
 ١٣٠. وكان عيسى ياذن الله يبريه من
 ١٣١. والكل في دعوة التوحيد ما اختلفوا
 ١٣٢. إلا شريعتنا الفراء فليس لها
 ١٣٣. إذ كان أحد نعم المرسلين فمن
 ١٣٤. وكان بعته للمخلوق قاطبة
 ١٣٥. ولم يسبق أحدا عنها الخروج ولو
 وكلهم للعصا المستقيم هدوا
 ربي على الحق ما خانوا وما فسدوا
 بعض بما شاء في الدنيا وما وعدوا
 كذا لأحمد لم يشركهما أحد
 حقا ومخط له التوارة فاعتمدوا
 علالت سوء ويحيى الميت قد فقدوا
 أما القروع ففيها النسخ قد تجد
 من ناسخ ما روى في أرضه أحد
 من بعده رام وحيا كاذب فسد
 وشرعه شامل لم يعده أحد
 كان النيون أحياء لها قصدوا

باب الإيمان باليوم الآخر

١٣٦. واليوم الآخر حق ثم ماعته
 ١٣٧. والموت حق ومن جاءت منه
 ١٣٨. ما إن له عنه من مستأخر أبدا
 ١٣٩. كل إلى أجل يجري على قدر
 ١٤٠. وفتنة القبر حق والعذاب به
 ١٤١. وللقيامة آيات إذا وجبت
 ١٤٢. من ذلك أن تستين الشمس طالعة
 ١٤٣. كذلك دابة للأرض تكلمهم
 ١٤٤. نزول عيسى لدجال فيقتله
 بمنتهى علمها الرحمن منفرد
 بأي حشف في المقدر مفتقد
 كلا ولا عنه من مستقدم يجد
 ما لا مريء عن قضاء الله ملتحذ
 لكافر ونعيم لألى معدوا
 فليس من توبة تجدى وتلتحد
 من حيث مغربها والمخلق قد شهدوا
 جهراً وتفرق بالتميز من تجد
 وفتح سد عباد ما لهم عدد

(١) في المخطوطة (تتلوه نسمعه حقا ونكتبه)

(٢) في المخطوطة (راحموا)

(٣) في المخطوطة (ولم يسبق) بالعين المهملة والهمزة متقارب

١٤٥. كذا الدخان وريح وهي (١) رسالة
 ١٤٦. وغيرها من أمور في الكتاب جرت
 ١٤٧. والنسخ في الصور حق أو لا فزع
 ١٤٨. والوزن بالقسط والأعمال محضرة
 ١٤٩. والجسر ما بين ظهري الجمع كما
 ١٥٠. يجوز الناس بالأعمال تحملهم
 ١٥١. كالبرق والطرف أو مر الرياح وكالـ
 ١٥٢. وذلك يمدو وإذا يمشي عليه وإذا
 ١٥٣. والنار حلق وجنات النعم ولا
 ١٥٤. هذى لأعدائه قد أرصدت أبدا
 ١٥٥. وحوض أحمد قد أعطاه حائقه
 ١٥٦. والرسل تحت لواء الحمد تحشر إذ
 ١٥٧. كذا المقام له محمود حيث به
 ١٥٨. وهو الشفاعة في فصل القضاء وفي
 ١٥٩. وفي عصاة أولي التوحيد يخرجهم
 ١٦٠. ويعدو يشفع الأملاك والشهداء
 ١٦١. فيخرجونهم أجمعاً قد امتحشوا
 ١٦٢. فيطرحون بنهر بنتون به
 ١٦٣. ثم الشفاعة ملك للإله ولا
 ١٦٤. فليس يشفع إلا من يشاء وفي
 ١٦٥. ويخرج الله أقواماً برحمته
 ١٦٦. وليس يخلد في نار الجمع سوى
 ١٦٧. يا عظم ما ركبو يا سواء ما تكبوا
- لقبض أنفس من للدين يعتقد
 ذكرى وصح بما في السنة المند
 فصحة فقيام بعد ما رقدوا
 في الصحف تنشر والأشهاد قد شهدوا
 في النص إن أحد إلا لها يرد
 عليه ليس القوى والعد والمدد
 جواد أو كركاب السوق تنشر
 زحفاً وإذا كب (٢) في نار به تقد
 نقول نفسى ولا ذا الآن تفتقد
 وذو لأحابه والكل قد غلدوا
 غوثاً لأمنه في الحشر إذ ترد
 ذاك اللوا لختام الرسل يتقد
 في شأنه كل أهل الجمع قد حمدوا
 فصح الجنان لأهلها إذا ولسدوا
 من الجمع ويلزمهم بما سجدوا
 والأنبياء (٣) وأتباع هم سعدوا
 من الجمع قد اسودوا ولقد حمدوا
 نبت الحبوب بسيل جاء يطرد
 شريك جل له في ملكه أحد
 من شاء حين يشاء الواحد الصمد
 بلا شفاعة لا يحصى هم عدد
 من كان بالكفر عن مولاه يمد
 عن رهم حجوا من فضله بعدوا

باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل في الدار الآخرة

١٦٨. والمؤمنون يرون الله عائقهم
 ١٦٩. يرونه في مقام الحشر حين ينـ
- يوم اللقا وعده الصديق الذي وعدوا
 ديهم ليتبع الأقوام ما عبدوا

(١) في المخطوطة (وهي) (٢) في المخطوطة (وإذا ما كب) وهو خطأ والصواب ما في النسخة المطبوعة .

(٣) في المخطوطة (وأنبياء) ولعله خطأ من الناسخ .

١٧٠. فيتبع الجحرم الأنداد تقدمهم
 ١٧١. والمؤمنون لولا هم قد انتظروا
 ١٧٢. إلا المنافق يبقى ظهره طبقاً
 ١٧٣. كذا الزيادة في يوم المزيد إذا
 ١٧٤. فالأنبياء كذا الصديق والشهدا
 ١٧٥. وغيرهم من أولى القوى مجالسهم
 ١٧٦. من فوقهم أشرف الرحمن جل ونا
 ١٧٧. يروونه جبهة لا يمترون كما
 ١٧٨. هناك يذهل كل عن نعيمهموا
 ١٧٩. وذا لهم أبدا في كل جمعهم
- إلى جهنم وردا ساء ما وردوا
 إذا تجلسى لهم سبحانه سجودوا
 إذ في الحياة إذا قيل اسجدوا مردوا
 على النجائب للرحمن قد ولدوا
 على منابر نور في العلى بعدوا
 كنان ملك ألا يا نعمة المهد
 داهم سلام عليكم كلهم شهدوا
 للشمس صحوأ يرى من ما به رمد
 بلذا النعم فيها نعمى لهم حمدوا
 بشرى وطوبى لمن في وفدهم يقد

باب الإيمان بالقدر خيره وشره

١٨٠. كذاك بالقدر المقدر تؤمن من
 ١٨١. ولا منافاة بين الشر والقدر الـ
 ١٨٢. فإن الإيمان بالأقدار مرتبط
 ١٨٣. إياه نعيد إذعائاً لشرعته
 ١٨٤. ونصين على كل الأمور به
 ١٨٥. أحاط علماً بما ربي وقدرها
 ١٨٦. من قبل إيجادها حقاً ومطرها
 ١٨٧. كيفية وزمان^(١) والمكان فلا
 ١٨٨. بقول كن ما يشاء أمضى بقدرته
 ١٨٩. وقدره العبد حقاً مع مثبته
 ١٩٠. إذ كان ذاتها وفعلها كله عدم
 ١٩١. من يهده الله فهو المهتدى وكذا
- خير وشر وذا في ديننا عمد
 محتم لكن أولوا الأهواء قد مردوا
 بالشرع ذا دون هذا ليس يعقد
 بالنهي من زجرين الأمر نعتد
 إذ كلها قدر من عنده ترد
 دقا وجل ومن يشقى ومن سعدوا
 في اللوح جفت بما الأقسام والمدد
 يعدو امرؤ ما قضاه الواحد الصمد
 بالخلق والأمر رب العرش مفرد
 لكن لما شاء منه الله نعتد
 إلا إذا جاءه من ربه المدد
 من شاء إحلاله أن له الرشده

مجمال أركان الإسلام

١٩٢. هذا وقد بنى الإسلام فادر على
 ١٩٣. هي الشهادة فاعلم والصلاة مع الـ
 ١٩٤. وذرورة الدين أعلاها الجهاد حمى
- خمس دعائم فاحفظ إفا العمد
 زكاة والصوم ثم الحج فاعتمدوا
 لحقه ولأهل الكفر مضطهد^(٢)

(٢) في المخطوطة (بمضطهد)

(١) في المخطوطة (وزماناً) وهو خطأ من الناسخ

جامع وصف الإحسان

١٩٥. هذا والإحسان في سر وفي علن أصل ومعناه عن غير السورى يرد
١٩٦. أن تعبد الله باستحضار رؤيته إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

باب نواقض الإسلام أعادنا الله منها

١٩٧. وليس يخرج من الإسلام داخله إلا بالنكار ما فيه به يرد
١٩٨. أما المعاصي التي من دون ذلك فلا تكفير إلا لمن للحمل^(١) يعتقد
١٩٩. والكفر إن كان عن جهل الكفور فكـ ذنب ككفر قریش حينما مردوا
٢٠٠. أو كان عن علمه فهو الجحود ككـ سفار اليهود الألى بالمصطفى جحوا
٢٠١. أو بالإباء مع الإقرار فهو عـا د كالرجيم إذ الأملاك قد سجدوا
٢٠٢. أو أبطن الكفر بالإسلام مستترا فهو النفاق فهذه أربع نرد
٢٠٣. مقابلات لقول القلب مع عمل منه وقول لسان معه يعتقد
٢٠٤. كذا لسائر أعمال الجوارح لأعـ لم أربع قابلتها فامسوى العدد

باب شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم

وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق

٢٠٥. والشرك قد جاء منه أصغر وهو الـ شرياء من^(٢) سوى الرحمن ما عبوا
٢٠٦. كمن يعلى لربي ثم زينها لما يرى أن إليه ناظر أحد
٢٠٧. كذلك الحلف بالمخلوق من وثن كذا الأمانة والآباء والنولد
٢٠٨. وبالشهادة لالساهي يكفر كي يقر في القلب معانها ويرصد
٢٠٩. ويحولو لا فلان كان كيت وما شاء الإله وشئت الكل منتقد
٢١٠. وهكذا كل لفظ فيه تسوية بسا لله جل ولكن ليس يعتقد
٢١١. ولا نفاء التساوي جاز ثم مكـ ن الواو نعا وأهل العلم ما اتفقوا
٢١٢. والكفر والظلم لأعلم والفسوق كذا الـ نفاق كل على نوعين قد يرد
٢١٣. فالكفر بالله معلوم وصمى بالـ كفر القتال لسذي الإسلام يعمد
٢١٤. والظلم للشرك وصيف ثم أطلق في نظام الخلق منه العيش والحمد

(٢) في المخطوطة (ومن) والصواب ما في المطبعة

(١) في المخطوطة (الحل) بالخاء المهملة وهو الصواب

٢١٥. والفسق في وصف إبليس اللعين أنسى
 ٢١٦. كذا النفاق أنسى في الكفر أقبحه
 ٢١٧. أو خاصموا فجروا أو عاهدوا غلروا
 والخائنين ومسن إن حثلوا فندوا
- باب معنى النصوص التي فيها نفى الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي
٢١٨. وحيث ما نفى الإيمان في الر
 ٢١٩. فالمستحل أو المقصود فارلقه
 ٢٢٠. أو المراد به نفى الكمال وعن
 ٢٢١. تكون أروهب أما أن تكفهره
 ٢٢٢. أن ألت الله للجاني الأخوة والإ
- عمن عصي من (١) التوحيد قد عقدوا
 إيمانه حالة العصيان يصطمد
 تفرها بعض أهل العلم قد قصدوا
 فقد رددنا على القرآن إذ نجد
 إيمان ما قال فيه كافر وعدو

باب التوبة وشروطها

٢٢٣. وتقبل التوبة اعلم قبل حشجة الـ
 ٢٢٤. شروطها يا أخي الإقلاع مع لدم
 ٢٢٥. وإن يكن فيه حق الأدمى فتخل
- باب حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء بالأنواء والعين
٢٢٦. والسحر حق وقوعاً باطل عملاً
 ٢٢٧. وحكمه الكفر في نص الكتاب أنى
 ٢٢٨. ثم الكهانة كفر والتنجيم والتطير
 ٢٢٩. والعين حق وبالمقدور لورقها
- فمنه حرز (٢) ومنه النفس والمقد
 وحده فاعله بالسيف يختص
 بم والنسوء ممن فيه يعتقد
 وليتمس عالمن منها لمن يجد

باب حكم الرقي والتعاليق

٢٣٠. ثم الرقي إن تكن بالوحي دون تهـ
 ٢٣١. وللصحابة خلف في تعلق آيـ
 ٢٣٢. والمنع أولى فأما ما عده فلا
- رف ولا صرف للرب ليس ينتقد
 سات الكتاب وورد للنبي يرد
 خلاف في منعه إذ فيه مستند

باب الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم

٢٣٣. ثم الخليفة من عبد النبي هو الـ
 ٢٣٤. وبعده عمر الفاروق ذاك أبو
- صديق أسعد من بالمصطفى سعدوا
 حفص له الضد والأعران قد شهدوا

(٢) في المخطوطة (خرز) بالخاء

(١) في المخطوطة (فمن) وهو خطأ من النسخ

ولعله خطأ من النسخ

٢٣٥. كذلك عثمان ذو النورين ثالثهم
 ٢٣٦. كنا علي أبو السطين رابعهم
 ٢٣٧. فهؤلاء بلا شك خلافتهم
 ٢٣٨. وأهل بيت النبي والصحاب قاطبة
 ٢٣٩. والحق في فتنة بين أصحاب جرت
 ٢٤٠. والنصر أن أبا السطين كان هو الخ
 ٢٤١. تبارك الله حقاً لناصبه
- بظلمه بآء أهل البقي إذ قصدوا
 بالحق معتضد للكفر مضطهد
 بمقتضى النص والإجماع منعقد
 عنهم نذب وحب القوم لعقد
 هو السكوت وأن الكل مجتهد
 ——— من رد هذا قوله فسد
 قبحاً لما رفته ضلوا وما رخصوا

باب وجوب طاعة أولي الأمر

٢٤٢. ثم الأئمة في المعروف طاعتهم
 ٢٤٣. ولا يجوز خروج بالسلاح عليها
 ٢٤٤. أما إذا أظهروا الكفر البواح فقا
- مفروضة وف بالعهد الذي عقدوا
 م ما أقاموا على السماع واقتصدوا
 تنوا أئمة كفر حيثما وجدوا

باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٤٥. ثم النصيحة قل لرض بكل مما
 ٢٤٦. لله والرمول والقـرآن ثم ولا
 ٢٤٧. والأمر بالمعروف مع علم به ولعمـ
 ٢٤٨. كذلك النهي عن نكر ومورده
- نيتها هي الدين فاعلم إذ هي العمـد
 ة الأمر ثم عموم المسلمين هدوا
 وخذ وأعرض عن الجهال يتشدوا
 قول فسخطا إذا لم تستطعه يد

باب الشرع وأصول الفقه

٢٤٩. والشرع ما أذن الله العظيم به
 ٢٥٠. ما روى العدل محفوظاً ومتصلاً
 ٢٥١. والقول والفعل والتقرير حيث أتى
 ٢٥٢. إلا إذا جاء برهان يخلصه
 ٢٥٣. والأصل في الأمر فاعلم للوجوب فلا
 ٢٥٤. والنهي للحظر إذ لا نص يصرفه
 ٢٥٥. ومستوى الطرفين ادع المباح فلا
- من الكتاب وآثار النبي ترد
 عن مثله صح مرفوعاً به السند
 عن الرسول فتلتشريع يعتمد
 بالمصطفى أو بشخص فيه ينفرد
 يصار للنـدب إذ لا صارف يرد
 إلى الكراهة هذا الحق يعتصد
 يلام في فعله أو تركه أحد

و عكسه سبب يفريه مجتهد
 عليه أو نفسى حكم حين يقتد
 نقيضه باطل ليست له عمد
 فرضاً وندباً وحظراً عنه يعتمد
 وحدها عزمة بالأصل تعتقد
 إلا إذا جاء بنقل الأصل مستند
 وأمكن الجمع فهو الحق يعتمد
 نسخاً لحكم الذي من قبله يرد
 جرح عليها احتوى من أو السند
 وعصى ما عم بالتخصيص إذ تجد
 كذا على النفسى فالإثبات معتقد
 وهكذا فاعتبر إن أنت متقد
 أو كان أولى بها فالحكم يطرد
 نص الشريعة كالتفصيلين إذ جعلوا
 إن ابتاعك فلتعلم هو الرشد
 لكن رد المورد العذب الذي وردوا
 بصائر كم بما ينحل معتقد
 مواقع الشرع والتويل قد شهدوا
 عال الرمبول وأقوال له ترد
 لم بعده الحق فليعلمه مجتهد
 يوافق النص فهو الحق معتقد
 إذ هم ينص رسول الله قد رشدوا
 من الأئمة للحق المبين هدوا
 إجماعهم مالك كالتنص يعتمد
 مرضى حقاً وحجاً وحجاً حمدا
 وزاع فاعلم ومن أقرافهم عدد

٢٥٦. وما به ينفي حكم فمانعه
 ٢٥٧. والشرط ما رب الإجزاء وصحة
 ٢٥٨. ونافذ وبه اعتد الصحيح كما
 ٢٥٩. ثم الرخصة تعطى حكم غايتها
 ٢٦٠. والرخصة الإذن في أصل لعذرة
 ٢٦١. والأصل أن نصوص الشرع محكمة
 ٢٦٢. وأي نص أنسى مثل يعارضه
 ٢٦٣. وحيث لا ودويت الآخر النص به
 ٢٦٤. أولاً لرجح متى تبدو قرائن تر
 ٢٦٥. والمطلق أجل على فعوى مقبده
 ٢٦٦. والحظر قدم على داعي إباحته
 ٢٦٧. كذا الصريح على المفهوم فالنص به
 ٢٦٨. وأي فرع أنت في الأصل عنه
 ٢٦٩. ولا تقدم أقاويل الرجال على
 ٢٧٠. ولا تقلد وكن في الحق متبعاً
 ٢٧١. إذ الأئمة بالتقليد ما أذنوا
 ٢٧٢. ولتسمن بفهوم القوم إن قسم
 ٢٧٣. وأعلم الأمة الصحب الألى حضروا
 ٢٧٤. أدري الأنام بغير الكتاب والـ
 ٢٧٥. إجماعهم حجة قطعاً وعملهموا
 ٢٧٦. إردد أقاويلهم لمحور النصوص فما
 ٢٧٧. ما لم تجد فيه نصاً قدم الخلفا
 ٢٧٨. فالتابعون بأحسان فتابعهم
 ٢٧٩. كالسبعة الأئمة الزهر الذين يرى
 ٢٨٠. وابن المبارك والبصري هو الحسن الـ
 ٢٨١. كذلك سليمان مع سليمان ثم لى الأ

٢٨٢. ثم الأئمة نعمان ومالكهم
 ٢٨٣. وغيرهم من أولى الفتوى (١) الذين لهم
 ٢٨٤. أولئك القوم يحيي القلب إن ذكروا
 ٢٨٥. أئمة النقل والنصر ليس لهم
 ٢٨٦. أخبار منته أنهار منته
 ٢٨٧. أعلامها نشرروا أحكامها نصرروا
 ٢٨٨. هم الرجوم لسراق الحديث كما
 ٢٨٩. بدور ثم سوى أن البدور لها
 ٢٩٠. وهم مدى الدهر مازالت آثارهم
 ٢٩١. أولئك الملأ العر الألى ملأوا
 ٢٩٢. كل له قدم في الدين راسخة
 ٢٩٣. فإن أصاب له أجران قد كمل
 ٢٩٤. والحق ليس بفرد قط منحصر
 ٢٩٥. صلى عليه إله العرش فطاهره
 ٢٩٦. والآل والمحب ثم التابعين لهم
- والشافعي أحد في ديننا عمد
 بصائر بضياء الوحى تنقد
 ويذكر الله إن ذكراهموا تردد
 سوى الكتاب ونص المصطفى سند
 لا يعدلون بما قاله أحد
 أعذاؤها كسروا نقاها نقدوا
 لكل مسترق شهب السما رصد
 غريبة أبدا والنقص مطرد
 في جدة والمجلاء منذ ما وسدوا
 الأقطار علماً وغير النص ما اعتقدوا
 وكلهم في بيان الحق مجتهد
 والأجر مع غطته والعفو متعد
 إلا الرسول هو المعموم لا أحد
 مسلماً ما بأقلام جرى المدد
 والحمد لله لا يحصى له عدد

(١) في المعطوفة من أولى الفتوى ولعله الصواب .

المطلب الثاني خطبة المؤلف

النص :

الحمد لله لا يحصى له عدد ولا يحيط به الألفاظ والمعدد

المفردات : المدد : المداد الذي يكتب به^(١)

يبدأ الناظم رحمه الله -منظومته- بحمد الله امتثالاً لأمر النبي ﷺ القائل (كل أمر ذي بال لا يبدأ بالحمد فهو أجذم)^(٢) وقد درج الأمراء والعلماء والخطباء منذ العهد النبوي على افتتاح كلامهم بالحمد لله أتباعاً للنبي ﷺ واقتداء به إذ كان يصدر كلامه وكتبه للسلوك والأمراء بتسمية الله وحمده ، ولذلك سميت خطبة زياد بن أبيه التي لم يبدأ فيها بذكر الله بالبترء ، وقد أشار الناظم رحمه الله في قصيدة له بهذا المعنى بقوله^(٣)

الحمد لله الذي هو أهله إذ كل أمر منه يخلو أجذم

وقد وردت (الحمد لله) كجزء من آيات كثيرة في القرآن الكريم ، منها ما قاله الله تعالى عن نفسه كقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢] ومنها ما حكاه عن أنبيائه كقول إبراهيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَعَبَّ لِي عَلَى الْكَبِيرِ اسْتَجِيبْ لِذُنُوبِي إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ومنها ما حكاه عن أهل الجنة كقولهم ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَلَّاَنَا وَعَفَا عَنْهُ وَأَوْثَقَا الْأَرْضَ نَقْبًا مِنْ أَلْحَنِّ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] وقوله تعالى ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٠٠] .

وقول الناظم (لا يحصى له عدد إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَلَنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] . فيقدر النعم من الله يكون الحمد من العباد ، فإذا كانت نعم الله لا تحصى فيجب أن

^(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٩٨ .

^(٢) أخرجه عبد القادر الزهاوي كما في الجامع الصغير للسيوطي ، قال النووي في شرح مسلم ٤٣/١ وفي رواية : بحمد الله ، وفي رواية : بالحمد فهو أجذم ، وفي رواية : أجذم .

^(٣) من قصيدة للشبيح حافظ الحكيمي ألقاها في حفل عيد الأضحى عام ١٣٦٨ هـ وهي في السط الحواشي ص ١٠٣-١٠٥ .

يكون حمد العباد لا يحصى كذلك ومن رحمة الله وفضله علينا أنه قبل منا هاتين الكلمتين لشكر نعمه الكثيرة، فقد روى مسلم عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : [إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويذهب الغربة فيحمده عليها^(١)].

وقول الناظم {ولا يحيط به الأقلام والمدد} عطف على (لا يحصى له عدد) والمعنى أن هذا الحمد يجب أن يكون كثيراً جداً حتى لا تقدر الأقلام والمداد على إحصائه وإحاطته، وفي هذا القول اقتباس من قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قِيلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَذَابًا ۚ ﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقوله أيضاً ﴿ وَتَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِمْ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٧].

النص :

حمداً لربّي كثيراً دائماً أبداً في السر والظهر في الدارين مسترد
المفردات مسترد : متتابع ، جاء في السمان (السرد في اللغة تقدمه شيء إلى شيء تأتي به متساقاً وبعضه في أثر بعض متتابعاً)^(٢).
يواصل الناظم -رحمه الله- وصفه لحمد الله فيقول إنه يحمد الله حمداً كثيراً في سره وجهره حمداً متتابعاً في الدنيا والآخرة.

النص :

ملء السماوات والأرضين أجمعها وملء ما شاء بعد الواحد الصمد
وهذا الحمد يكون ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما، وقد أخذ المصنف هذا الوصف للحمد من دعاء النبي ﷺ عند رفعه من الركوع (اللهم ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد)^(٣).

^(١) أخرجه مسلم ص ١٠٩٤ حديث رقم ٢٧٢٤ .

^(٢) لسان العرب مادة ج ١١ ص ٢١١

^(٣) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل حديث رقم ٧٧١ ص ٣٠٥ .

النص :

ثم الصلاة على خير الأنام رسول الله أحمد مع صعب به سعدوا

وبعد (الحمد لله) يصلي الناظم -رحمه الله- على النبي ﷺ خير الأنام وسيد ولد آدم وعلى صحبه الذين سعدوا برؤيته واتباعه والمجاهدين تحت لوائه.

النص :

وأهل بيت النبي والآل فاطمة والتابعين الأولي للدين هم عضدوا

ويصلي الناظم أيضاً على أهل بيت النبي ﷺ ويعطف على الآل، وهو بهذا العطف يجعل الأهل غير الآل المعطوف عليه، وكأد الناظم هنا يذهب إلى قول من قال إن أهل البيت هم أزواج النبي ﷺ خاصة لا رجل معهم وهو قول عطاء وعكرمة وابن عباس وابن السائب ومقاتن، فقد ذهبوا إلى أن أهل البيت أريد به روحات النبي وهن من أهل بيته لقوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) (١).

وقد ذهب جماعة في تفسير (أهل البيت) إلى أنه خاص في الرسول ﷺ وعلى فاطمة والحسن والحسين، وهو أبو سعيد الخدري وروى عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك (٢).

وذهبت فرقة ثالثة في تفسير (أهل البيت) إلى أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه وهو قول الضحاك. قال ابن الجوزي وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال الذين هم آله قال: والمغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً لقوله (عنكم) بالميم ولو كانت للنساء لم يحز إلا (عنكن) (٣). قال القرطبي : (والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم وإنما قال ويظهركم لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحبياً كان فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فافتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيها والمخاطبة لمن يدل عليه سياق الكلام) (٤).

(١) زاد المسير ج ٦ / ص ٣٨١ . وتفسير القرطبي ج ١٤ / ص ١٨٢ .

(٢) زاد المسير ج ٦ / ص ٣٨١ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) مسير القرطبي ج ١٤ / ص ١٨٣ .

النص :

والرسل أجمعهم والتابعين لهم من دون أن يعدلوا عما إليه هدوا
ويواصل الناظم -رحمه الله- صلاحته على الرسل وتابعيهم الذين لم ينحرفوا عما جاعوا به
من التشريع ، (أما أتباع الرسل الذين حرفوا ما جاء به أنبيائهم فهم خارجون من هذه الصلاة).

النص :

أزكى صلاة مع التسليم دائمة ما إن لها أبداً حد ولا أمد
فهذه صفة الصلاة التي يريد بها الناظم لمن سردهم آتفاً، لا أمد لها تقف عنده ولا حد تنتهي
إليه.

النص :

وبعد ذي في أصول الدين جوهرية فريضة بسنا الترحم تنقد
بشرح كل عري الإسلام كافلة ونقد كل الذي أعداؤه عقيدوا
الشرح: يبدأ الناظم هنا بالتعريف بمظومته التي سماها (الجوهرية الفريدة) فيقرظها ويقول إنما
جوهرية تنقد بنور التوحيد لما اشتملت عليه من الأصول الصحيحة التي ينبي عليها الدين هذه
المظومة التي تشرح كافة أصول الإسلام وتبينها بياناً شافياً وتفتد كل ما قاله أعداء الإسلام
وخصومه من مقالات مخالفة وبدع مستحدثة.

النص :

وما أبرئ نفسي من لوازمها وأحمد الله منه العون والرشد
والله أسأل منه رحمة وهدي فضلاً ومـآلي إلا الله مستند
الشرح : ولا ينسى الناظم -رحمه الله- أن يعترف في آخر هذه المقدمة بقصوره البشري
فيقول إنه لا يبرئ نفسه من لوازمها^(١)، ثم يدعو الله أن يرحمه ويهديه تفضلاً وإحساناً لأنه لا
يعتمد في جميع أحواله على أحد غيره.

^(١) نورمها: الأشياء الملاممة لها، ولعله أراد بها الخطأ والنسيان الملازم للنفس البشرية. انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٥٤٢

المطلب الثالث

(مقدمة في براءة المتبعين من جراءة المبدعين^(١) والتراءات المبتدعين^(٢)):

النص :

إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

الشرح : في هذا البيت يتبرأ الناظم -رحمه الله- من الأهواء جميعها دون تمييز ولم يكتف الناظم بالبراءة من الأهواء حتى أتبعها البراءة مما ولدته هذه الأهواء من أهواء أخرى، فمن المعلوم أن الباطل لا يلد حقاً وإنما يلد باطلاً مثله، ثم تبرأ الناظم من أولئك الذين ابتدعوا هذه الأهواء فقال: (ووالديها) وختم البيت بكلمة تقريع بليغة هي قوله : (ساء ما ولدوا) وقد ورد مثل هذا التقريع في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [مائدة: ٦٦] وقوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥] وقوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٩] وغيرها كثير.

النص :

والله لست بجهمي أعما جلد يقول في الله قولاً غير ما يرد

الشرح : وفي هذا البيت يقسم الناظم -رحمه الله- بالله العظيم أنه ليس (بجهمي) أي أنه ليس ممن يقولون بمقالة جهم بن صفوان^(٣). وقد ظهر جهم في زمان صفار التابعين بمقالاته

(١) لبدّعين: مفرد ما مبتدع، وهو الذي ينسب البدعة لغيره، انظر لسان العرب ج ٨ ص ٦.

(٢) المبتدعين: مفرد ما مبتدع وهو الذي يأتي بشيء جديد في الدين بعد اكتماله. المرجع السابق. ج ٨ ص ٦.

(٣) جهم هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسي مولاهم السمرقندي قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء رأس الضلالة ووضع في ميزان الاعتدال بقوله الضال المبتدع رأس الجهمية، لجهم بن صفوان ترجمة في: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٦ ص ٢٦ والمخطط المقرئ للمقري ج ٢ ص ٣٤٩ وميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٢٦ ولسان المبرور ج ٢ ص ١٧٩، وأعلام للوركني ج ٢ ص ١٤١.

الفاسدة فاضل كثيرا، وكتاب الحارث بن سريج التميمي^(١) أيام خروجه على نصر بن سيار^(٢) في خراسان آخر أيام بني أمية، فقبض عليه سلم بن أحور وقتنه في ١٢٨هـ على شط لمربلخ.

أما مقالات جهم الضالة فتلخص في أنه يرى : (٣)

- ١- أن الجنة والنار تفيان كما تفي سائر الأشياء.
- ٢- إضافة الفعل إلى الله وفيه عن العبد.
- ٣- أن علم الله حادث ، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون.
- ٤- أن الله تعالى لا يوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ فلا يجوز في حقه أنه عالم أو حي أو مريد أو موجود لأن هذه الصفات تطبق على العبيد وقال إنما يقال في وصفه : إنه قادر موحد فاعل خالق محي مميت ، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد.
- ٥- أن كلام الله -أي القرآن- مخلوق ولكن لا يجوز أن يسمى متكلمًا بكلامه.
- ٦- أن الإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وفعل وعمل، ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة واحد إذ المعارف لا تتفاضل.

وقد كان لمقالات جهم الضالة أثرها البالغ في إضعاف العقيدة الإسلامية في زمانه وبعد زمانه خاصة مقالاته في خلق القرآن التي تبناها الخليفة المأمون أحد معتزلة خلفاء بني العباس وامتحن بها العلماء، وأزهق بسببها الأرواح وكادت الردة أن تعم لولا أن قبض الله أحد العلماء الأفذاذ وهو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ) فوقف في وجه هذه الضلالة وتصدى لها بكل قوة وتحمل بسببها المضاعب حتى كتب الله الغلبة لأهل الحق على أعدائه من المعتزلة ، وقد

^(١) حارث بن سريج التميمي من أمراء الدولة الأموية خرج أولاً ولحق بالرك صا لأهم على المسلمين ثم تاب وعاد إلى المسلمين ثم خرج على الدولة بخراسان في ولاية نصر بن سيار فقتل ونصب رأسه على باب مرو سنة ١٢٨هـ أنظر تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٢ والبداءة والنهاية ج ١٠ ص ٢٦.

^(٢) آخر أمراء خراسان لبني أمية، كان محارباً شجاعاً وشاعراً مجيداً، توفي سنة ١٣١هـ عن خمس وخمسين سنة. أنظر البداءة والنهاية ج ١٠ ص ٣٧.

(٣) أنظر النصارى في الدين للإسفرابين ص ٦٣-٦٤ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٦-٨٨ أنظر أيضاً الفرق بين الفرق لسعدادي ص ١٩٩-٢٠٠ والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٥ ص ٧٣ والخوارزمي لأبي سعيد بنون الحميري ص ٢٢٦.

كان الإمام أحمد - رحمه الله - ومن شايعه من العلماء - هو السبب في دحر هذه الدعة ومخمودها بعد ذلك^(١).

وقد تصدى للرد على الجهمية وتفنيد آرائهم كبار علماء الأمة وأفردوا لذلك المصنفات الحيلة، ومن ألف في الرد عليهم :

الإمام أحمد بن حنبل في كتابه (الرد على الجهمية والزندقة).

والإمام الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية).

والإمام ابن منده في كتابه (الرد على الجهمية).

وشيوخ الإسلام في كتابه (بيان تبليس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية).

والإمام ابن قيم الحوزية في كتابه (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة).

وللعلماء أيضاً ردود كثيرة على الجهمية منشورة في مواضع متفرقة من مصنفاتهم ولا تزال الدراسات تترى في إظهار بطلان هذه العقيدة الفاسدة حتى زماننا الحاضر، لأن لأولئك ورثة لا يرأون يشرون أفكارهم، ومنها كتاب (الحق الدامغ) للمعاصر أحمد الخليلي فقد حصصه لإنكار رؤية المؤمنين يوم القيامة والدعوى بخلق القرآن وتخيل العصاة في النار.

فقول الناظم - رحمه الله - (يقول في الله قولاً غير ما يرد) يعني به ما ذكرناه من أقوال جهم

بن صفوان في صفات الله عز وجل وكلامه في أفعال العباد ومعنى الإيمان وغيرها، فأقواله كما يتصح لكل ذي بصيرة لم ترد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ، بل في الكتاب والسنة مل يدحضها ويرد عليها ويظهرها.

(١) انظر تفصيل صحة خلق القرآن في فصول من كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج أبي الجوزي.

النص :

يكذبون باسماء الإله وأو صاف له بل لذات الله قد جحدوا

الشرح :

الكلام هنا متصل بالبيت السابق الذي يتحدث عن الجهمية، وقوله يكذبون باسماء الإله وأوصاف له .. يعني قولهم الذي بيناه آنفاً في أسماء الله وصفاته وهو أن الله لا يوصف بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في سنته، فلا يجوز أن يقال في حقه أنه حي، أو عالم، أو مريد، أو موجود، بل يقال في وصفه أنه قادر، موجد فاعل، خالق، حي وميت، ومقالة الجهمية واضحة البطلان لأن الله تعالى وصف نفسه في كتابه العزيز بما أكرهه فقال في صفة العلم ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال في صفة الحياة : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . وقال : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [البقرة: ١٥٨] . وقال : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . وقد أنكرت الجهمية هذه الصفات وأنكرت ما عليه نص التنزيل.

وقول الناظم - رحمه الله - (بل لذات الله قد جحدوا) يعني هذا لازم مذهبهم ، لا أنهم قالوا به صراحة، فالجهمية حين بدأت في نفي الصفات واحدة بعد الأخرى لم يبق لديها هناك من يوصف، فتفهم للصفات يلزم منه نفي الموصوف.

النص :

كلا ولست ربي من مشبهة إذ من يشبهه معبوده جسد

الشرح :

في هذا البيت يتراء الناظم - رحمه الله - من أن يكون من المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، وذلك لأن العقيدة السليمة التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي تنزيه الله

تعالى عن المشابهة والمحاكاة بالخلق، والأصل في ذلك قوله تعالى في عكم التنزيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (النور ١١) فهذه الآية تنفي نفياً باتاً أي نوع من المحاكاة أو المشابهة بين الخالق والمخلوق. وثبت في الوقت نفسه صفات الله تعالى التي أمرنا بتصديقها والإيمان بها، ففي الآية نفى وإثبات نفى للمثلية وإثبات للصفات من غير تمثيل ولا تكيف وعلى هذا الاعتقاد كان السلف الصالح رضي الله عنهم .

والمشبهة الذين يعيهم الناظم في هذا البيت هم جملة من يشبه الله بخلقه، وهم طوائف متعددة ذكرها الأئمة وفصلوا القول فيها ، فأول من ظهر من المشبهة في الإسلام هم السبئية^(١).

ومن المشبهة : فرقة الكرامية^(٢) وفي الفرق بين الفرق للبعدادي (أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحت والجهة التي منها يلاقي عرش).

وقد انقسمت الكرامية إلى اثني عشر فرقة ذكرها العلماء في مصنفاتهم وذكرها منها المعري^(٣). فهذه أبرز طوائف المشبهة التي ذكرها الأئمة والمؤرخون ، والكلام عنها مسروط في مدوناتهم^(٤).

النــــــــــــــــص :

ولا بمعتزلي أو أخا جر في السمات على الأقدار ينتقد

الشرح :

في هذا البيت يتبرأ الناظم - رحمه الله - من طائفتين هما المعتزلة وأهل الخبر وقد أوردهما الناظم هنا معاً في سياق واحد لأنهما ضدان فكأنه يقول لا أنا مع هذا ولا ذاك:

^(١) أصحاب عبد الله بن ماب اليهودي الذي ظهر أيام الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وقالوا بالوهمية علي بن أبي طالب فحرقهم. أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ والفصل في الملل والنحل ج ١ ص ١٦٤.

^(٢) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام مؤسس الفرقة. أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ والملل والنحل ج ١ ص ١٢٤.

^(٣) المعوية أتباع المغيرة بن سعيد العملي الذي كان يقول إن للمعبود أعضاء وأن أعضاءه على صورة حروف الحاء. أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٦.

^(٤) أنظر التبصير في الدين ص ٦٠، ٧٣ والملل والحل ج ١ ص ١٠٨ والفرق بين الفرق للبعدادي ص ١٣١.

ومن أراء المعتزلة ما يأتي :

١- سموا أنفسهم أهل التوحيد وأهل العدل ولهم كتب منها كتاب عبد الجبار في الأصول الخمسة وعرفوا التوحيد بأنه نفي الصفات كلها عن الله عز وجل وإثبات الأسماء مجردة من المعاني^(١).

٢- العبد يخلق فعله خيراً وشرّاً.

٣- الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين المنزلتين خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر يعامل في الدنيا معاملة المسلم وفي الآخرة مخلد في النار إنفاذاً للعيد وهو أن من ارتكب معصية على وعيد بالنار يجب على الله إدخاله النار وإذا دخلها لا يخرج منها لأنهم ينكرون أحاديث الشفاعة في إخراج العصاة من النار.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه الخروج على أئمة الجور.

هذه اتفاقات فرق المعتزلة وأما اختلافاتهم يستحيل سردها في هذا المقام لطولها وتعقدها، وقد ألف الأئمة في فضائح المعتزلة وتبيان فساد عقائدهم مصنفات جليلة كشفت عن زيفهم وانحرافهم. فمن أراد التوسع في معرفة عقائد المعتزلة فعليه بتلك الكتب القيمة، وأما أهل الجور الذين تبرأ منهم الناطم مع المعتزلة فيسمون المجرة وهم الذين يقولون بإضافة الفعل الإنساني إلى الله ونفيه عن العبد. والجيرية صنفان:

١- الجيرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

٢- الجيرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً^(٢).

^(١) فأما المعتزلة أو القدرية فهي فرقة كبيرة ظهرت على يد واصل بن عطاء وعمر بن عبيد أهام فتنة الأزارقة ولم تسرل هذه الفرقة تنمو وتنتشر بين كبار رجال الدولة من قواد ووزراء حتى استطاعت أخيراً أن تستميل إليها أمير المؤمنين آنذاك وهو (المأمون العباسي) الذي جعل من آرائها ديناً رسمياً للدولة حمل الناس إليه بالقوة وامتنعهم فيه قهراً. يمكن مراجعة فرقة المعتزلة في: الملل والمحل ج ١ ص ٩٦، ٥٦ الفرق بين الفرق ص ٩٣-١٨٩، التصدير في الدين ص ٢٣٥-٣٥١. كما يراجع الكتاب المخصص لذلك وهو طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، وكتاب المية والأمل شرح الملل والنحل لابن المرتضى البسامي ص ١٢٢-٢١٥.

^(٢) أظفر الملل والنحل ج ١ ص ٩٧.

وقول الناظم : بالسيئات على الأقدار ينتقد يعني أن المجري يعمل السيئات ويدعي أنه مجبور على فعلها ويحتج بالقدر على فعله لها (١).

النص :

كلا ولست بشيبي أخا دخل في قلبه لصحاب المصطفى قد

الشرح :

يواصل الناظم - رحمه الله - تراءه من فرق الضلال فيذكر الشيعة ويبرأ منهم.

الشيعة في اللغة : الأنصار وقال الراغب الأصفهاني : (الشياح : الانتشار والتقوية يقال شاع الخير أي كثر وقوى وشاع القوم انتشروا وكثروا، وشيعت النار بالحطب قويتها، والشيعة من يتقوى بهم الإنسان ينتشرون عنه، ومنه قيل للشجاع مشيع، ويقال شيعة وشيع وأشياع قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [صافات ٨٣] و ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [همز ١٥].

وقد أطلق اسم الشيعة أولاً على أنصار الإمام علي رضي الله عنه الدين وقفوا معه في حرره المتتالية مع أصحاب الجمل وأهل الشام والمحكمة، فكان هذا الاسم ذا مدلول سياسي بحسب لا يعني أكثر من معناه اللغوي ثم لم يلبث أن اتخذ مدلولاً دينياً وعقدياً بسبب الأحداث التي أعقبت مقتل الإمام علي ومقتل ابنه الحسين من بعده، فبعد كثير من التآمر واستغلال أجواء الفتنة ومشاعر المسلمين الذين فجعوا في مقتل أبناء الرسول ﷺ نجح أعداء المسلمين من اليهود والمنسدين في صغوف الأمة في تحويل فكرة الشيعة من مصاها المعروف إلى عقيدة دينية لها أصولها وفروعها وفلسفتها المتكاملة.

والشيعة ويسمون الرافضة وقد بين الإمام أحمد أن الرافضة الذين يسمون ويشتمون أبا بكر وعمر بل ويكفرون الصحابة فمن كان كذلك فهو رافضي وإن سمي نفسه شيعياً وهي فرقة كبيرة تنقسم إلى عشرات الفرق وقد انقرضت كثير من الفرق ولم يبق منها الآن إلا

(١) ومن الفرق الهرة الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو ، والجهمية أصحاب الجهم بن صفوان والحارثية أصحاب الحسين بن محمد الحارثي الطلي والجل ج ١ / ٩٧ ، المبة والأمل من ٢٣ .

الإمامية^(١) الاثني عشرية والإسماعيلية^(٢) والزيدية^(٣) وبعض الغلاة المتفرقون في العالم، وقد انبرى العلماء ومؤرخوا الفرق لتحديد فرق الشيعة وبيان بطلان معتقدها، فصنفوا في ذلك الكتب الكثيرة.

وأقرب الشيعة إلى أهل السنة هم الزيدية^(٤) الذين يقرون بإمامة أبي بكر وعمر ويقولون بجواز إمامة المفضول على الفاضل، وقد اتفق الشيعة الرافضة على:

- ١- قولهم بأفضلية علي بن أبي طالب على جميع الصحابة.
- ٢- قولهم بعصمة الأئمة وأن العصمة تنتقل من إمام إلى إمام بالتوارث.
- ٣- بقصمهم للصحابة رضي الله عنهم ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها... ومن فرق الشيعة من يكفر الصحابة^(٥) وهم الرافضة.

النــــص :

كلا ولا ناصبي ضد ذلك بل حب الصحابة ثم الآل نعم

^(١) الإمامية الاثني عشرية: من أكبر طوائف الشيعة سميت بذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من سبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من أهم مقالاتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعده، مخالفه الصحابة فكفروا بذلك، وأن الإمامة ركن من أركان الإسلام وهم يرون عصمة أئمتهم، والقول بالتاسخ والرجعة إلى غير ذلك من الأباطيل.

^(٢) الإسماعيلية ويقال لهم الباطنية وقرامطة وغير ذلك، وهي من فرق الكفر لقولها بالوحيه علي بن أبي طالب، وهم يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل ويدعون أن دور الإمامة انتهى إليه لأنه سابع واحتجوا بأن السموات سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة فدل على أن دور الأئمة يتم بسمة أئمة التصوي في الدين ص ٣٨ وتليس ببليس ص ١٢٥.

^(٣) من فرق المسلمين وهم المنتسبون لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من عقائدهم أهم بعضون علماً ويقدمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكنون عن عثمان ولا يشتمون الشيخين ولا عائشة ولا سائر العشرة ولكنهم يحطون على معاوية. أنظر: الفرق بين الفرق ص ١٦ ومعارح القول ح ٣ ص ١١٨.

^(٤) أنظر دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين للدكتور أحمد محمد جلي ص ٢٤٨.

^(٥) أنظر مقالات (الإسلاميين) للأشعري ح ١ ص ٦٥-١٦٦ (الملل والنحل) للشهرستاني ح ١ ص ١٦٩ (الفرق بين الفرق) للبيهقي ص ٢٢-٥٣ (التبصير في الدين) للأسفرايين ص ١٦-٢٦ (التحفة الاثني عشرية) للدهلوي ج ٣-٥٤. وكذلك مصمات الشيخ إحسان إلا هي ظهر (الشيعة والتشيع، الشيعة وأهل البيت، الشيعة والقرآن الكريم).

الشرح :

في هذا البيت يعني الناظم - رحمه الله تعالى - كونه ناصباً ويقول بعد كلمة ناصبي (ضد ذلك) ^(١) يعني ضد ما سبق ذكره في البيت السابق من أنه ليس بشيعي لأن النواصب ضد الشيعة في الاعتقاد هؤلاء يحبون علياً رضي الله عنه لدرجة الغلو والخروج عن حد الاعتدال وأولئك يتدبون ببغضه ولقد عانى علي رضي الله عنه في حياته من كلا الفريقين إذ أئتمته الشيعة وكفروه الخوارج بل وقتلوه رضي الله عنه.

ومن الطبيعي أن ينفي الناظم وهو من أهل السنة والجماعة كونه ناصباً لأنه لا يجوز لمسلم أن يناصر أحداً من أصحاب الرسول ﷺ العداء.

وقد هي النبي ﷺ عن بغض الصحابة رضي الله عنهم فقال فيما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : [لا تصبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدركه مد أحدكم ولا نسفه] ^(٢).

وإذا كان التحذير ثابتاً في النهي عن سب الصحابة جميعاً فعلى رضي الله عنه من أولى الناس أن يحذر شتمه وعداؤه لقربته من رسول الله ﷺ إذ هو ابن عمه وصهره ولسابقته في الإسلام وجهاده وبلاته الذي لا يعرف له مثيلاً في أتباع الأنبياء السابقين.

وفي اعتقاد أهل السنة والجماعة أن علياً هو رابع الصحابة فضلاً وهو رابع الخلفاء الراشدين ومن أنكر إمامته وعادها فهو أحق فقد روى عن الإمام أحمد أنه قال: (من لم يثبت الإمامة لعلي فهو أضل من حمار أهله) ^(٣). ففي هذا الوصف الذي قاله الإمام أحمد يدخل جميع الناصبة من خوارج وغيرهم.

وقول الناظم - رحمه الله - بل حب الصحابة ثم الآل نعتقد، يعني أن أهل السنة والجماعة يحبون الصحابة وآل البيت معاً، فلا هم شيعة يفضنون الصحابة ولا هم ناصبة يفضون آل البيت.

(١) النواصب ضد الشيعة يذهبون بفض الإمام علي رضي الله عنه ، وهم الخوارج ومن شابههم من الفرق الأخرى. أطرر الملل والحل ج ١ ص ١٣١.

(٢) البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ (لو كنت متحداً خليلاً...) ح ٣ ص ١٣٤٣ ح ٣٤٧٠ ومسلم في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ص ١٠٢٦ ح ٢٥٤٠.

(٣) سابق الإمام أحمد ص ٢١٣.

وهذه هي العقيدة التي ينبغي للمسلم أن يعتقد بها.

النص :

وما أرسطو ولا الطوسي أنتمنا ولا ابن سبعين ذاك الكاذب الفند

المفردات الفند - الخطأ في الرأي والقول^(١)

الشرح :

في هذا البيت يواصل الناظم - رحمه الله تعالى - تبرئته من أهل الأهواء فيذكر أرسطو^(٢) أحد مشاهير فلاسفة الإغريق المكثرين من التصنيف والمتعمقين في شتى ضروب المعرفة من منطق وطبيعة وسياسة وغيرها، وليس أرسطو بأولى بالذكر من غيره من الفلاسفة ولكن الناظم - رحمه الله - خصه بالذكر هنا لأنه أكثر الفلاسفة تأثيراً على أهل الأهواء من متكلمي المسلمين الذين فتنوا بمنطقه وعظموه كثيراً بينما لا يعدوا أن يكون المنطق علم (لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) ولم يقف تأثير أرسطو على الفرق الكلامية في الإسلام على المنطق وحده بل تعداه إلى ما هو أبعد وأخطر وهو القول بنفي الصفات والواقع أن تأثير أرسطو كان وبالاً على الأمة الإسلامية إذ دفع أهل الأهواء على تقديم العقل على النقل وجراهم بذلك على نقد نصوص الشريعة بدعوى معارضتها للعقل ثم يثير الناظم - رحمه الله - من الطوسي بقوله (ولا الطوسي) ومن ابن سبعين بقوله (ولا ابن سبعين).

ومما ذكرناه عن أرسطو وتأثيره على الأمة الإسلامية يظهر لنا سبب اختيار الناظم - رحمه الله - له دون غيره من الفلاسفة ليتبرأ منه.

^(١) أنظر لسان العرب ج ٣ ص ٣٣٨.

^(٢) قال ابن خلدون في مقلته أرسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلم الإسكندر ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق (يعون معلم صناعة المنطق) إذ لم تكن قبله مهذبة وهو أول من رتب قانونها واستوفى مسائلها المقلمة ص ٧٠٩.

^(٣) الرد على المدعيين ص ٣.

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- يترأ من أهل الزيغ والضلال فيقول إن ابن سينا^(١) ليس قدوة له ولا ابن سينا مقالات خالف فيها صريح الشريعة كفره بها الفلاسفة والفقهاء كالفرازي في المنقذ من الضلال وابن تيمية في عدد من مصنفاته خاصة درء تعارض العقل والنقل، وأبرز ما يقوله ابن سينا مما يخالف به عقيدة الأمة هو إنكاره للعذاب الجسدي يوم القيامة وزعمه أن ما ورد من الصوص في ذلك جاء على قدر عقول الناس لعدم معرفتهم بالعذاب المعنوي . وقد ألف في ذلك رسالته باسم الأضحوية وهي رسالة تكشف عن عقيدته الباطنية التي تبدل صريح الصوص بتأويلات بعيدة يأبها العقل والشرع^(٢) .

وقول الناظم وفارابي يعني به أبي نصر الفارابي^(٣) ويؤخذ على الفارابي ما يؤخذ على غيره من الفلاسفة الذين يجدوا فلسفة ومنطق اليونان وأدخلوها في علوم المسلمين مما أثر على عقائدهم وأدخل الشقاق والجidal بينهم^(٤) وأما قول الناظم -رحمه الله- (ولا الذي لفصوص الشر يستند) فيعني به ابن عربي وكتابه فصوص الحكم^(٥) ومن أشهر مقالات ابن عربي التي تخرجه من الملة بإجماع الفقهاء هي :

١ - قوله بوحدة الوجود وهي فكرة تذهب إلى أن الله عين الكائنات.

^(١) هو أبو علي الحفس بن عبد الله بن علي بن سينا الطبيب والفيلسوف المعروف المولود ٣٧٠ هـ توفي ٤٢٨ هـ . ينتمي إلى طائفة الإسماعيلية من الشيعة وهي إحدى طوائف فرق الساطية العلوية وقد اشتهر ابن سينا بالطب والمطيق والعلمة وصف فيها نحواً من مائتي كتاب أشهرها القانون ، الشفا ، الإشارات ، التنبيهات . انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٣٩ سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٤١٦-٤١٨ وعيون الأنباء ص ٦٠٣-٦٠٩ .

^(٢) انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٣٩ .

^(٣) هو أبو نصر محمد بن محمد بن أورلج الفارابي أحد أذكىاء الدنيا وأكبر الفلاسفة المتسبين للإسلام عاش في بلاط سيف الدولة الحمداني وتوفي عنه سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين سنة وصلى عليه بنفسه . والفارابي هو أكبر ناقل لفلسفة أرسطو في الإسلام حتى أنه لقب بذلك (بالمعلم الثاني) يعني الثاني بعد أرسطو معلم اليونان الأول وقد روى عنه أنه سئل أنت أعلم أم أرسطو فقال: (لو أدركته لكنت أكبر تلامذته) انظر سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٤١٨ .

^(٤) انظر عيون الأنباء ص ٤٣٨

^(٥) هو عبد الله محمد بن علي الطائي الملقب بمحي الدين المعروف عند أتباعه بالشيخ الأكبر المولود ٥٦٠ هـ توفي ٦٣٨ هـ وهو أحد كبار المتصوفة وأصحاب المقالات الضالة من كتبه الفتوحات الملكية وفصوص الحكم والوصافي وله ديوان شعر انظر وجهات الوجهات ج ٢ ص ٢٤٥ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٠٨ .

٢ - قوله بربوبية فرعون .

٣ - قوله أن الولاية أفضل من النبوة وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

٤ - قوله بقدوم العالم.

هذه أبرز مقالات ابن عربي وضلالاته وقد تصدى لها علماء الأمة فزيفوها وأبدوا عوارها ومن أكابر من تصدوا لابن عربي شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مواضع متعددة من مصنفاته كما أفرد للرد على عقيدته رسالة خاصة باسم حقيقة مذهب الاتحاديين ^(١) وقد تصدى لكفريات ابن عربي أيضا الإمام البقاعي ^(٢) فأفرد كتابا بذلك وصماه تنبيه العبي إلى تكفير ابن عربي أما مقالات الفقهاء المنثورة في الكتب فلا سبيل لإحصائها لكثرتها وكذلك فعل المقبل ^(٣) في العلم اشامخ ^(٤).

النــــــــــــــــص :

مؤسس الزيف والألحاد حيث يرى كل الخلائق بالباري قد اتخذوا

الشرح :

يوصل الناظم - رحمه الله - كلامه عن ابن عربي فيصفه بمؤسس الزيف والإلحاد وقد صدق فيما قال لما ذكرناه سابقاً من أقوال العلماء فيه وقول الناظم رحمه الله حيث يرى كل الخلائق بالباري قد اتخذوا هو شرح مبسط لفكرة وحدة الوجود وقد لحص شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب الاتحادية بما يشبه قول الناظم - رحمه الله - (فقال حقيقة قول هؤلاء أن وجود الكائنات هو

^(١) وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية

^(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط الحنابلة البقاعي (٨٠٩ - ٨٨٥هـ) محدث ومؤرخ ومفسر، من كتبه: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، أنظر الضوء اللامع للسغاويج ١ ص ١٠١ وثمرات الذهب ج ٧ ص ٣٣٩.

^(٣) هو صالح بن المهدي بن علي بن عبد الله للمقبلي البني الرندي (١٠٤٠ - ١١٠٨هـ) من علماء الحديث والتفسير والفقه، من كتبه: العلم الشامخ في إيفار الحق على الآباء والمشايخ وحاشية علي الكشف أنظر البدر الطالع للشوكان ج ١ ص ٢٨٨ ومعهم المؤلفون لكحالة ج ٥ ص ١٤.

^(٤) أنظر العلم الشامخ ص ٥٧٧ - ٦٠٢ أنظر تنبيه العبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ١٦٧ وأنظر حواوي ابن حلسون في

العلم الشامخ ص ٢٩٢ - ٢٩٣

بالبطريق هذه الطرق الصوفية التي انتشرت في أرجاء البلاد الإسلامية مثل القادرية^(١) والنيحية^(٢) وغيرها مما لم ينزل الله به سلطانا وهي في مجملها طرق شيطانية زادت المسلمين فرقة وأغرت بينهم العداوة والبغضاء لما تدعيه كل طريقة من فضائل تروج لها مع انتفاص قدر الطرق الأخرى.

وأما قول الناظم -رحمه الله- (ومن على الوحيين ينتقد) فيعني به أن هذه الطرق والطوائف تنتقد كلا الوحيين الكتاب والسنة إذ ما من طريقة ولا طائفة من هذه الطوائف إلا ولها مقالة تعارض ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ونستطيع تلخيص معارضة هذه الطوائف والطرق لدين الله في أمرين :

الأول : أنها شرعت أورادا وأذكارا بأعداد وكيفية لم يأذن بها الله ولا رسوله وادعت هذه الطوائف أن هذه الأذكار فضائل ينالها الذاكرون وهذا أمر مفترى لأن أعداد الذكر وفضائله أمر توقيفي لا يحق لأحد أن يتكلم فيه إلا نبي يبلغ عن ربه فما يذكره أصحاب هذه الطوائف كله كذب عسى الله ورسوله وقد أرادوا بهذه الأذكار والدعوات الترويج لأنفسهم علوا في الأرض وفسادا لأكل أموال الناس بالباطل ولإبعاد الناس عن أذكار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المنصوص على بركتها ومفضلها.

الثاني : هو الكفريات التي تنشرها بعض هذه الطرق والتي يخفى أمرها على البسطاء والعامية من أتباعها ومن هذه الكفريات ما تدعيه الطريقة النيةانية مثلا وهي إحدى الطرق التي ظهرت في المغرب الإسلامي من أن (صلاة الفاتح) وهي صيغة صلاتهم التي يصلون بها على النبي ﷺ تعدل القرآن الكريم ستة آلاف مرة!

في هذه الطوائف والطرق جميعها لا حيز فيها ولا في أذكارها، وعلى المسلم أن يتبع ما نزل به الكتاب الكريم وجاءت به السنة المطهرة وينأى بجانبه عن هذه الطرق المحدثه التي تقف وراءها أيدي خفية لتخريب عقائد الأمة^(٣).

(١) هي إحدى الطرق الصوفية المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية خاصة السودان والمغرب العربي، وهي تنسب إلى العقيد الخليلي عبد القادر الجيلاني، صاحب كتاب الفتح الرباني، (٤٧١-٥٦١هـ) وللطريقة أدوار وأذكار خاصة بها انظر معجم الفرق والمدارس الإسلامية لإسماعيل لعري ص ٣٠٢.

(٢) هي إحدى الطرق الصوفية العالية في اعتقادات تنسب لمؤسسها أحمد بن محمد بن المختار النيةاني المعروف بالمارسي (١١٥٠-١٢٣٠هـ) من جملة اعتقادهم أن صلاة الفاتح التي يصلون بها على النبي صلى الله عليه وسلم تعدل القرآن الكريم ستة آلاف مرة واعتقادات شريكة أخرى وقد ألف في الرد عليهم كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة النيةانية محمد تقي الدين الحلائي. والأسوار الرحمانية لهداية الفرقة النيةانية للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأرمقي والنيةانية المذكور عني بن محمد آل دجيل الله.

(٣) لمعرفة المزيد من عقائد الصوفية انظر : هذه هي الصوفية ، ومضائق الصوفية لمدد الرحمن الوكيل، والتصرف في هامة لمحمد بن أحمد العقيلي والصوفية الوجه الآخر لمحمد جميل غزوي.

النص :

ولا نحكم في النص العقول ولا نتائج المنطق المحقّق نعتد

الشرح :

يقرر الناظم -رحمه الله- في هذا البيت عقيدته في مسألة المنقول والمقول، فيقول إنه يؤمن بكل النصوص التي جاءت من الله ورسوله إيمان تصديق وتسليم، وأنه لا يعرض هذه النصوص على العقل ليحكم فيها إذ لا يتصور التعارض بينهما بحال.

وفي هذا المعنى الذي ذكره الناظم -رحمه الله- ألف ابن تيمية كتابه : (موافقة صحيح المقول لصريح المعقول) و(درء تعارض العقل والنقل) وما أودعه شيخ الإسلام في هذين الكتابين شاف كاف لبيان وجه الصواب في هذه القضية التي زعزعت اعتقاد كثير من الفرق المنتسبة للإسلام.

ولا يفوت الناظم -رحمه الله- وهو يتحدث عن مسألة تحكيم العقل في النصوص الشرعية أن يعين رفضه لاستعمال المنطق الأرسطي والأخذ بتأنيده في المسائل الاعتقادية وما ذهب إليه الناظم -رحمه الله- هو المعتمد عند المحققين من علماء الأمة، فقد أفقّ الشيخ ابن الصلاح^(١) فتواه المشهورة بتحريم المنطق فقال فيها: (وليس الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين)^(٢) وقد نقل الإمام السيوطي^(٣) هذه الفتوى في كتابه صون المنطق والكلام^(٤) وبين صحة ما ذهب إليه ابن الصلاح وزاد أقوالاً أخرى كثيرة للعلماء في تحريم المنطق وعلم الكلام.

(١) ابن الصلاح: هو تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكروي الشهوري الشافعي المعروف بابن الصلاح ٥٧٧ - ٦٤٣ من كتبه: الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، وطبقات الشافعية، والفتاوى. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢١٤ وشدرات الذهب ج ٥ ص ٢٢١.

(٢) أنظر فتاوى ابن الصلاح في تفسير الحديث والأصول والعقائد ص ٤٣.

(٣) الإمام السيوطي : هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) من مشاهير العلماء في القرن العاشر، ألف في كثير من المعارف وقد أربت مؤلفاته على الألف، منها الدر المنثور في التفسير المأثور وحسن المحاضرة، وجمع الجوامع، والأشياء والظواهر أنظر الصوء اللامع للسيوطي ج ٤ ص ٦٥، ولكراتكس السائرة للعسري ج ١ ص ٢٢٦.

(٤) صون المنطق والكلام عن من المنطق وكلام للسيوطي ص ٢.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد المنطق الأرسطي والتشكيك في نتائج كتابه المعروفين (نقض المنطق) و (الرد على المنطقيين) وتوصل من خلالها إلى أن المنطق الأرسطي (لا يفيد علماً لأن النتيجة تضمنته في المقدمات، وصدقها راجع إلى المقدمات لا إلى الواقع، وممن ثم أقل نجم المنطق من بين علوم الفريجة واستبدلوه بالمنهج التحريبي الجديد وهو المنهج الذي قاد أوروبا إلى لهبتها بعد أن تحررت من سلطان أرسطو الذي ظل مكبلاً للإنسانية آلاف السنين. وكلا المنهجين ضلال لأنه بعيد عن المنهج الإلهي الحق.

الشرح :

لكن لنا نص آيات الكتاب وما عن الرسول روى الأبيات معتمد

الشرح :

بعد أن رفض الناظم -رحمه الله- في البيت السابق المنطق الأرسطي حدد في هذا البيت البديل الذي يرتضيه ويتمسك به فيقول : لكن لنا نص آيات الكتاب يعني القرآن الكريم، ويقول: وما عن الرسول روى الأبيات معتمد، يعني سنة النبي ﷺ بأقسامها الثلاثة ، القولية والفعلية والتقريرية، وهو بذلك لا يخرج عما ارتضاه الرسول ﷺ لأتمه حين قال : [قد تحمته فيهم أمهين لن تخلوا ما تمسكتم بهما فكتاب الله وسنة نبيه]^(١).

الشرح :

لنا نصوص الصحيحين الذين لها أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يبدأ الناظم -رحمه الله- في تحديد مصادر النصوص الحديثية التي يتمسك بها،

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر ج ٢ ص ٦٨٦ ح ٣. صححه الألباني أظن صحيح الجامع الصغير ج ١ ص ٥٦٦ ح ٢٩٣٧ .

فيذكر أولا نصوص الصحيحين وهما صحيحي الإمامين البخاري^(١) ومسلم^(٢).

ويستطرد الناظم -رحمه الله- في كلامه فيصف الصحيحين قائلا : الذين لها أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا أي شهد هذين الكتاين بالصحة كل أهل العلم ، وما ذهب إليه الناظم -رحمه الله- صحيح لا شك فيه يعرف ذلك كل من اشتغل بعلم الحديث رواية ودراسة ووقف على كلام الأئمة وما ذكروه عن مكانة الصحيحين.

النص :

والأربع السنن العر التي اشتهرت كل إلى المصطفى يعلو له سند

الشرح :

في هذا البيت يستمر الناظم في ذكر النصوص الحديثية التي يتمسك بها يذكر منها السنن الأربع التي تكون مع الصحيحين الأصول الحديثية الستة عند أهل السنة، وهذه السنن هي : سنن أبي داود^(٣) وسنن الترمذي^(٤) ويعرف كتابه بالجامع، وسنن النسائي^(٥) وسنن ابن ماجه^(٦) ولم يشترط أصحاب هذه السنن الصحة كما اشترطها الشيخان في صحيحيهما، بل لهم شروط أخرى استنبطها العلماء من أعمالهم ، ولذلك وجدت بعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم وقد نبه عليها العلماء.

وقد حظي كل كتاب من هذه السنن بعدة شروح هامة، فمن شروح سنن أبي داود معالم السنن للخطابي^(٧)، وبذل المجهود للسهار نفوري^(٨)، ومن شروح سنن الترمذي عارضة الأحوذ

(١) أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ - رحمه الله تعالى: أنظر لمذهب التهذيب ج ٩ ص ٤٢.

(٢) أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ - رحمه الله. المرجع السابق ج ١ ص ١١٣-١١٥.

(٣) هو أبو داود بن الأشعث الأزدي المتوفى سنة ٢٧٥هـ. أنظر لمذهب التهذيب ج ٤ ص ١٤٨-١٤٩.

(٤) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي المتوفى سنة ٢٩٧هـ. المرجع السابق ج ٩ ص ٣٤٤.

(٥) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن ستان بن بحر النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ. المرجع السابق ج ١ ص ٣٢-٣٤.

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القرويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ المرجع السابق ج ٩ ص ٤٦٨.

(٧) هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (٣١٩-٣٨٨هـ) من علماء الحديث والفقه واللسان، من كتبه: معالم السنن في شرح أبي داود وغريب الحديث وكتاب العرلة. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٠٩ ومراة الجنان ج ٢ ص ٤٣٥.

(٨) هو خليل أحمد السهار نفوري (١٢٩٦-١٣٤٦هـ) من علماء الهند وحفاظها، من كتبه: بذل المجهود في حل أبي داود والمهند على المنهد ومطرقة الكرامة على مراة الإمامة. أنظر مقدمة بذل المجهود ج ١ ص ٢١.

لأبي بكر بن العربي^(١)، وتحفة الأحوذى للمبارك فوري^(٢)، ومن شروح سنن النسائي زهر الربا على المختصر للسيوطي^(٣)، وحاشية السندي^(٤)، ومن شروح سنن ابن ماجه شرح للسيوطي والسندي أيضاً.

الـــــــ : ص

كذا الموطأ مع المستخرجات لنا كذا المسانيد للمصنف مستد

الشرح :

لا يزال الناطم -رحمه الله- يذكر كتب الحديث التي يتمسك بها فيذكر منها الموطأ وهو كتاب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس التوفي سنة ١٩٧هـ وهو أول كتاب صنف في الحديث فكان الأئمة الذين حذا حذوه العلماء.

وقد روى الموطأ عن مالك جماعة من العلماء، وأشهر هذه الروايات هي رواية يحيى بن يحيى الليثي^(٥) وهي المتداولة الآن بين الناس.

وقد حرم العلماء موطأ مالك بعدة شروح مهمة منها : التمهيد لابن عبد البر^(٦)، والمنتقى للباي^(٧)، والقبس لأبي بكر بن العربي، وتنوير الحوالك للسيوطي.

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعاري الأنلسي المالكي المعروف بابن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) عالم في الفقه والحديث والأصول من كتبه: عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذي والقبس شرح موطأ مالك بن أنس وقانون التناوين. أنظر الفجاج منسحب لابن فرحون ص ٢٨١ و امرأة ليمان ج ٣ ص ٢٧٩ وشذرات الذهب ج ٤ ص ١٤١.

(٢) هو أبو القلا محمد بن عبد الرحيم بن هاد المباركفوري (١٢٨٣-١٣٥٣هـ) من علماء الهند، من كتبه تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي وأبكار المن في تجميع آثاره. أنظر نزهة القلوب لعماد الدين الكندي ج ٨ ص ٢٤١ ومصمم المؤلفين ج ٥ ص ١٦٦.

(٣) سبق التعريف به ص ٦٥.

(٤) هو أبو الحسن محمد بن عبد الهادي المدني الحنفي المعروف بالسندي التوفي سنة ١١٣٨هـ من المحققين والفقهاء والمفسرين، أشهر بحواشيه على كتب الحديث والفقه منها حاشيته على تفسير البضاوي وحاشيته على فتح القدير لابن الممام وحواشيه على الكتب الستة. أنظر سالك الدر للمراي ج ٤ ص ٦٦ ومصمم المؤلفين ج ١١ ص ٢٦٢.

(٥) هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن سلام بن عثمان الليثي مولى أم القرطبي التوفي سنة ٢٣٤هـ، فقه وهو أحد رواة الموطأ عن مالك أنظر تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٦٦٢ وتاريخ التهذيب ص ٥٩٨.

(٦) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) فقيه وحافظ ومؤرخ وأديب من مصنفاته شرح الموطأ والاستيعاب والاستدكار. أنظر السراج للذهب ص ٣٥٧ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٠٦ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٩.

(٧) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التميمي القرطبي (٤٠٣-٤٧٤هـ) محدث وحافظ وأحد كبار علماء المذهب المالكي. من مصنفاته شرح الموطأ وإحكام الفصول في أحكام الأصول والحدود أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٤٩ والجوم الزاهرة ج ٥ ص ١١٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٤٤.

أما المستخرجون التي ذكرها الناظم -رحمه الله- فهي مجموعة الكتب التي ألفها أصحابها استخراجاً على كتب أخرى بأسانيدهم الخاصة، فللتخرج في اصطلاح المحدثين هو: (أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيده لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب وأسانيده، وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى لا يفقد سندا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة، وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سندا يرتضيها، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب^(١). فمن المستخرجون على الصحيحين:

مستخرج أبي نعيم^(٢)، والبرقاني^(٣)، والحلال^(٤) وغيرها ومن المستخرجون على صحيح البخاري: مستخرج الإسماعيلي وابن أبي ذهل وغيرها.

ومن المستخرجون على صحيح مسلم: مستخرج أحمد بن حنبل^(٥) وأبي بكر الإسفرائيني^(٦) وغيرها وكما أن هناك مستخرجون على السنن كمستخرج ابن أئمن الأندلسي^(٧) على سنن أبي داود، ومستخرج مسجوه^(٨) على سنن الترمذي ومستخرج أبي ذر المروزي^(٩) على سنن الدارقطني^(١٠) وغيرها^(١١).

^(١) المخططة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان ص ٣١

^(٢) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ) محدث ومؤرخ، من كنه حلية الأولياء ومعركة الصحابة ودلائل البررة. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٧٥ للمنظم لابن الجوزي ج ٨ ص ١٠٠ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٥.

^(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي القزويني الشافعي (٣٣٦-٤٢٥هـ) من أئمة الحديث وحفاظه، من كنه المستخرج على البخاري والمستخرج على مسلم وحديث الثوري. أنظر سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٤٦٤ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٧ وطبقات الحفاظ ص ٤١٨.

^(٤) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي المعروف بالحلال (٢٣٤-٤٢٥هـ) من الحفاظ وأحد كبار فقهاء الحنابلة، من كنه الحفاظ في فقهه والعمل والسنن. أنظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ١١٢ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٧.

^(٥) هو أبو الفضل أحمد بن سلمة بن عبد الله النيسابوري البزار التتوي ٢٨٦ من المحدثين الحفاظ كان رفيق الإمام مسلم له المستخرج على صحيح مسلم أنظر سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٣٧٣ والمرسالة المستطرفة ص ٢٨.

^(٦) هو أبو بكر محمد بن محمد بن رجا بن السندي الإسفرائيني التتوي سنة ٢٨٦هـ من كبار الحفاظ، من كنه المستخرج على صحيح مسلم أنظر سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٩٢.

^(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن يحيى بن فرج القزويني التتوي سنة ٣٣٠هـ محدث صاحب تصانيف، رحل إلى المشرق وروى عن أئمة مصر والقراء، من كنه السنن وقد أثنى عليه ابن حزم. أنظر نفع الطب للمقري ج ٢ ص ٧١٣.

^(٨) هو أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني المعروف بابن مسجوه (٣٤٧-٤٢٨هـ) من محدثي القرن الخامس، من كنه رجال مسلم والمستخرج على الصحيحين والسنن. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٦٩ ورسالة الجنان ج ٣ ص ٤٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٣٣.

^(٩) هو أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد المروزي الأنصاري المالكي، شيخ الحرم (٣٥٥ - ٤٣٥هـ) محدث وفقه، من مصنفاته المستخرج على الصحيحين أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢١١٠٣ والديهاج المنهص ص ٢١٧.

^(١٠) الدارقطني هو: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني البغدادي (٣٠٦ - ٣٨٥هـ) من كبار الأئمة والحفاظ، من مصنفاته السنن والعمل والفتاوى. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٨٦، والحرم فزعة ج ٤ ص ١٧٢. والمنظم ج ٧ ص ١٧٣.

^(١١) للواقف على المزيد من المستخرجات تراجع الرسالة المستطرفة للشيخ محمد بن جعفر الكتاني ص ٢٦-٣٢.

وللمستخرجات فوائد عدة ذكرها العلماء في مصنفاتهم منها : زبادات الثمن وإزالة الإهمام ومعرفة الإدراج وغيره .

وأما المسانيد التي ذكرها الناظم رحمه الله - عقب المستخرجات فهي الكتب التي جمعت الأحاديث والآثار على مسانيد الصحابة، فيقوم مؤلف المسند بإيراد كل الأحاديث التي رواها عن الصحابي في مكان واحد، ثم يتبعه بصحابي آخر وهكذا، ومن أهم وأشهر المسانيد في الحديث مسند الإمام أحمد بن حنبل الذي قال عنه لابنه عبد الله: (احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً) ومن المسانيد المعروفة أيضاً : مسند البزار^(١)، ومسند أبي يعلى الموصلي^(٢)، ومعجم الطبراني^(٣) الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير) ومسند عبد بن حميد^(٤) وغيرها.

ولما كان ترتيب المسانيد يختلف عن ترتيب الصحاح والسنن إذ أن الأولى على الرواة والثانية على الأبواب الفقهية، فقد يجد الباحث بعض المشقة في الإhtداء إلى الحديث من أحد المسانيد إذا لم يكن ملمّاً باسم الصحابي راوي الحديث، ولذلك قام بعض المحدثين بإعادة ترتيب بعض المسانيد على الأبواب الفقهية كما فعل أحمد عبد الرحمن الباء^(٥) في الفتح الرباني وهو ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري، وفي ترتيب مسند الطيالسي^(٦)، ومن قبله قام الحافظ نور الدين الهيثمي^(٧) بترتيب الأحاديث الزوائد في مسند أحمد والبزار وأبي يعلى ومعجم الطبراني الثلاثة على الأبواب الفقهية في كتابه المعروف بمجمع الزوائد ومتبع الفوائد.

(١) البراء هو أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الحائق المصري الملقب بالبراء (٢١٠-٢٩٢هـ) من كبار المحدثين والفقهاء، من كتبه السنن شرح موطأ مالك. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٠٤، وسر أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٥٥٤، وميراث لا اعتدال ج ١ ص ٥٩.

(٢) أبو يعلى : هو أبو يعلى أحمد بن علي بن النخعي بن عيسى بن هلال التميمي، البصري، (٢١٠-٣٠٧هـ) من أعلام المحدثين، الحافظ، من كتبه المسند، أنظر سر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ١٧٤. وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩.

(٣) الطبراني: هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير النخعي (٢٦٠-٣٦٠هـ) من كبار محدثين، من كتبه المعجم الكبير، والأوسط والصغير، ودلائل النبوة والتفسير أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٨، والمنتظم ج ٧ ص ٥٤.

(٤) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي إمام عبد الحميد ص ١٧١-٢٤٩ محدث ومفسر من كتبه التصريح والمسد الكشي أنظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٣٤ وطبقات الحفاظ ص ٢٣٨ وسر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٢٣٥.

(٥) هو أحمد عبد الرحمن البنا ولد في قرية من قرى مصر والتحق بكتاب القرية حيث حفظ القرآن الكريم واحكام التصويد، ثم سافر إلى الاسكندرية طالباً للعمل وقرأ المسند والكتب السنية وغيرها من الأصول المتوفرة عند المحدثين وقد كان راغباً ورعاً، توفي ١٩٥٨م أنظر الفتح الرباني ج ٢٤ ص ٢٣٢ - ٢٣٧ .

(٦) هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري المتوفى سنة ٢٠٤هـ من أئمة الحديث الثقات، له كتاب المسند. أنظر تهذيب الكمال ج ١١ ص ٤٠٩ وتهذيب التهذيب ص ٢٥٠.

(٧) هو نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان بن عمر بن صالح الهيثمي (٢٣٥-٨٠٧هـ) من كبار حفاظ القرن الثامن ورمسني الحافظ لثقاتي في الحديث، من كتبه مجمع الزوائد وروايد ابن حبان وزوائد الحلية أنظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٤٥.

النص :

مستمسكين بما مسلمين لها عنها نذب الهوى إنا لها عهد

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إن النصوص الواردة في هذه الكتب من صحاح وسنن ومستخرجات ومسانيد هي التي يعتمد عليها في دينه وعقيدته، وهي التي يتمسك بها ويدافع عنها ويكون مؤبداً وناصراً لها ضد أهل الزيغ والضلال، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم.

النص :

ولا نصيح لعصري يفوه بما يناقض الشرع أو يساهم يعتقد

المفردات : نصيح : أصاخ له يصيح إصاحه أي استمع وأنصت لصوت ، والمعنى لا نستمع لكلام أهل الباطل^(١).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أنه لا يلتفت لأي قول يصدره معاصره الذي يأتي بما يصادم نصوص الشريعة الغراء ، ذلك أن الحق موجود في النصوص التي تضمنتها هذه المصنفات والهداية كلها فيها، فكل ما يأتي به أعداء الإسلام مما يناقض هذه النصوص فهو مجرد هراء لا يلتفت إليه الناظم، فكلمة عصري التي أوردتها تحتل أن يكون العصري المقصود واحد أو أكثر، فقوله (لعصري) يعني (لأي عصري) وبهذا يتسع البيت لكل دعاة الباطل الذين ظهروا زمن الناظم -رحمه الله- في البلاد الإسلامية وغيرها.

النص :

يرى الطبيعة في الأشياء مؤثرة أين الطبيعة يا محنول إذ وجدوا

الشرح :

لا يزال الناظم هنا يتحدث عن ذلك العصري الذي يرى أن كل التأثيرات التي في العالم من خلق ونشوء وتطور وموت وحياة هي من صنع الطبيعة، وهذا قول أصحاب المذهب الطبيعي الذي يرى أن الطبيعة هي الوجود كله، وأنه لا وجود إلا للطبيعة.

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٤٤٣.

فالتطبيعيون يردون كل مظاهر الحياة إلى الطبيعة ولا يعترفون بشيء خارج عنها ولا بقوة تحركها ولا بخالق لها يقدرها ويبدعها وتؤول إلى إرادته ومشيته حتى أنهم ليردون الدين الذي يحس أعلى القيم الروحية في الإنسان إلى صنع الطبيعة وينكرون عزوه إلى الوحي الإلهي فهؤلاء الملحدون منكرون وجود الله أصلاً ويقولون: (لا إله والحياة مادة) ويسندون كل شيء للطبيعة^(١).
فهؤلاء الطبيعيون الذين يذكروهم الناظم هم أنفسهم المعصرين الذين بين الناظم أنه لا يستمع لأقوالهم ولا يتأثر بهم.

النــــص :

وما مجلاتهم وردى ولا صدري وما لمعتقيها في الفـلاح يد

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- يتحدث عن معاصريه من الملاحدة الطبيعيين فينقد وسائل إعلامهم ويقول إنه لا يجباً بمجلاتهم التي تنشر عيشتها في المجتمع، فهو لا يقرأها ولا يختفي بها ولا يجعلها ورداً يومياً له ولا من مصادر معرفته ، بل يذهب إلى أن من يقرأ هذه المجلات ويصدقها ويتبنى ما تقوله فهو ضال بعيد عن الرشد والفلاح.

^(١) انظر المذهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ١٢١-١٥١ والالتجاعات الفكرية المعاصرة للدكتور علي جريشة ص ١٨١-١٩١.

النص :

إذ يدخلون مسا عاداتهم وسجا باهم وحكم طواغيت لهم طردوا

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- هنا إلى أن الملاحدة يستغلون هذه الحملات في نشر عقائدهم الفاسدة وعاداتهم البغيضة بين المسلمين، كما أنهم يدعون الأمة للخروج عن الحكم بما أنزل الله، والدخول في زمرة الأمم التي جعلت من القوانين الوضعية مصدراً لها في التشريع والتحاكم وهذا هو بعبه حكم الطواغيت الذي حذرنا الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] .

النص :

عمى البصائر عن فاته الرشد عمنين لها كي ما تروج على

الشرح :

ينبه الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن هؤلاء الدعاة الملاحدة يقومون بكل الوسائل التي من شأنها أن تجعل صورة دعوتهم وتظهرها للناس بالشكل اللائق والمقبول وهدفهم من هذه البهرجة الزائفة هو الترويج لأفكارهم الخبيثة حتى يندفع بها من يقرأ لهم بيسر وسهولة، غير أنه لن يقع في مصيدة هؤلاء الدعاة إلا من هو أعمى البصيرة لا يميز بين الهدى والضلال، أما المؤمنون المتشربون من عقيدتهم فلا أحد يقوى على إضلالهم مهما كانت أساليبه ومناهجه بإذن الله وتوفيقه.

النص :

من أجل ذلك قد أضحي زنادقة كثيرهم لسبيل الغي لد قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إنه بسبب هذه الحملات التي يشنها دعاة الباطل بوسائل إعلامهم المختلفة من مجلات وصحف وغيرها فقد تحول كثير من الناس إلى مذهبهم الباطل فأصبحوا زنادقة مثلهم وكثير من هؤلاء الزنادقة أصبحوا يصدون عن الله ويقصدون طريق الغي والضلال وهذا واقع الحال في زمان الناظم -رحمه الله- وما بعد زمانه فقد وجد الشيوعيون بعد قيام دولتهم الإلحادية في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩١٧م أتباعاً كثيرين في البلاد الإسلامية

المختلعة فقام هؤلاء الأتباع بتكوين أحزاب إلحادية في كثير من الأقطار تحت أسماء مضللة توهم الناس بأنها تبعث العرب من رقادهم ليعيدوا مجدهم القديم بينما هي تخفي وراء هذه الشعارات بفكرهم المسموم في محاربة الله ورسوله. وللأسف البالغ فقد استطاع بعض هذه الأحزاب الوصول إلى رئاسة الحكم في بعض البلاد بمساعدة القوى الشيوعية ودعمها ماديًا ومعنويًا، فكممت الأنفوس وقتلت الأبرياء وبددت الثروات وأذلت المسلمين ونشرت الإلحاد واتهمت علماء الديس وأئمتهم بالرجعية والتحلف ولا يزال تأثير هذه الحكومات باقيا إلى اليوم رغم فشل النظرية الشيوعية وانحيار معسكرها في الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينات من هذا القرن.

النــــص :

يرون أن تبرز الأنثى بزيتهــــــــــــــــا وبعهــــــــــــــــا البضــــــــــــــــع تأجيلا وتنقذ

المفردات : البضــــــــــــــــع : النكاح^(١).

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- أن من نتائج الفكر الإباحي والإلحادي الذي انتشر في معظم البلاد الإسلامية أن برزت الدعوة إلى تحرير المرأة . هذه الدعوة التي كان لها مفكرون متخصصون يعملون ليل نهار في إنجاحها وتثبيت أركانها مثل قاسم أمين (١٨٦٣-١٩٠٨م)^(٢) وهدي شعراوي (١٨٧٩-١٩٧٤م)^(٣) في مصر ومسألة تحرير المرأة في ظاهرها دعوة رنانة تجتذب كثيرا من النساء لما فيها من بريق وإغراء يوهمان بتحرير المرأة ماديا وتحسين أوضاعها النفسية والاجتماعية، ولكنها في واقع الأمر تخفي وراءها كثيرا من المخاطر لا على المرأة فحسب بل على المجتمع كله. وذلك لأن تحرير المرأة عند هؤلاء يعني تحريرها من الضوابط الشرعية التي وضعها الإسلام وكلفها بها وشدد في التزامها وعدم الخروج عنها، فقد هون دعاة تحرير المرأة من أمر الحجاب الشرعي للمرأة ودعوا النساء للتبرج والسفور وإظهار الزينة الكاملة، كما حرضوها على المطالبة بالعمل مع الرجل جنبا إلى جنب وفي كل الميادين التي تناسبها والتي لا تناسبها، ودفعوا بها إلى عالم الفنون والفرائز من سينما ومسرح وغناء وغيرها، ولم تلبث أن عمت البلوى بهذه الدعوة الخطيرة

(١) انظر لسان العرب ج ٨ ص ١٤.

(٢) الأعلام للزركلي ٥ ص ١٨٤.

(٣) المرجع السابق ج ٨ ص ٧٨.

فاستجاب لها كثير من الناس وأصبح من حق المرأة عندهم أن تفعل بحسبها ما تشاء وأن تنتفع به مادياً وعلى القانون حمايتها وكف أذى المتدينين والمحافظين عنها!!

وهذا لم يعد الناظم -رحمه الله- في قوله عن المرأة (وبيعها البضع - أي الجماع) (تأجيلاً وتنتقذ) لأن هذا هو الواقع في كثير من البلاد حيث يسمح بهذا النوع من التجارة الرخيصة مما يهدم الأخلاق والقيم الإنسانية ويهون شأن الفاحشة بين الناس التي هانا الله تعالى عنها حيث قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النور: ٢٢] .

النص :

من أجل ذلك بالإفرنج قد شفوا هم تروا وفي زي النقى زهدوا

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- في هذا البيت أنه لهذه الأسباب التي ذكرها كانت المشاهدة بين أهل الضلال من المسلمين وبين الفرنجة، فقد افتنوا هم وأمعنوا في محاکاتهم والتشبه بهم في أزيائهم المعروفة تاركين لباس المسلمين وما فيه من ستر ووقار ، ومتجاهلين نهي الرسول ﷺ عن محاكاة الكفار والتشبه بهم والتشديد على من فعل ذلك حيث قال ﷺ [من تشبه بقوم فهو منهم]^(١).

النص :

وبالعوائد منهم كلها الصفوا وفطرة الله تغيرا لها اعتمدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إن محاكاة أهل الضلال لم تقتصر على اللباس وحده بل تعدتها إلى سائر العادات المخالفة لدين الله وبذلك غيروا فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالإسلام وحده هو الذي قام بتبيين سنن الفطرة وحيث على المحافظة عليها، فمن ترك شيئاً من الشرع وذهب لما ابتدعه اليهود والنصارى فقد وقع في مخالفة الفطرة لا عمالة .

^(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٥٠ وأبو داود في كتاب اللباس ح ٤٠٣١ . صححه الألباني أنظر صحيح الجامع

الصغير وريادته ج ٢ ص ١٠٥٩ ح ٦١٤٩ .

النص :

على صحائفهم يا صاح قد عكفوا ولو تلوت كتاب الله ما سجدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن المخدوعين بالغرب من أهل الإسلام قد عكفوا على مدونات أهل الضلال من كتب ومجلات وصحف وغيرها، فهم عاكفون على قرايمها لئلا وهما إعجابا بها وإيماناً بما تحتويه من كفر وأباطيل، وهؤلاء أنفسهم لو سمعوا آية من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لما التفتوا إليها ولم يلقوا لها بالا، وقد صرح وصف الناظم -رحمه الله- لهؤلاء المتدعين لمطابقته وصف الله تعالى لهم في كثير من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِ مَائِدُنَا وَلَئِي مُتَعَبِّرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا سَأَاءٌ مِّنْ أَدْنَاهِ وَقَرَأَ قَبْضَهُ يُعَذِّبُ آلِهِي﴾ [٧٥: ١٧] وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [٢٨: ٢٧]

النص :

وعن تدبر حكم الشرع قد صرفوا وفي المجلات كل الذوق قد وجدوا

الشرح :

يواصل الناظم -رحمه الله- كلامه عن أهل الزيف والضلال فيقول وعن تدبر حكم الشرع قد صرفوا بمعنى من كانت صفته على النحو الذي ذكره في البيت السابق لا يستمع لقرآن ولا يلوه ولا يسجد عند سماعه فمال أمره أن يتصرف عن القرآن وعن تدبر أحكامه ومعانيه ومسجد هذا الضال منعه في قراءة المجلات والكتب والقصص والروايات المنحلة أخلاقياً فارتاح إليها ويتلوقها بدلا من أن يطمعن بكلام الله عز وجل . قال تعالى: ﴿أَلَا يَذَّكَّرُ أَنَّهُ تُظْمِئُ الْقُلُوبُ﴾ [الزمر: ٢٨]

النص :

وللشوارب أعفوا وللحى نظوا تشبهاً ومجاراةً وما أتادوا

المفردات : أتادوا : من التودة وهي التاني والتمهل والتبث في الأمر^(١)

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن هؤلاء الضالين صاروا على خلاف ما أمرهم به السنة فبدلاً من أن يعفوا للحى ويحفوا الشوارب قاموا بإعفاء الشوارب وحلق للحى قال رسول الله ﷺ : [خالفوا المخترعين وفروا للهي وأعضوا الهوارب]^(٢) وقد أجمع الفقهاء على أن الأمر في هذا الحديث للوجوب وإعفاء الحى من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يدل على ذلك قوله تعالى على لسان هارون لموسى : ﴿ يَنْتَظِمُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾

[٩٤.٥]

النص :

قالوا رقياً فقلنا للحضيض نعم تفضون منه إلى سجين مؤتصد

الشرح :

في هذا البيت يستهزئ الناظم -رحمه الله- بأهل الضلال الذين خرجوا من الإسلام إلى الردة فيقول إن ادعاءهم بأن ما يذهبون إليه من مجازاة للغرب وتشبه بهم هو الرقي ولكنه رقي ينزل بهم إلى الحضيض لأنه يقودهم إلى سخط الله وعذابه ويؤدي بهم إلى سجين المؤتصد إشارة إلى قوله تعالى في صفة النار : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ [سورة ١٨]

النص :

ثقافة من سماء ما ألفوا حضارة من مروج هم لها عمدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن ما يأتي به أهل الضلال ما هو إلا ثقافة سمجة لا قيمة لها، وحضارة استحلبوها من الخارج لها مروجون يدعون الناس إليها ويزينونها لهم حتى يتمكنوا من بث أباطيلهم وانحرافاتهم داخل المجتمع، وقد ساء صنيعهم هذا ولم يوفقوا فيه.

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٤٤٣.

(٢) البحاري في كتاب اللبس في باب تقليم الأظفار ج ٥ ص ٢٢٠٩ ح ٥٥٥٣ ومسلم في الطهارة باب حصال الفطرة ص ٢٦٢ ح ٢٥٩.

النص :

عصرية عصرت خبثاً لحاصلها سم نقيع وبها أغمار فازدردوا

المفردات : أغمار : رجل غمر وغمر أي لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تمنحه التجارب وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور^(١).

إزدردوا : ازدرد الشيء يزدرده ازدرداً ، أي ابتلعه^(٢)

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن هذه المذاهب العصرية التي استحدثوها لم تنتج سوى الخبث والذائل، والكفر والأباطيل، فقد وضعت هذه المذاهب السم الزعاف في العسل، ثم نادت على الصبية الشبية من سفهاء القوم وجهالهم أن هلموا إلى هذا السم فاحسوه !! كما جاء في حديث حديفة رضي الله عنه : دعاة على أبواب جهنم من أجامهم إليها قذفوه فيها. قلت : يا رسول الله صفهم لنا قال : هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا^(٣).

النص :

موت وسموه تجديد الحياة لها ليت الدعاة لها في الرمن قد لحدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن ما تدعو إليه هذه المذاهب هو الموت بعينه، موت الدين، موت الفضائل وموت الشعور، ولكنهم يسمون كل هذا الموت (تجديد الحياة) كذباً منهم وترويحاً لبضاعتهم الزائفة، ثم يتحنى الناظم -رحمه الله- لو أن دعاة هذه المذاهب قد ماتوا وقبروا تحت الثرى لأن موتهم خير للناس وللدين.

النص :

دعاة سوء إلى السوأي تشاهات الـ قلوب منهم ولي الإضلال قد جهنوا

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إن هؤلاء الدعاة من شتى المذاهب والذين تنحصر دعوتهم إلى السوء يشبهون بعضهم بعضاً لا اشتراكهم في المنهج والمهدف، فالكفر ملة واحدة وقد

^(١) لسان العرب ج ٥ ص ٢٢.

^(٢) للمرجع السابق ج ٣ ص ١٩٤.

^(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن ص ١٣٥٢ ح ٧٠٨٤.

قال الله تعالى في مثل هؤلاء : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨] ولهذا فهم يجهلون في تحقيق ما يرمون إليه بحمة عالية لشعورهم باتفاقهم وتوافقهم في الهدف.

النــــــــــــــــص :

ما بين مستعلن منهم ومسترر ومستبد ومن بالفرس محتشد

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأنه ليس كل دعاة هذه المذاهب الباطلة مكشوفين ومعروفين للناس بل هم منقسمون إلى أقسام عدة : فمنهم المظهر لدعواه ، ومنهم المسر لها ، ومنهم المستبد بها ، ومنهم المستعين عليها بالغير من القوى الأجنبية ، وهذا التنوع في مظاهر الدعوات الهدامة ترجع أسبابه لواقع كل بلد وظروفه الخاصة ، فإذا بلغت الدعوة درجة من القوة في بلد ما أظهرت نفسها ، وإلا أخفتها إلى بلوغ تلك الدرجة ، كما أنها إذا ظفرت ببلد ما ونجحت في توطيد أركانها استبدت على الخلق ، وإلا استعانت بقوى الشر الأجنبية لتحميها وتقف بجانبها ضد شعوبها المقهورة ، وكل هذا مشاهد في كثير من أرجاء البلاد الإسلامية .

النــــــــــــــــص :

هم إلى دركات الشر أهوية لكن إلى درجات الخير ما صعدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن لأهل المذاهب الباطلة في كل يوم هبوط إلى حضيض الشر والخسران ونزولاً إلى الدرجات السفلى من الخيبة وسوء الحال ، ولكنهم لا يستطيعون يوماً أن يصعدوا درجة واحدة في سلم الخير وفعل الطاعات وذلك لما تحمله مذاهبهم الباطلة من الفساد والضلال.

النص :

وفي الضلالات والأهواء لهم شبه وعن سبيل الهدى والحق قد بلدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- أن أصحاب هذه المذاهب الضالة لهم شبه يشيرونهم حول الإسلام ليصدوا عن سبيل الله، وذلك لأنهم لا يستطيعوا أن يروا نور الحق لبلد مشاعرهم وحول عقولهم.

ومن هذه الشبه ما يزعمونه حول تعدد الزوجات من أنه أححاف بحق المرأة، وانتقاص من قدرها وما علموا أن الإسلام إنما أباح التعدد مشروطاً بالعدل حماية لحقوق المرأة وصيانة لها، وأيضاً من شبههم التي يشيرونها زعمهم بأن الإسلام ظلم المرأة حيث أمر بقرارها في البيت، ودعوا الى تحريرها وخروجها للعمل جنباً الى جنب مع الرجل في سائر الميادين، وما علموا أن الإسلام عندما أمر بأن تبقى المرأة في بيتها فإنه بذلك يرفع من كرامتها ومنزلتها لتكون الأم الخنون التي تربي الأجيال وهي قارة في بيتها والرجل يسعى لجلب الرزق لها دون أن تتكلف هي بعناء ومشقة العمل كما هو حال المرأة في تلك المجتمعات.

النص :

صم ولو سمعوا بكم ولو نطقوا عمي ولو نظروا بمت بما شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن دعاة الباطل صم لا يسمعون الحق وإن كانت لهم أسماع يسمعون بها ما سواه ، وبكم لا ينطقون الحق ، وإن كانوا يستطيعون النطق بما سواه من الباطل والضلال، وعمي عن إِبصار الحق، وإن كانت لهم أبصار يصرون بها ما سوى الحق، وقد وصف الله تعالى أهل الباطل في كتابه الكريم بقوله : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ٥٥﴾ [البقرة: ١٨٥]. وأيضاً فإن من صفات أهل الباطل أن شهادتهم بهتان وباطل لا حق فيها، وهذه هي حال الكفار في كل زمان ومكان ، وقد فضحهم القرآن الكريم وبين لنا حالهم حتى لا نفتخر بما هم فيه، ولنتجنبهم ونسلك غير الطريق الذي سلكوه.

النــــــــــــــــص :

عموا عن الحق صموا عن تدبره عن قوله خرسوا في غيهم سموا

الشرح :

يقول الناظم - رحمه الله - وإن عمى أهل الباطل هو عمى عن نور الحق ، وصممهم صمم عن تدبر هذا الحق ، فلا غرو أن خرسوا عن قوله وبيانه ولبوا في طغيانهم وغيهم.

النــــــــــــــــص :

كأنهم إذ ترى خشب مسندة وتحسب القوم أيقاظاً وقد رقدوا

الشرح :

يصف الناظم - رحمه الله - في هذا البيت دعاة الباطل بوصف آخر من أوصاف القرآن للمنافقين فهم يسكون مسلكهم ، إذ يقول الله تعالى في حقهم : ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعْ لِقَوْلِهِمْ سَكْنَاءُهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾ [البقرة ١٧٤] ثم يضيف الناظم - رحمه الله - وصف آخر لهم فيشبه حالهم بحال أهل الكهف عند نومهم ، مع الفارق الذي ينبغي أن يراعى في هذا التشبيه وهو أن أهل الكهف مؤمنين وهؤلاء منافقون وكفرة.

النــــــــــــــــص :

باعوا بما الدين طوعاً عن تراض وما بالوا بهذا حيث عند الله قد كسدوا

الشرح :

يقول الناظم - رحمه الله - هنا إن هؤلاء المنافقين باعوا دينهم بعرض زائل من الدنيا برضاهم التام وعن طوعهم واختيارهم ، وهم في كل ذلك لا يعاون عا فعلوا ولا يهتمون بخطره، ولو انتبهوا لما يفعلون لعلموا أنهم إنما اشتروا مالا يفيدهم شيئاً والله تعالى يقول : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة ١٧٥]

الشرح :

في هذا البيت يذكر الناظم -رحمه الله- صفة أخرى من صفات التمسكين بدينهم وهي أنهم لا يمنعهم مانع من نصرته الدين ويبان أحكامه وشرائعه عند فساد الناس وإن امتنع غيرهم من ذلك قاموا هم به وتحملوا هذا العبء وحدهم.

النص :

هذا وقد آن نظم العقد معتصما بالله حمي عليه جل اعتمد

الشرح :

يختم الناظم -رحمه الله- أبيات المقدمة بهذا البيت إشعاراً منه بنهايتها، وإيداناً بالدخول في نظم العقيدة الذي سماه - (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة) متوكلاً على الله وحده ، ومعتمداً عليه وحده جل وعلا.

المطلب الرابع

أبواب أمور الدين

النص :

والدين قول بقلب واللسان وأعمد — ال بقلب وبالأركان معتمد

المفردات : الأركان : الجوارح ^(١) معتمد : العمدة ما يعتمد عليه ، واعتمدت على الشيء أي إتكلت عليه وعمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به ^(٢).

الشرح :

يتحدث الناظم -رحمه الله- في هذا البيت عن الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه وأمر ألا يعبد إلا به فيقول أن هذا الدين قول وعمل قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح.

^(١) انظر لسان العرب ج ١ ص ١٨٦ .

^(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

فقول القلب هو تصديقه وإيقانه قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالنَّبِيِّ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [١] لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [المر: ٣٢-٣٤] قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الباق: ٧٥] وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ ﴾ [الشورى: ١٠٥] وقال ﷺ في حديث الدرجات العلى: [بلى والطي نفسي بيطة رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين] (٢) وقال أيضا في حديث الشفاعة [يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن خيرة من الخير] (٣).

وقول اللسان : هو النطق بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بلوازمها قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ فَا لْوَاءُ مَنَا يَوْمَ أَنَّهُ الْخَاقِ ﴾ [الحج: ٥٣] . وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المر: ١٨٦] وقال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الباق: ١٣] وقال رسول الله ﷺ : [امرت أن أقابل الناس حتى يهملوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فأبوا فعلموا ذلك فمسموا بني حنابلة وأموالهم إلا بحق الإطاعة ومصابهم بحلي الله] (٤).

عمل القلب : هو النية والإخلاص والمحبة والإنقياد والإقبال على الله تعالى والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الباق: ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطِيعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الباق: ٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لِّدِينِي ﴾ [المر: ١١٠] .

(١) البغاري في بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وألقا مخلوقة ج ٣ ص ١١٨٨ ومسلم في الحجة وصفة نعيمها وأهلها ج ١٧ ص ١٦٧ ح ٢٨٣١ مع الشرح .

(٢) البغاري في التوحيد باب زيادة الإيمان وتقصانه ج ١ ص ٢٤ ح ٤٤ ومسلم في الإيمان باب أدن أهل الجنة مسرة فيها ج ٣ ص ٦٠-٦١ ح ٣٢٥ .

(٣) البغاري في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ج ١ ص ١٧ ح ٢٥ ومسلم في الإيمان باب الأمر بقسالة الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ص ٤٢-٤٣ ح ٢٠ .

وقال رسول الله ﷺ: [إِمَّا الْأَعْمَالُ بِالْأَيَّامِ وَإِمَّا لِحُلِّ أَمْرِي مَا نَوَى مِنْ حَاجَتِهِ هَجْرَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ حَاجَتُهُ هَجْرَتُهُ إِلَى حَنْبِئِهَا يَسْبِيهَا أَوْ إِمْرَأَةً يَنْتَحِبُهَا فَهَجْرَتُهُ لِمَا هَاجَرَ إِلَيْهِ]^(١).

وقال ﷺ: قال الله تعالى: [إِنَّا أَخَذْنَا الْخُرُوجَ مِنَ الْخُرُوجِ مَنْ عَمِلَ بِمَعْلَى أَخْرَجَ مَعِي فِيهِ نَهْرِي تَرَحُّمَهُ وَخُرُجَهُ]^(٢).

وعمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدي إلا به كثاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك.

وعمل الجوارح: ما لا يؤدي إلا بما مثل القيام والركوع والسجود والمشي إلى مرضاة الله كتفيس الخطي إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك^(٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۚ ﴾ [٢٩: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ تَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا ۚ ﴾ [٢٣٨: ٢٣٨]. وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ ﴾ [١٨: ٤١-٤٢]. وقال تعالى: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۚ ﴾ [١: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ أَتَمَنُّ هُوَ قَاتِلٌ ءَاتَاءَ آلِئِلِّ سَاجِدًا وَقَاتِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ۚ ﴾ [١: ٢٠]. وقال ﷺ: [الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَامَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ]^(٤).

وقال ﷺ: [أَمَرَكُم بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَأَنْ تُؤَدُّوا حِمْسَ مَا غَنِمْتُمْ]^(٥).

ومن هنا يتبين لنا أن من قال من أهل السنة أن الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة لم يعنوا بذلك مجرد التصديق وإنما عنوا به التصديق الإذعاني المستلزم للإتيان ظاهرًا وباطنًا فلا يلبس

^(١) البخاري في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج ١ ص ٣ ح ١ ومسلم في الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم إِمَّا الْأَعْمَالُ بِالْأَيَّامِ ج ٧٩٢ ح ١٩٠٢.

^(٢) مسلم في الزهد والرقائق ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥.

^(٣) معارج القبول ج ١ ص ١٥-٢٠.

^(٤) البخاري في الإيمان باب أمور الإيمان ج ١ ص ١٢-١٣ ومسلم في الإيمان باب عدد شعب الإيمان ص ٤٨ ح ٣٥.

^(٥) البخاري في المغازي باب وقد عبد القيس ج ٤ ص ١٥٨٨ ومسلم في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله ص ٤٠ ح ١٧.

لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما عن الإنقياد كفرةً واستكباراً واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ولم يتبعوه ، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولكنه جحد بآيات الله ظمناً وعلواً فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيه : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الرعد: ٢٢] .

النقص :

يزداد بالذكر والطاعات ثم له بالذنب والغفلة نقصان مطرد

المفردات : مطرد : إطرده الأمر أي تبع بعضه بعضاً^(١)

الشرح :

في هذا البيت يتحدث الناظم عن زيادة الإيمان ونقصانه ، فذكر أنه يزيد بالشكر والطاعة وينقص بالغفلة والمعصية وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه ، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالإيمان يزيد إلى ما لا نهاية له . وينقص حتى ما يكون في قلب العبد مثقال خردلة من إيمان . وإنما زيادته بالذكر والدعاء وقراءة القرآن وفعل الطاعات وكذلك يكون نقص الإيمان بنقص ذلك كله في المعاصي يسود القلب وينزع منه الإيمان بل قد يخرج المرء من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام . ومن أسباب نقص الإيمان نزع الأمانة من قلب المؤمن ، والغفلة عن ذكر الله ، وقتل النفس وارتكاب الموبقات من زنا وسرقة وشرب خمر وغير ذلك^(٢).

والأدلة على ذلك كثرة فمن القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَبَزِذْ اللَّهُ الَّذِينَ آخَذُوا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦] .

(١) انظر ملجوع القبول ج ٢ ص ٥٩٤ .

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٢٦٨ .

(٣) انظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص ١٦١-١٦٧ وشرح الطحاوية ص ٣٣٥-٣٤٤ والإبانة لابن بطنة ج ١ ص ١٣٣-١٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنِ يَقُولُ أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ قَوْمًا وَلَدِينَنَا آيَاتٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ أَنْتَ رَسُولٌ ﴾ [الحمد: ١٣٦].

فلو لم يكونوا مؤمنين لما قال لهم يا أيها الذين آمنوا وإنما أراد بقوله آمنوا أي داوموا على إيمانكم وازدادوا إيماناً بالله وطاعته واستكثروا من الأعمال الصالحة التي تزيد إيمانكم، وازدادوا يقيناً وبصيرة ومعرفة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ومن السنة قال ﷺ : [ما رأيته من فاضلة محفل وحيد أحصيه للرجل العاقل من أحدكم]^(١).

فهذه الأدلة كلها تدل على زيادة الإيمان وأنه ليس شيئاً ثابتاً جامداً لا يزيد ولا ينقص.

الـ خـ ص :

وأهله فيه مفضلون وفاضله منهم ظالمون ومباين ومقتصد

الشرح :

ثم تحدث الناظم عن تفاضل أهل الإيمان فيه فمادام هذا الإيمان يزيد وينقص فهو إذا درجات والناس يتفاضلون فيه وهذا هو أساس التفاضل بين الناس عند الله حتى فضل بعض الأنبياء على بعض في ذلك وجعل التقوى مناط التكريم عنده ولم يسو بين من أنفق قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعده ولا بين القاعدين من المؤمنين، ولا بين الذين اقترفوا السيئات وبين الذين عملوا الصالحات. وفاضل بين المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم، وفاضل بين الداخلين للجنة فمنهم السابقون ومنهم من يأتي بعدهم. ذلك هو التفاضل بينهم في الإيمان والعمل^(٢).

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ أَنْتَ رَسُولٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(١) البهاري في المحيض باب ترك الحائض الصوم ح ١ ص ١١٦ ح ٢٩٨ وغيره.

(٢) انظر كتاب الإيمان ح ١ ص ١٣٣.

ثم يشير الناظم إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ أَعْيُنَنَا عَلَى الْوَعْدِ لَهَامَةٌ ﴾ [٣٢] .

فقد قسم الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان في هذه الآية بمقتضى حكمته إلى ثلاث أقسام :

١- المقتصدون : وهم أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزدوا على ذلك ولم ينقصوا منه .

٢- السابقون بالخيرات وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفاً مما به بأس وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من محاذي لي ولها فقد أخطته بالعرب وما تقرب إلي محبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال محبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فأما أحببته فحسبته سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ... الحديث]^(١) .

٣- الظالمون لأنفسهم وهم عصاة الموحدين فإلهم ظالمون لأنفسهم بارتكابهم المعاصي ولكنه ظلم دون ظلم لا يخرج من الدين ولا يخلد في النار^(٢) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا فأفاه رأيته الناصي يجره على وعليه قمص فمنا ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وجره على حجر وعليه ثوب بهر . قالوا فما أولقه يا رسول الله قال : الدين^(٣) .
وقال ﷺ : [من رأى منك منكر فليغيره بيده فإن له يستطع فليصله فإن لم يستطع

^(١) البخاري في الرقاق باب التواضع ج ٥ ص ٢٣٨٤ - ٢٣٨٥ ح ٦١٣٧ .

^(٢) نظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٢ - ٥٦٤ ومعارج القول ج ٣ ص ١٠٠٨ وطريق المحترمين وباب الساعاتين لابن القيم ص ١٣٥ .

^(٣) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٤٩ - ١٣٥٠ ح ٣٤٨٨ ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٢٣٩٠ ح ٢٣٩٠ .

فبقلبه وحالته أضعفه الإيمان ^(١). فهذه الأدلة تدل على تفاضل أهل الإيمان وأنهم لبسوا على درجة واحدة .

التمهيد :

وهناك ما سأل الروح الأمين رسول الله عن شرحه والصحب قد شهدوا فكان ذاك الجواب الدين أجمعه فافهمه عقدا صفا ما شابه عقدا

المفردات : العقد : نقيض الحل وهو الشد والربط ^(٢).

الشرح :

في هذين البيتين يشر الناظم إلى حديث حميريل عليه السلام عندما سأل الرسول ﷺ عن مراتب الدين فكانت الإجابة من الرسول ﷺ تلك الإجابة الجامعة الواضحة التي لا غموض فيها ولا تعقيد تلك الإجابة التي توضح أن مراتب الدين ثلاث وهي : الإسلام والإيمان والإحسان وهذه المراتب الثلاث يكمل دين الإسلام.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسنده ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال الرسول ﷺ : [الإسلام أن تعبد الله لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقياه الصلاة وتؤتي الزكاة وتسوم رمضان وتحتج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال ، صدقت . فمعجبنا له بصلاته وبصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال ، صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما الممنول منها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن إماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت عليا ثم قال لي ، يا عمر أتدري من السائل . قلت : الله

^(١) مسلم في الإيمان باب كون النبي من المنكر من الإيمان ص ٥١ ح ٤٩.

^(٢) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٢٩٦ - ٢٩٨.

ورسوله الخلو . قال : فإنه جبريل أتاهم يعلمهم دينهم [١].

فكان هذا الحديث الموجز الجامع شامل لدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده.

المبحث الثالث

(باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته)

المطلب الأول

(أنواع التوحيد)

النص :

بأنه يؤمن فرد واحد أحد ولم يلد ولا ولم يولد هو الصمد
ولا إله إلا رب موه ولم يكن له كفواً من خلقه أحد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم مراتب الدين من خلال حديث جبريل عليه السلام السالف الذكر شرع في ترتيب هذه المراتب وبدأها بالحديث عن الإيمان فوضع الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى . معنى الإيمان بالله تعالى :

هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت ، وأنه المستحق لأن ينفرد بالعبودية والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأنه المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل عيب ونقص^(١).

وهذا ما أراده الناظم بالبيتين السابقين حيث أشار من خلالهما إلى أقسام التوحيد الثلاثة

وهي :

^(١) مسلم في الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان يثبت قدر الله تعالى ص ٣٦ ح ٨.

^(٢) انظر الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٥٣-٥٤.

١- توحيد الألوهية^(١) :

وهو عبادة الله وحده لا شريك له وتحميد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتركيب عليه والرضى به ربا وإلها ووليا وأن لا يجعل له عدل في شيء من الأشياء. قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا آلِهَتَكُمْ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ١ ﴿ لَا تَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٢ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا عَابَدُ مَا عَابَدْتُمْ ﴾ ٣ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا عَابَدُ ﴾ ٤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ٥ [الكهرون].

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي كفر به وجده أكثر الخلق ومن أجل هذا التوحيد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ٦ ﴿ [الأنبياء، ٢٠] .

٢- توحيد الربوبية^(٢) :

وهو إفراد الله بالخلق والتدبير ، فإفراد الله بالخلق هو أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله . قال تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأنعام ١٠١] . وهو ما أشار إليه بقوله : ولا رب سواه.

فهذه الجملة تفيد الحصر لتقدم الخبر إذ أن تقدم ما حقه التأخير يفيد الحصر وقال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [طه ١٣] .

فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله تعالى . وأما إفراده بالملك فهو أن تعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالفهم كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام ١٨٩] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيُجِيرَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَإِنْ يَنْقُصُ عَذَابُ اللَّهِ شَيْئًا فَذَرْهُمْ وَقُلِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنعام ١٨٨] .

وأما إفراده بالتدبير وهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر لهذا الكون إلا الله وحده. قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَمَقُولُونَ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٧ ﴿ قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رَسُولٌ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴾ ٨ ﴿ [يونس ٣١-٣٢] .

(١) وهو ما يعرف بالتوحيد القلبي القسدي.

(٢) يعرف كل من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات بالتوحيد العلمي الحصري أو توحيد المعرفة والإتيات.

وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بل كانوا مقرين به. قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْأَعْلَى ۝ ﴾ [الزمر: ٢٠] . فهم يقرون بأن الله هو الذي يدبر الأمر وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ولم ينكر هذا النوع أحد معلوم من بني آدم، فلم يقل أحد من المخلوقين إن للعالم خالقين متساويين.

فلم يحدد أحد توحيد الربوبية لا على سبيل التعطيل ولا على سبيل التشريك إلا ما حصل من فرعون فإنه أنكر وجود الله وعطل ربوبيته على سبيل المكابرة. قال تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝ ﴾ [الشعراء: ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ۝ ﴾ [الحجر: ٢٨] .

وهذه مكابرة منه لأنه يعلم أن الرب غيره . قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۝ ﴾ [الدخان: ١٤] . وقال تعالى حكاية عن موسى وهو يناظره : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ ﴾ [الزمر: ١٠٢] .

فهو في نفسه مقر بأن الرب هو الله تعالى

وقد أنكر الربوبية على سبيل التشريك : الهوس حيث قالوا إن لعالم خالقين هما الظلمة والنور ومع ذلك لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين ، فهم يقولون بأن النور خير من الظلمة^(١).

٣- توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا فيثبت لله ما أثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل . قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ﴾ [الدخان: ١١] . وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وسوف يأتي شرحه في الآيات الآتية وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الأمة الإسلامية وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة فمنهم من سلك مسلك التعطيل، فعطل ونفى الصفات زاعما أنه منزه لله وقد ضل لأن المنزه حقيقة هو الذي ينفي عنه صفات النقص والعيب وينزه كلامه من أن يكون تعمية وتضليلًا. فإذا قال بأن الله ليس له

(١) انظر القول المفيد لابن عثيمين ج ١ ص ١١ - ١٥.

سمع ولا بصر ولا علم ولا قدرة لم ينزه الله بل وصفه بأعيب العيوب ووصف كلامه بالتعبيبة والتضليل لأن الله يكرر ذلك في كلامه ويثبت (سميع بصير) (عزيز حكيم) (غفور رحيم) فإذا أثبت في كلامه وهو خال منه كان في غاية التعمية والتضليل والقدح في كلام الله عز وجل.

ومنهم من سلك مسلك التمثيل زاعما بأنه محقق لما وصف الله به نفسه وقد ضلوا لأنهم لم يقدرُوا الله حق قدره إذ وصفوه بالعيب والنقص لأنهم جعلوا الكامل من كل وجه كالناقص من كل وجه.

وقد أشار الناظم في هذين البيتين إلى سورة الإخلاص مشيراً بها إلى أنواع التوحيد الثلاثة لاشتغالها عليها نصاً ولزوماً. فهي وإن دلت على توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات نصاً فقد دلت على توحيد الألوهية لزوماً فإن كانت هذه السورة تثبت أن الإله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نصاً، فإنها تدل على وجوب عبادته وحده لا شريك له لأنه لا يستحق أحد العبادة سواه.

وكل سور القرآن متضمنة لأنواع التوحيد شاهدة به داعية إليه ، فإن القرآن إما خير عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العلمي الخيري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته وإما خير عن أهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدهم وإما خير عن أهل الشرك وما فعل بهم وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج من حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وفي شأن الشرك وأهله وجزالهم^(١).

الشرح :

حي سميع بصير جل مقتدر عدل حكيم عليم قاهر صمد

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم في ذكر بعض أسماء الله الحسنى التي يدل كل اسم منها على الصفة التي اشتق منها ، ومن هذه الأسماء اسمه تعالى الحي. قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

(١) انظر فيما سبق المتناوئ ح ٣ ص ٣ وما بعدها ، والنحفة المهدية شرح الرسالة التكميلية لفاخ بن فالح آل مهدي ص ٢٩ والأول للمعيد ج ١ ص ١٩ وفتح المجد شرح كتاب التوحيد ص ١٩-٢٠.

الْقِيَوْمِ ﴿ [المرء: ١٥٥] . وقال تعالى : ﴿ اَلَمْ- اَللهُ لَا اِلَهَ اِلاَّ هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ ﴿ [المرء: ١٥٦] .
وقال تعالى : ﴿ وَعَبَتِ اَلرُّجُوعُ لِلْحَيِّ اَلْقَيُّومِ ﴿ [المرء: ١٥٧] .

ومعنى الحي الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية التي لا يليها موت ولا فناء . لأنها ذاتية له سبحانه وتعالى فهو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وَجْهَهُ ﴿ [المعمر: ٨٨] . وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اَلْحَيِّ اَلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴿ [المرء: ١٥٨] .

فحياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء وغيرها وذلك لأن الحياة تعتبر شرطاً للإتصاف بجميع الكمالات في الذات من العلم والقدرة والسمع .. إلخ . فإن غير الحي لا يتصف بهذه الصفات فمن كملت حياته كان أكمل في كل صفة تكون الحياة شرطاً لها^(١) .

سميع بصير : من خلال هذين الاسمين يثبت الناظم لله تعالى صفتا السمع والبصر فالسميع اسم من أسمائه تعالى وهو دال على صفة السمع : والبصير اسم من أسمائه تعالى وهو دال على صفة البصر وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى . وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين صفة السمع والبصر وكل منها صفة إدراك . قال تعالى : ﴿ اِنَّ اِلَهَكُمْ اَكْبَرُ اَنْ تَدْعُوا اَلْاِثْنَيْنِ اِلٰى اَقْلِهَا وَاِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ اَلنَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ اِنَّ اِلَهَكُمْ يَعْظُمُكُمْ بِمَنْ اِنَّ اِلَهَكُمْ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ [البقرة: ١٨٨] . وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ اَلْبَصِيرُ ﴿ [البقرة: ١١١] . فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها وكأنها لديه شيء واحد لا يخفى عليه شيء منها مهما خفت بل جميع الأصوات بالنسبة إلى سمعه سواء القريب منها والبعيد السر والعلانية . قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ اَلْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاَلْتَّيْلِ وَمَا يُبْهَرُ بِاَلْنَّهَارِ ﴿ [المرء: ١٥٩] . وقال تعالى :

(١) انظر شرح القصيدة الثونية للهرس ج ٢ ص ١١٢-١١٣ وشرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن علي الفحطاني ص ١٥٦-

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النساء: ٥٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات) ، فأنزل الله عز وجل
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله^(١).
وسمعه تعالى نوعان :

أحدهما عام وهو سمعه لجميع الأصوات، الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها :
والثاني خاص وهو سمع الإجابة منه للسائلين الداعين والماعدين فيحييهم ويميتهم . ومنه قوله تعالى على
لسان أم مريم عليها السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَحَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٨]. وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ آخِذْ بِالَّذِي أَدْبَىٰ وَهَبَ لِي
عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴾ [برسم: ١٢٩]. ومنه قول المصلي سمع الله لمن
حمده، أي استجاب له وقبل منه.

والبصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات مهما لطفت أو بعدت
فلا يؤثر على رؤيته بعد فهو يرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء بل ويرى
مسالك النذاء في أمعائها وأربطة مفاصلها وعروقها بعينه التي لا تنام. ويرى سبحانه وتعالى خيانات
العين وتقلبات الأفجان فبصره سبحانه وتعالى يحيط بجميع الأشياء جليلها وحقرها ، صغيرها وكبيرها ،
كثيفها ولطيفها ، لا يستتر عنه شيء منها .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
[عنبر: ٢١٨-٢٢٠] . قال تعالى : ﴿ يَخْلُمُ حَابَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۖ ﴾ [مر: ١١٩]. وقال تعالى:
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [هود: ١٩].

أي مطلع محيط علمه وسمعه وبصره بجميع الكائنات روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (إن الله كان سميعا بصيرا) فوضع إمامه على أذنه والتي تليها
على عيه^(٢).

(١) البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى كان الله سميعا بصيرا ج ٦ ص ٢٦٨٩ تعليقا.

(٢) أخرجه أبو داود ج ٤ ص ٢٣٣ ح ٤٧٢٨ وابن حبان ج ١ ص ٤٩٨ ح ٢٦٥ ، والحاكم ج ٢ ص ٢٥٧ ح ٢٩٢٥ وقال هذا
حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع ويرى بعين وهو حجة على الجهمية والمعتزلة الذين يجعلون سمعه تعالى علمه بالمسموعات وبصره علمه بالمبصرات فرارا على حد زعمهم من التشبيه وهو تفسير خاطئ فإن كلاً من السمع والبصر معنى زائد على العلم قد يوجد العلم بلونه فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها وكذلك الأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها^(١).

عادل : العدل اسم من أفعاله تعالى وهو متضمن لصفة العدالة ، وهو في الأصل مصدر وصف به للمبالغة وأصل العدل والمعادلة لمساواة ، يقال هذا عدله وعديله أي نظيره ومساويه . قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [سجدة: ١١٥] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [الحمل: ٩٠] .

والعدل المنزه عن الظلم والجور في أفعاله وأحكامه ، الذي يعطي كل ذي حق حقه . وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله فأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة ليس فيها شائبة جور أصلاً فهي دائرة كلها بين الفضل والرحمة وبين العدل والحكمة ، وما ينزله سبحانه وتعالى بالعصاة والمكذبين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا وما أعد لهم من العذاب المهين في الآخرة ، فإنما فعل بهم ما يستحقونه فإنه لا يأخذ إلا بذنب ، ولا يعذب إلا بإقامة حجة وأقواله كلها عدل فهو لا يأمرهم إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راححة ولا ينهاهم إلا عما فيه مضرة خالصة أو راححة وكذلك حكمه بين عباده يوم الفصل والقضاء ووزنه لأعمالهم عدل لا جور فيه كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الحمل: ١٠٧] . فهو سبحانه وتعالى على صراط مستقيم في قوله وفعله وحكمه^(٢).

الحكيم : فهو تعالى الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات ، فالحكيم هو واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها واسع الحمد تام القدرة وغزير الرحمة فهو الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره فلا يتوجه إليه سؤال ولا يقصد في

(١) انظر شرح القصيدة الربوية ج ٢ ص ٧١-٧٣ معارج القبول ج ١ ص ١٧٩-١٨٢ وشرح أسماء الله الحسنى ص ٨٤-٨٧ والحق الواضح المبين ص ٣٣-٣٦ .

(٢) انظر شرح القصيدة الربوية للهراس ج ٢ ص ١٠٦-١٠٧ والحق الواضح المبين ص ٨٠ .

حكيمته مقال. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الحديد ١٨].

قاهر : القهار اسم من أسمائه سبحانه وتعالى ولم يرد في القرآن الكريم إلا مقرونا باسمه الواحد قال تعالى : ﴿ يَصْنَعُ الْجِبْنَ أَنْتَ بَاقِ الثَّوَابِ شَتْرَ ثَوَابٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [سورة الحديد ٣٩]. وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [سورة الحديد ١٨]. فدل هذا على توحده وانفراده بالقهر لجميع الخلق وأنهم جميعا مقهورون تحت سلطانه فهو سبحانه وتعالى الذي قهر جميع الكائنات وذلت له جميع المخلوقات فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إليه عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفع ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا وقهره تعالى لجميع مخلقه مستلزم لكمال حياته وعزته واقتداره إذ لو لا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان^(١).

الغنى : هو الذي تصد إليه أي تقصده جميع الخلق في حوائجهم ومسايلهم لكمال غناه وفقرها إليه وهو السيد الذي قد كمل في سؤده والشريف الذي قد كمل في شرفه وهو الدائم الباقي الذي كملت جميع أوصافه من كل الوجه فلا تشوبها شائبة نقص أصلا فهو العليم الذي كمل في علمه والحليم الذي كمل في حلمه والغني الذي كمل في غناه والعظيم السدي كمل في عظمته وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثل شيء قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [سورة الاحقاف ١-٤].

^(١) انظر شرح أسماء الله الحسنى ص ٨٨-٩٠ ، وشرح القصيدة النونية للهراس ج ٢ ص ٧٣-٧٤ والحق الواضح المبين ص ٣٦-٣٩.

^(٢) انظر شرح الأسماء الحسنى ص ١٢٨-١٢٩ وشرح القصيدة النونية ج ٢ ص ١٠٢-١٠٣ والحق الواضح المبين ص ٧٦.

^(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٦٠٨-٦١٠ ، شرح القصيدة النونية ج ٢ ص ١٠٢ شرح أسماء الله الحسنى ص ١٢٦-١٢٨ ، الحق الواضح المبين ص ٧٥.

المطلب الثاني

(حديث المؤلف عن صفة العلو لله عز وجل)

النص :

هو العلي هو الأعلى هو المتعالي	في كل معنى علو الله لعظمته
قهرها ولدتها وذاتها جل خالقنا	ما حل لنا ولا بالخلق متحد
في سبع آي من القرآن صرح باسمه	توى على العرش ربي فهو منفرد
ولفظ فرق أتى مع الإقتران بمن	ودوننا لمريد الحق مستند
وفي السماء اتلها في الملك واضحة	وكم حديثا بها يعلو به السند
وتعرج الروح والأملاك صاعدة	أما إلى رهم نحو العلى صعدوا
وهكذا يصعد المقبول من عمل	من العباد لمن إياه قد عبدوا
كذا عروج رسول الله حين مرى	قل لي إلى من له قد كان مصطعد
وحين خطبته في جمع حجه	أشار رأس له نحو العلى ويد
أليس يشهد رب العرش جل على	تليقه ثم أهل الجمع قد شهدوا
ومن رفع المصلي في تشهده	مباحة لعلو الله بعضه
وكل داع إلى من رافع يده	إلا إلى من يحيى من عنده المدد
وكم لهذا براهيننا مؤيدة	وحين يسمعها الجهمي يرتعد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم جملة من أسماء الله تعالى الدالة على صفاته شرع في هذه الأبيات في ذكر صفة من صفاته بالتفصيل وذلك لكثرة ما وقع حولها من الخلاف بين أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الضالة المنحرفة وهي صفة العلو فذكر أسماء الله تعالى الدالة على علوه وهي العلى ، الأعلى ، المتعالي قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَوَفَّوْهُ حِفْظُهُمْ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٥٥ ﴾ [مريم: ٥٥] . وقال تعالى :

﴿ مَبِيعَ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الاسم: ١]. وقال تعالى : ﴿ عَلِيمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةِ الْغُيُوبِ الْمَتَعَالَى ﴾ [المراد: ١٠]. فهذه الأسماء تثبت لله العلو من كل وجه علو القهر والقدر والذات وذلك ما نعتقد ونؤمن به إيماناً جازماً لا يخالطه شك ولا ريب، فنحن نؤمن بعلو الله تعالى وأن له صفة العلو المطلق من كل وجه دون أن نسأل عن كيفية هذا العلو فعلوه تعالى كسائر صفاته تابع لذاته فكما خفيت علينا ذاته ولم نسأل عن كنهها فكذلك صفاته نؤمن بها ولا نسأل عن كنهها ومن هذه الصفات صفة العلو.

١- علو القهر : فهو سبحانه وتعالى الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه جميع المخلوق فواصلهم بيده ما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأ الله إيجاداً لم يقدرُوا على ذلك ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئة الله لم يمنعه وذلك لكمال اقتدره ونفوذ مشيئته وشدة إنتقار المخلوقات إليه من كل وجه.

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [المجادل: ١٠]. وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَخْلُقَ لَدَا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [المراد: ١٠].

٢- علو القدر (الشان) : وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق بل لا يستطيع الخلاق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة من صفاته . قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ١١٠]. وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَتَمَّ يَكُنْ لَهُ مَخْرُجًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإسلام: ١-٤].

فتعالى سبحانه عن جميع النقائص والعيوب المنافية لألوهيته وربوبيته وأسمائه الحسن وصفاته العلى وتعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير وتعالى في عظمته وكبرياته وحجروته عن الشفيع عنده إلا بإذنه وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفاء والنظير وتعالى في كمال حياته وقيومته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء وتعالى في كمال علمه

عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء وتعالى في كمال حكمته عن الخلق عبثاً وعن ترك الخلق مدى بلا أمر ولا نهي ولا بحث ولا جزاء وتعالى في كمال عدله أن يظلم أحداً مثقال ذرة أو أن يهضمه شيء من حسناته وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء ، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل .

٣- علو اللات : فهو سبحانه وتعالى موجود بذاته فوق جميع خلقه بائناً عنهم مستوياً على عرشه^(١) ثم يرد الناظم بعد ذلك على أهل الحلول والاتحاد من النجارية^(٢) والجهمية الذين يزعمون أن الله تعالى في كل مكان وأنه عين وجود المخلوقات .

وهم بذلك ينفون علو الله تعالى على خلقه وميادته لهم ويزعمون أنه حال في الأشخاص والأمكنة متحد بهم لدرجة أنهم يجعلونه حالاً في الأماكن النجسة والقدرة وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثم شرع الناظم بعد ذلك في ذكر بعض الأدلة على ثبوت العلو والفرقة لله تعالى ومن هذه الأدلة :

١- التصريح بالإستواء على العرش :

معنى العرش : هو المخلوق العظيم الذي استوى عليه الله تعالى وهو أعظم مخلوقات الله تعالى وأعلاماً ويعتبر كالسقف لها وهو مقبب وله قوائم^(٣) الدليل على علوه قوله ﷺ : [وإِذَا سَأَلَهُ اللَّهُ فَأَسْأَلُوهُ الْمَرْحُومِينَ مِنْهُ أَوْسَطَ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَهْتَبِرُونَ]^(٤) والدليل على أن له قوائم ، ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقد لطم وجهه فقال : يا أبا القاسم صرب

^(١) راجع فيما سبق من علو الله تعالى الفتاوى ج ٢ ص ١٢٣ ، شرح النونية للمهرس ج ٢ ص ٨٦ ، معارج القبول ج ١ ص ١٤٤-١٤٨ .

^(٢) النجارية هم أتباع حسين بن محمد الحارثي يعتقدون أن الله في كل مكان بذاته وأن الإيمان يزيد ولا ينقص وهم يوافقون المعتزلة في مسائل الصفات والقرآن والرواية ويوافقون الجهمية في خلق الأعمال والاستطاعة . أنظر الفرق بين الفرق ص ١٩٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨ .

^(٣) أنظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفى ص ٣٦٦ .

^(٤) البخاري في الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله ج ٣ ص ١٠٢٨ ح ٢٦٣٧ .

وجهي رجل من أصحابك فقال النبي ﷺ : من، قال رجل من الأنصار قال : أدعوه فدعوه فقال: أضرته قال : سمعته بالسوق يلحف والذي اصطفتى موسى على البشر قلت أي خبيث على محمد ﷺ فأخذتني غصبة فضربت وجهه فقال النبي ﷺ : لا تغيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان في من صعق أم حوسب بصعقته الأولى^(١).

هذا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الإستواء على العرش في سبعة مواضع من الكتاب الكريم . قال تعالى : ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٥١: ٥٦]. وقال تعالى : ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [١٠٣: ٢]. وقال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [١٢: ٢]. وقال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [٥: ٥]. وقال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٥١: ٥٦]. وقال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا خَفِيٍّ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [١: ١٢]. وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١: ١٢].

فالعرش أعلى المخلوقات والله سبحانه وتعالى فوق العرش مستويا عليه باثنا عن خلقه فهل بعد ذلك دليل على علوه وفوقيته .

٢- التصريح بالفوقية : فقد صرح الله تعالى بالفوقية في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فِتْنَتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٥٠: ٥]. وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [١٨: ٢٨] .

(١) البهاري في الخصومات باب ما يذكر في الأشعاع والخصومة بين المسلم واليهود ج ٥ ص ٨٥٠ ح ٢٢٨١ ومسلم في

المصالح باب من فضائل موسى عليه السلام ج ١٥ ص ١٤٠ ح ٢٣٧٤ مع الشرح.

(٢) الصفحة الأولى: هي التي صحفها سيدنا موسى بجانب الطور عندما سأل الله تعالى ربه. أنظر فتح الباري ج ٦ ص ٤٤٥.

وقد ذكر الرسول ﷺ فوقية الله تعالى ومن ذلك : لما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم قال له النبي ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقع^(١). وفي لفظ من فوق سبع سماوات.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : [رَوْحُنْ أَهْلُ بَيْتِنِ وَرَوْحُنِي وَبَيْتِي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ]^(٢) فال تصريح بالفوقية دليل واضح لمن أراد الحق وبحث عنه في إثبات صفة العلو لله تعالى.

٣- التصريح بأنه سبحانه في السماء والمراد بذلك اتصافه تعالى بصفة العلو فقد جاء في كتاب الله الكريم بأن الله سبحانه وتعالى في السماء ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ۝ ﴾ [هود ١٦-١٧]. وحرف الجر (في) الوارد في هذه الآية بمعنى على كما في قوله تعالى : (لأصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعته رسول الله ﷺ يقول من اغتطي منصفه حيناً أو خطاه أخ له طيقت ، ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أورك في السماء والأرض كلها رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض انقذ لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وطفاء من صفاتك على هذا الوجه فهبوا^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم الجنة من الرحمن فمن وحلها وصله الله ومن قطعها قطعاه الله]^(٤).

(١) ذكره الذهبي في العلو من حديثه من طريق محمد بن اسحاق ص ٣٢ وقال هذا مرسل وللحديث شاهد عند النسائي في الكبرى...

(٢) البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ج ٦ ص ٢٦٩٩ ح ٦٩٨٤.

(٣) أبو داود في الطب باب كيف الرقى ج ٤ ح ٣٨٩٢ والنسائي في عمل اليوم والليلة ح ١٩٣٨ أضحه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ص ٣١٤.

(٤) الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين ج ٨ ص ١١٠ مع الشرح وقال حديث حسن صحيح وأبو داود في الأدب باب الرحمة ج ٤ ص ٢٨٥ ح ٤٩٤١ وأحمد ج ٢ ص ١٦٠ وعلق عليه الألباني في صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٨٠ بقوله صحيح .

٤- التصريح بالعروج والصعود إليه : قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بِقُدَارِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [سج: ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [سج: ١٠٠] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من تصدق بعدل تمرة من خضبه طيبه - ولا يسعد إليه إلا الطيب - فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه]^(١).

فالتصريح برفع الأعمال إليه دليل على علوه تعالى فأعمال العباد ترفع إلى معبودهم الذي في السماء وهو الله سبحانه وتعالى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [يتعاقبون فيه ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وحالة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيهم فيأمنهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتكم عبادي . فيقولون : تركناهم وهم يحلون وأتيناهم وهم يحلون]^(٢).

فعروج الملائكة والروح إليه دليل على أنها تصعد وترتفع إلى الله تعالى الذي هو في علوه مستويا على عرشه .

٥- التصريح بعروج النبي ﷺ إليه ليلة الإسراء والمعراج فلو لم يكن الله تعالى متصفاً بصفة العلو كما يليق بجلاله وعظمته لما عرج بالرسول ﷺ إليه كما ورد ذلك في حديث الإسراء والمعراج^(٣). قلت وإن معظم الفرق التي ضلت في معتقدها ونفت صفة العلو لله سبحانه وتعالى واستراءه على عرشه يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج ثم ينكرون العلو فسبحانك رب هذا هتان عظيم.

٦- إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه : وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا كتاب الله وأنتم تسألون

^(١) البعاري في الزكاة باب لا يقبل الله صلقة من غلول ج ٢ ص ٥١١ ح ١٣٤٤ ومسلم في الزكاة باب يقول الصنف من الكسب الطيب ص ٣٩١ ح ١٠١٤ .

^(٢) البعاري في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ح ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ح ٥٣٠ ومسلم في المساجد باب فصل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ح ٥ ص ١٣٨ ح ٦٣٢ مع الشرح .

^(٣) البعاري كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ج ١ ص ١٣٥ ح ٣٤٢ .

عني فماذا أنتم قائلون ؟ فقالوا: نشهد قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات^(١) فالرسول يرفعه ليده ورأسه يشهد الله وهو في علوه مستويا على عرشه على تبليغه للرسالة وشهادة الناس له بذلك .

٧- رفع المصلي أصبعه السبابة في التشهد دليل على اعتقاده لعلو الله تعالى علوا يليق بجلاله وعظمته.

٨- أن الإنسان بفطرته يكون قلبه معلقا بجهة العلو حال دعائه الله تعالى فهو يرفع يده في الدعاء، ويكون قلبه معلقا بالعلو لأن فطرته تمديه إلى أن الله تعالى عاليا على عباده باثنا عنهم.

ولهذا قال : براهينا مؤيدة وحين يسمعها الجهمي يرتعد . وكما أثبت الناظم هنسا صفة العلو لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته بالأدلة النقلية فإن هناك من الأدلة العقلية ما يثبت ذلك لله تعالى ومن ذلك :

أن كل عقل صحيح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه من وجوه.

أن العو صفة كمال ، والله تعالى وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى .

أن العو ضد السفلى ، والسفل صفة نقص والله تعالى منزّه عن جميع النقائص ، فلزم تـزويـه عن السفلى وثبوت ضده له وهو العلو.

إن الله تعالى فطر الخلق كلهم العرب والعجم حتى البهائم على الإيمان به ويعلوه، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العو، وارتفع قلب إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يمينا ولا شمالا، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء^(٢).

فهذه الأدلة كلها متوهمرة على إثبات صفة العو لله تعالى كما يبين بجلاله وعظمته وهي حجة

(١) سلم في الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم من ٤٨٣-٤٨٥ ح ١٢١٨ البخاري بلفظ اللهم (هل بلغت اللهم هل)

بلغت) في الحج باب الخطبة أيام منى ج ٢ ص ٦٢٩ ح ١٦٥٢.

(٢) نظر القواعد الفليات في الأسماء والصفات ص ١٢٥ شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج ٢ ص ٤٩٧-٤٩٨.

على كل من أنكر علو الله تعالى، أو فسره بمعنى آخر مثل بعض الجهمية والمعتزلة. والحرورية^(١) الذين فسروا قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) أنه استولى وملك وقهر ، وجحدوا أن يكون مستويا على عرشه كما أقر بذلك أهل الحق^(٢). ولا شك أن هذا التفسير باطل ومخالف لما اتفق عليه أهل الحق وقد أبطله شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : والمبطل لتأويل من تأول استوى بمعنى استولى وجوه :

- ١- أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، فإنه لم يفسره أحد في الكتب الصحيحة عنهم.
- ٢- أن معنى هذه الكلمة مشهور ولهذا لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : (الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه).
- ٣- أنه إذا كان معلوماً في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلوماً في القرآن .
- ٤- أنه لو لم يكن معنى الإستواء في الآية معلوماً لم يحتج أن يقول الكيف مجهول لأن نفي العلم لا ينفي إلا ما قد علم أصله كما نقول إنا نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو .
- ٥- الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك هو عام في المخلوقات كالربوبية والعرش وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة ٢٨٥] . وكما في دعاء الكرب فلو كان استوى بمعنى استولى ، كما هو عام في الموجودات كلها لحاز مع إضافته للعرش أن يقال استوى على السماء وعلى الهواء والبحار والأرض وعليها ودونها ونحوها إذ هو مستو على العرش ، فلما اتفق المسلمون على أنه يقال استوى على العرش ولا يقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء علم أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاماً كعموم الأشياء.
- ٦- إنه أخير بخلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأخبر أن عرشه

(١) الحرورية: من ألقاب الخوارج، وسموا بذلك نسبة إلى حروراء موضع بظاهر الكوفة، كان أول تحكميمهم واجتماعهم حين عاثقوا عليها، فقاتلهم بالنهر وان - أنظر معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) انظر الصاوي ج ٥ ص ١٤٣ .

كان على الماء قبل خلقها وثبت ذلك في صحيح البخاري عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال: [كان الله ولا شيء معه ولا شيء معه] . مع أن العرش كان مخلوقاً قبل ذلك فمعلوم أنه مازال مستوياً عليه قبل وبعد فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا هو الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصاً بالعرش .

٧- أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور : قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهوراق ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي ، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يوجد في اللغة . وقد علم لو أنه احتج بحديث رسول الله ﷺ ، لا احتياج إلى صحته ، فكيف يثبت من الشعر لا يعرف إسناده ، وقد طعن فيه أئمة اللغة .

٨- أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر ، والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، والعرش لا يغالبه في حال ، فامتنع أن يكون بمعنى استولى^(١) .

النتيجة :

ولحن نبت ما الوحيان تبت	من أن ذا العرش فوق العرش منفرد
يدنو كما شاء من شا ويفعل ما	يشا ولا كيف في وصف له يرد
وكل أماله الحسنى تقر بها	مما علمنا ومما استأثر الصمد
مستيقنين بما دلت عليه ومن	للا أوجه اعلم ذكرها يرد
دلت على ذات مولانا مطابقة	به تليق بها الرحمن منفرد
كذا تضمنت المشفق من صفة	لحو العليم بعلم ثم تطرد
كذلك استلزم باقي الصفات كمال	للقدرة استلزم الرحمن والصمد
وكل ما جاء في الوحيين من صفة	لله نبتها والنص نعتهم
صفات ذات وأفعال غير ولا	نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا

(١) الذكر : اللوح المحفوظ .

(٢) نظر الفتاوى ج ٥ ص ١٤٤-١٤٩ .

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ج ٢ ص ٤٩٦ و ٥١٣.

والمعية تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

١- المعية العامة : وهي تشمل كل بر وفاجر مؤمن وكافر ومثالثا قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحج: ٤٠].

٢- المعية الخاصة : هي خاصة بعباد الله المؤمنين مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [البقره: ١٧٧].

٣- خاصية الخاصة : وهي الخاصة ببعض الأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [البقره: ١٠٤]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [البقره: ١٠٤]. وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين علوه وفوقيته ومعيته لخلقته في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقره: ١٠٤]. ففي قوله تعالى : ثم استوى على العرش إثبات لصفة العلو والفوقية وفي قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) إثبات للمعية وإذا جمع الله سبحانه وتعالى لنفسه بين وصفين فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان لأنهما لو تناقضا لكان أحدهما يكذب الآخر إذ أن المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فلا بد من وجود أحدهما وارتفاع الثاني ولو كان هناك تناقض للزم أن يكون أول الآية مكذبا لآخرها أو العكس.

فألعلو والمعية قد يجتمعان حتى في حق المخلوقات كما تقول العرب : ما زلنا نسير والقمر معا مع أنه في السماء إلا أنهم يقولون ذلك على سبيل الحقيقة، فلماذا لا تقول أن الله معنا على سبيل الحقيقة وهو في السماء ، وإذا افترضنا أن الجمع بين العلو والمعية ممتنع في حق المخلوقات لما لزم من ذلك امتناعه في حق الله تعالى لأن الله ليس كمثل شيء وليس معنى معيته أنه مختلط بالخلق فإن هذا المعنى فاسد بل إنه مع معيته وقربه من خلقه بائن عنهم ولو كان معنى المعية الاختلاط للزم من ذلك أحد أمرين إما تعدد الخالق أو تجزؤه مع ما في ذلك من كون الأشياء محيطة به وهو سبحانه محيط بالأشياء فهو سبحانه وتعالى مع عباده قريب منهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقره: ١٨٦]. وليس معنى دنوه وقربه من عباده أنه مختلط بهم فإن هذا المعنى فاسد كما سبق وأن وضعنا ذلك فهو سبحانه وتعالى

عليّ في دنوه وقريب في علوه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(١) ثم يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بأسماء الله تعالى وهو الإقرار بما جميعاً ما علمناه منها وما لم نعلم مما استأثر الله سبحانه بعلمه . فيقول : وكل أسماءه الحسنى نقرأها مما علمنا وما استأثر الصمد . كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] . وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: [إما أحاط به أحد قط هو ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناسيتني بعبدك ما خييتني بحكمك لمحل فني فضاوتك أصالك بطل اسمه هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فني تحتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فني علم الغيب بمحكك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وطمأنينة همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً]^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : [إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر والله يحب الوتر] أخرجه في الصحيحين^(٣).

^(١) انظر القواعد الطلبيات في الأسماء والمسميات لابن عثيمين ، شرح العقيدة الواسطية لاس عثيمين والعناوي ح ١٠٦-١٠٢ .

^(٢) رواه أحمد ج ١ ص ٣٩١ . صححه أحمد شاكر في تحقيق المسند ج ٥ ص ٢٦٧ ح ٣٧١٢ والألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص ٣٣٦ ح ١٩٩ .

^(٣) البخاري في الدعوات باب فـ ع وجل مائة اسم غير واحد ح ٥ ص ٢٣٥٤ ح ٦٤٧ ، ومسلم في الذكر والدعاء باب أسماء الله تعالى ومصل خصائصها ص ١٠٧٥ ح ٢٦٧٧ .

كما بين أن أسماء الله عز وجل ليست منحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود السابق ذكره، وهو ما أشار إليه الناظم بقوله : وما استأثر الصمد^(١).

ثم أشار الناظم -رحمه الله- بعد ذلك إلى أن الاسم من أسمائه تعالى له دلالات ثلاث :

مستيقنين بما دللت عليه من ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد

دللت على ذات مولانا مطابقة به تلتقي بها الرحمن منفرد

^(١) ومن أسماء الله تعالى ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابلة فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك منها المعطي للسانع والضرار والنافع والقابض والباسط والمز والمحل والخالص والرفع فلا يطلق على الله تعالى المانع الضار القابض والخالص كلاً على انفراد بل لابد من إدراجها مقابلتها إذ لم ترد في الوحي إلا كذلك.

ومن ذلك المشتق لم يأت في القرآن إلا مصافاً إلى ما كقولته تعالى : (عزيز ذو انتقام) .. آل عمران ٤ أو متبداً بالمهمين كقوله تعالى : (إنا من المهممين منتقمون) السجدة آية ٢٢ . وقد ورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله تعالى على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة وهي مما سبقت به مدح وكمال لكن لا يجوز أن يشتق له منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سبقت فيه من الأبيات كقوله تعالى : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) النساء آية ١٤٢ وقوله تعالى : (ومكروا ومكر الله والله عمو الماكرين) آل عمران آية ٥٤ . وقوله تعالى : (تسوا الله فسيهم) التوبة آية ٦٧ . وقوله تعالى : (وإذا طغوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نخشى مستهزئاً الله يستهزئ بهم) .. البقرة آية ١٤-١٥ . ومحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى خادع مكر ناسي مستهزئ ومحو ذلك مما تعالى الله عنه ولا يقال الله يستهزئ وخادع ومكر وينسى على سبيل الإحاطة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً ولا ذلك داعل في أسمائه الحسن وس على من أجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسن أن من أسمائه تعالى الماكر المعادع المستهزئ الكائد فقد ساء بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عن سماعه وغر هذا الجاهل أنه سبحانه أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق منها أسماء وأسماءه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الومود الحكيم الكريم وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست بمدح مطلقاً بل بمدح في موضع وتذم في موضع إطلاق أفعالها على الله مطلقاً فلا يقال أنه تعالى يكره ويخادع ويستهزئ ويكيد فكذلك بطريق الأول لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المرهبة المتكسمة ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالألوان المحمودة منها كالجليل والحكيم والعزير والفعال لما يريد فكيف يكون منها الماكر والخادع والمستهزئ ثم يلزم هذا للغلط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعسى والآتي والهاب والناهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساقط والفضيل والملاعب إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا جاهل والمقصود أن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق وقد علم أن المهاراة على ذلك حسنة من المخلوقات فكيف من الخالق سبحانه وتعالى . انظر معارج القبول ج ١ ص ١١٧-١٢٠.

كذا تضمنت المشتق من صفة نحو العليم بعلم ثم تطرد
كذلك استلزم باقي الصفات كما للقدرة استلزم الرحمن والصمد

١- دلالة المطابقة : هي دلالة اللفظ على جميع مدلوله وعلى هذا كل اسم دال على المسمى به وهو الله وعلى الصفة المشتق منها الاسم .

٢- دلالة التضمن : فهي دلالة اللفظ على بعض مدلوله، وعلى هذا فدلالة الاسم على الذات وحدها أو على الصفة وحدها دلالة تضمن.

٣- دلالة الالتزام : فهي دلالة على شيء يفهم لا من لفظ الاسم ولكن من لازمه فلهذا سمي دلالة إلتزام. مثال ذلك : الخالق اسم يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق. إذا فباعتبار دلالة على الذات يسمى دلالة مطابقة لأن اللفظ دال على جميع مدلوله ولا شك أننا إذا قلنا الخالق فإننا نفهم حقاً وحالفاً.

وباعتبار دلالة على الخالق وحده أو على الخلق وحده يسمى دلالة تضمن لأنه دل على معناه. وباعتبار دلالة على العلم والقدرة يسمى دلالة التزام إذ لا يمكن خلق إلا بعلم وقدرة، ولهذا خلق الله السماوات والأرض قال : ﴿ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ ﴾ [الطلاق ١٠٢]، وهذا ما أراده الناظم فهو يقول إننا نؤمن بأسماء الله الحسنى ونؤمن بدلالاتها الثلاث السابق ذكرها. وبدأها بدلالة هذه الأسماء على ذات الله تعالى بالمطابقة كما يليق بجلاله وعظمته فكل اسم من هذه الأسماء يدل على الذات المسماة به وهو الله سبحانه وتعالى وعلى الصفة المشتق منها هذا الاسم فمثلاً اسم الرحمن يدل على ذات الله سبحانه وتعالى بالمطابقة ويدل على الصفة المشتقة منه وهي الرحمة ثم ذكر أن هذه الأسماء تدل بالتضمن على الصفة المشتق منها هذه الأسماء مثل لذلك بصفة العلم ، فاسم العليم دال على الصفة المشتق منها هذا الاسم وهي صفة العلم . ثم ذكر دلالة اللزوم فبين أن الاسم من أسمائه تعالى يدل على شيء يفهم لا من لفظ الاسم ولكن من لازمه فاسم الرحمن والصمد يدلان باللزوم على صفة القدرة. ثم يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى وهو إثبات كل ما أثبتته الله

تعالى لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ بالاعتماد على نصوص الوحيين من الكتاب والسنة .

ثم أشار الناظم أن صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين : صفات ذات وصفات فعل فالصفات الذاتية اللازمة هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها مثل الحياة والعلم والقدرة والحكمة وما أشبه ذلك. وتنقسم إلى ذاتية معنوية وذاتية خيرية وهي التي سماها أبعاداً لنساء وأجزاء كاليد والوجه والعين فهذه يسميها العلماء ذاتية خيرية لأنها لا تنفصل ولم يزل الله ولا يزال متصفاً بها. خيرية : لأنها متلقاه بالخير فالعقل لا يدل على ذلك، فلولا أن الله أخبرنا أن له بدءاً ما علمنا بذلك لكنه أخبرنا بذلك بخلاف العلم والسمع والبصر فإن هذا تدركه بعقولنا مع دلالة السمع ، لهذا نقول في مثل هذه الصفات واليد والوجه وما أشبهها أنها ذاتية خيرية ولا نقول أجزاء وأبعاد بل نتحاشى هذا اللفظ ولكن سماها لنا أجزاء وأبعاد ولأن الجزء والبعض ما جاز انفصاله عن الكل.

فالرب عز وجل لا يتصور أن شيئاً من هذه الصفات التي وصف بها نفسه كاليد تزول أبداً لأنه موصوف بها أزلاً وأبداً ولهذا نقول أنها أبعاد وأجزاء .

وأما الصفات الفعلية : فهي الصفات التي لها أسباب مقرونة بها، أي أنها متعلقة بالمشيئة إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها وتعرف بالصفات الطارئة مثل الرضى والمحبة والكرهية والبغض والاستواء على العرش والكلام والإتيان والجيئ ومن هذه الصفات الفعلية ما نوعه ذاتياً مثل صفة الكلام فإن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ومنها ما ليس نوعه ذاتياً كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا لأن هذا ما صار إلا بعد وجود العرش^(١).

ثم يقول الناظم إن هذه الصفات سواء كانت صفات ذات أو أفعال فإننا نمرها كما كانت أي نسلّم بها كما ورد بها النص دون أن نسأل عن كيفية ولا ننفي شيء منها كمن جحد صفات الله تعالى كلها أو بعضها كالمعتزلة والجهمية.

وهو يشير بقوله (نمر ولا نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا) إلى قول السلف في الصفات (أمرها كما جاءت بلا كيف) وقد روى هذا القول عن مكحول والزهرى ومالك بن أنس

(١) تنظر شرح العقيدة الواسطية ج ١ ص ٥٣-٥٤ و ٨٧-٨٨.

وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي^(١).

وهذه العبارة رد على المعطلة والمشبهة ففي قولهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وفي قولهم بلا كيف رد على المشبهة، وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله ، تدل على ذلك من وجهين:

(١) قولهم أمروها كما جاءت : فإن معناه إبقاء دلالتها على ما جاء به من المعنى ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا (أمروا لفظها ولا تعرضوا لمعناها) ونحو ذلك .

(٢) قولهم بلا كيف : فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى ، لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته من لغو القول^(٢).

وقول الناظم على ما بمولانا يليق كما أراده وعناه الله نعتقد يشير إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بصفات الله تعالى وإثباتها إثباتاً حقيقياً كما يليق بجلاله وعظمته وفق مراده تعالى وقصده من خلال نصوص الصفات.

وبما سبق نستطيع أن نلخص مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وهو ما أشار إليه الناظم في الأبيات السابقة فنقول إن طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته كما يلي :

١- في الإثبات : إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

٢- في النفي نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى .

٣- فيما لم يرد فيه نفي ولا إثبات مما تنازع الناس فيه كالجسم والحيز والجهة ونحو ذلك :

(١) انظر كتاب السنة لأبي بكر الخلال، والفتوى الحموية.

(٢) انظر القواعد الطيبات ص ١١٩ - ١٢٠ ، والفتوى الحموية.

فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتون ولا ينفون لعدم ورود ذلك وأما معناه فيستفصلون عنه فإن أريد به باطل ينزله الله عنه ردوه وإن أريد به حق لا يتمتع على الله قبلوه. وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل. وقد دل على وجوبها العقل والسمع: فأما العقل فوجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز يتمتع على الله ولا يدرك إلا بالسمع فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبتته ونفي ما نفاه والسكرت عما سكنت عنه.

وأما السمع فمن أدلته: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٥٠ ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥١ ﴾ [الأنعام: ٥١]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الأنعام: ٥١]. فالآية الأولى دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل لأحدهما من الإلحاد. والآية الثانية دلت على وجوب نفي التمثيل. والآية الثالثة دلت على وجوب نفي التكيف وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

وكن ما ثبت لله من الصفات فإنها صفات كمال يحمدها عليها ويثني بها عليه وليس فيها نقص بوجه من الوجوه فجميع صفات الكمال ثابتة لله تعالى على أكمل وجه وكن ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنع على الله تعالى لوجوب كماله.

وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها وذلك أن النفي لا يدل على كمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يحمدها عليها فإن مجرد النفي قد يكسرون سببه العجز فيكون نقصاً وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً.

وإذا تبين هذا نقول: مما نفي الله عن نفسه الظلم، والمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل، ونفي عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء فالمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه.

قلنا إن مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.

فما معنى كل من : التحريف - التعطيل - التكيف - التمثيل .

١- التحريف : لغة : التغيير^(١)

في الاصطلاح : تغيير النص لفظا ومعنى ، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير
فالتحريف له أقسام ثلاثة :

أ - تحريف لفظي يتغير معه المعنى كتحريف بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْلِيمًا ﴾ [البقرة: ١٧٤] . إلى نصب لفظ الجلالة ليكون التكليم من موسى .

ب - تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى ، كفتح الدال من قوله تعالى قال تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢] . وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود
لفاعله عموما .

ج - تحريف معنوي : وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين
إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك .

٢- التعطيل : لغة : التفريغ والإحلاء^(٢) .

وفي الاصطلاح هنا : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضها فهو

نوعان :

أ - تعطيل كلي : كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات وغلاهم يتكرون الأسماء أيضا .

ب - تعطيل جزئي : كتعطيل بعض الأشعرية الذين أنكروا بعض الصفات دون البعض ، وأول من
عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم .

(١) أظهر لسان العرب ج ٩ ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٩ ص ٣١٢ .

٣- التكيف : وهو حكاية كيفية الصفة^(١) ، كقول القائل : كيف يد الله أو كيف نزوله إلى السماء الدنيا : كذا وكذا .

٤- التمثيل والعشيه : التمثيل : إثبات مثل الشيء^(٢) . والتشبيه : إثبات مشابهة^(٣) .

أنواع التشبيه :

أ - تشبيه المخلوق بالخالق .

ب - تشبيه الخالق بالمخلوق .

فأما تشبيه المخلوق بالخالق : إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات ، فالأول : كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقاً

والثاني : كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقاً في الألوهية فعبدها مع الله .

والثالث : كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره مثل قول المتنبي^(٤) بمدح (عبد الله بر يحيى البحرى) :

فكن كما شئت يا من لا شبه له

وكيف شئت لما خلق يدانكا

وأما تشبيه الخالق بالمخلوق فمعناه : أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته مثل ما يثبت للمخلوق في ذلك ، كقول القائل : إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين واستنواؤه على عرشه كاستوائهم ، ونحو ذلك^(٥) .

(١) المرجع السابق ج ٩ ص ٣١٢ .

(٢) المرجع السابق ج ١١ ص ٦١٠ .

(٣) المرجع السابق ج ١٣ ص ٥٠٤ .

(٤) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي المولود سنة ٣٠٣ المتوفى ٣٥٤ من كبار شعراء العربية ادعى النبوة في صباه فلقب بالمتنبي اتصل بسيف الدولة الحمداني وله فيه المذائح السائلة كما اتصل بكافور الاشعسيدي فمدحه ثم انقلب عليه فهجاه له ديوان شعر متداول انظر تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠٢ والمنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٤ .

(٥) انظر القوام، الطيحات في الأسماء والصفات ص ١٠٤-١٠٩ ، وشرح العقيدة الواسطية ج ١ ص ٦١-٨٢ .

النظم :

وفي الشهادة علم القلب مشروط يقينه التقدير ليس يفقد
إخلاصك الصدق فيها مع محتبها كذا الولاء والبراء فيها لها عمد
فيه نوالي أولى القوى وننصرهم وكل أعدائه إننا لهم لعدو

الشرح :

في هذه الآيات يشير النظم إلى شروط الشهادة (شهادة أن لا إله إلا الله) باعتبارها أهم دعائم الإيمان بالله إذ أن هذه الشهادة هي دليل الدخول في دين الإسلام والإيمان بالله تعالى وهذه الشهادة لا يكتفي فيها بمجرد النطق بل لابد من توفر سبعة شروط فيها حتى ينتفع بها وتكون سبباً في دخول الإنسان في التوحيد وحروجه من الشرك ومن ثم تكون سبباً في دخول الجنة وهذه الشروط كما أشار إليها النظم هي :

١. العلم : وهو العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المناهية للجهل بذلك قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمَ أَنْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [ص: ١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا أَمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٨٦] . أي يعلمون بقلوبهم معنى ما تنطق به ألسنتهم وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩] . وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة] ^(١) .

٢. اليقين : وهو المناهية للشك بأن يكون قائلها مستيقناً مدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً فإن الإيمان لا يعني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن فكيف إذا دخله شك . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] . فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا يَدْعُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨] .

(١) مسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ص ٤٤-٤٥ ح ٢٦ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [اهدد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بصا محمد بنبر هالك فهدجبه بمن الجنة] ^(١) وفيه عن رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بتعليه فقال : [من لهبت من وراء هذا العائط يهدد أن لا إله إلا الله مستقيماً بها قلبه فهدره بالجنة] ^(٢) فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستقيماً بها قلبه غير شاك فيها وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

٣. الإنقياد : وهو الإنقياد لما دلت عليه باطناً قال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الرعر ١٥٤] . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [الرعر ١٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الرعر ١٢٦] . العروة الوثقى هي : (لا إله إلا الله ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد . وهو محسن أي موحد ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك عمساً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى).

٤. القبول : وهو القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها . بد قص الله علينا ما قد سبق من إغواء من قبلها وانتقامه من ردها وأبائها كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ شَرٍّ وَإِنَّا عَلَىٰ شَرِّهِمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الرعر ١٢٦] . قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ فَمَنْ كَانُوا مِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ كُفِرُونَ ﴾ [الرعر ١٢٧] . فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الرعر ١٢٨-١٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نَسْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَسْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الرعر ١٢٩] . كذلك أخبرنا عما وعد به القابلين لها من ثواب ، وما أعد له لمن ردها من العذاب كما قال تعالى : ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجْهُمْ وَمَا كَانُوا بِعُقُودٍ ﴾ [الرعر ١٣٠] . مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الرعر ١٣١] . وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [الرعر ١٣٢] . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الرعر ١٣٣] . وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا ءَالَهُتِنَا لِشَاعِرٍ مُجْتَنُونَ ﴾ [الرعر ١٣٤] . فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله وتكذيبهم من جاء بها فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته ثم قال سبحانه في شأن من قبلها : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

(١) مسلم في باب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً من ٤٥ ح ٢٧ .

(٢) مسلم في باب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً من ٤٧، ٤٦ ح ٣١ .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مُّعْلَمٌ ﴾ ﴿ فَوَاسِحَةٌ وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴾ ﴿ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾ [المعارج: ١٠-١٣].
 وقال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ؕ آمِنُونَ ﴾ [الزلزال: ٨٩]. وفي
 الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [أهل ما بعثني الله به من الصدق
 والعلم كمثل الغيث الكثير أحابهم أرحا فكان منما بغيته قبلت الماء فابتهت الخلا
 والعظيم الظهور وكأنت منما أحابيه فظلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني
 الله به فعمله وعلمه، ومثل من له يدفع بظلك راحاً وله يقبل هدي الله الطيب أرحمت به] (١).
 ٥. الإخلاص : وهو تصفية العمل بصلاح النية عن جميع شوائب الشرك قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ
 الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٥]. وفي
 الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [أعبد الناس بصفاتي من قال لا إله
 إلا الله خالساً من قلبه أو بنفسه] (٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله
 ﷺ يقول: (فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال) : [أنا أختص الخرقاء بمن أخرجهم من عمل
 عملهم أشرك معي بخبري تركته وخرجه] (٣). وعن عثمان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ
 قال: [إن الله حرم علي النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل] (٤).
 ٦. الصدق : أي الصدق فيها المنافي للكذب وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواظب عليه لسانه
 قال تعالى : ﴿ اتَّقِ اللَّهَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٥﴾ [الأنعام: ١-٢]. وقال تعالى في
 شأن المنافقين الذين قالوها كذباً : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ
 يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَشْفَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ
 اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨-١٠]. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل

(١) البخاري في العلم باب فضل من علم وعلم ج ١ ص ٤٢ ح ٧٩.

(٢) البخاري في العلم باب الحرص على الحديث ج ١ ص ٤٩ ح ٩٩ ، وفي الرقاب باب صفة الجنة والنار ج ٥ ص ٢٤٠٢ ح ٦٢٠١.

(٣) مسلم في الزهد باب من أشرك في عهده غير الله ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥.

(٤) البخاري في المساجد باب المساجد في البيوت ج ١ ص ١٦٤ ح ٤١٥ ، ومسلم في المساجد باب الرخصة في التعلف من الجماعة بعذر ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ح ٣٣.

رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [ما من أحد يضمن أن لا إله إلا الله وأن محمداً بمحمد ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار] (١). فاشتراط في إنجاء هذه الكلمة من النار أن يفهمها صدقاً من قلبه فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطاة القلب. وفيهما أيضاً من حديث أسس من مالك وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره ، قال هل علي غيرها قال : لا إلا أن تطوع قال والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق [(٢) فاشتراط رسول الله ﷺ في فلاحه ودخوله الجنة أن يكون صادقاً .

٧. المحبة : أي المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها المستلزمين لشروطها وبفض ما ناقض ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] . وقال تعالى : ﴿ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرِّئَةٍ مِنْكُمْ عَنْ ذَمِّهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [البقرة: ١٥٥] . فأخبر الله تعالى أن عباده المؤمنين أشد حياءً لله لأنهم لم يشركوا معه في محبة أحداً كما فعل مدعو محبة من المشركين الذين اتحدوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه وعلامة حب العبد لربه تقلص محابه وإن خالفت هواه وموالاته من وإلى الله ورسوله ومعاداة من عاداه واتباع رسول ﷺ واقتفاء أثره وقبول هدايه. ومن هذه المحبة الموالاته في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله كما أشار الناطم إلى ذلك فمحبة هذه الشهادة تقتضي محبة الرسول ﷺ ومحبة المؤمنين وموالاتهم ونصرهم وبغض الكفار ومعاداتهم. فقال تعالى في اشتراط محبة الرسول ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾

آل عمران ٣١ - ٣٢ .

(١) البخاري في العلم باب من عصى بالعلم قوماً دون قوم ج ١ ص ٦٠ ح ١٢٨ .

(٢) البخاري في الإيمان باب الركعة في الإسلام ج ١ ص ٢٥ - ٢٦ ح ٤٦ .

وقال تعالى في اشتراط بغض الكفار ومعاداتهم : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [المائدة]. وقال رسول الله ﷺ [ثلاثة من نحن فيه وجد خلاوة الإيمان أن يحبون الله ورسوله أحبه إليه مما حواهما وأن يحبه المرأة لا يحبه إلا الله] الحديث (١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يؤمن أحدكم حتى يحب الله يحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين] (٢).

هذا وما ينبغي العلم به أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب في دخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينهما وبين أحاديث الوعيد التي فيها أن من فعل ذنب كذا حرم من عليه الجنة أو لا يدخل الجنة من فعل كذا لإمكان الجمع بين النصوص بأنما جنات كثيرة كما أخبر الرسول ﷺ بذلك وبأن أهل الجنة يتفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمماً لإمكان الجمع بينها بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين ثم يغتسلون في نهر الحياة ثم يدخلون الجنة فحينئذ قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك أو المراد أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها وهي ما عدا الطائفة العليا التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد (٣).

(١) البخاري في الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر ج ١ ص ١٦ وفي الأدب باب الحب في الله ج ٥ ص ٢٢٤٦ ح ٥٦٩٤ ومسلم في الإيمان باب حصل من تصف من وجد خلاوة الإيمان ص ٤٩ ح ٤٣ .

(٢) البخاري في الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ج ١ ص ١٤ ح ١٥ ومسلم في الإيمان باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل ص ٥٠ ح ٤٤ .

(٣) انظر معارج القبول ج ١ ص ٣٤١-٣٤٢ .

المطلب الثالث

فصل في الشرك الأكبر

النص :

والشرك جعلك ندا للإله ولم يشارك الله في خلقنا أحد
تدعوه ترجوه تمناه وتقصده لدفع شر ومنه الخير ترتفع
وعلمه بك مع سمع الدعاء وقد رة وسلطان غيب فيه تعقد

المفردات : الند : المثل والنظير^(١).

ترتقد : الرصد العطاء والصلة ، ومنه ترافد القوم أي أعان بعضهم بعضاً^(٢).

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم - رحمه الله - إلى الشرك بالله تعالى الذي هو ضد التوحيد، وذلك بعد أن تكلم عن الإيمان بالله تعالى فيبين هنا نقيض التوحيد وهو الشرك بالله تعالى ، فتحدث هنا عن نوع من أنواع الشرك في الألوهية وذلك بأن نحمل لله نداً أي مثلاً وشيهاً نصرف له شيئاً من أنواع العبادة الخاصة بالله تعالى مع علمنا الأكيد بأن الذي خلقنا هو الله سبحانه وتعالى لا شريك له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فأما الشرك في الإلهية فهو أن يجعل لله نداً أي مثلاً في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته، فهذا هو الشرك الذي لا يعفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٨].

وعذا هو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ مشركي العرب لأنهم أشركوا في الإلهية قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَنْفَاسٍ مِّنْ يَّتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ

(١) نظر لسان العرب ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٨١ والقاموس المحيط ج ١ ص ٢٩٥ .

حُبًّا لِلَّهِ ﴿١١٠﴾. وقال تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [النور ٣]. وقال تعالى : ﴿ أَجْعَلْ آلَ إِبْرَاهِيمَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [١٥٠]. وقال تعالى : ﴿ أَنفِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [شاع] لِيُخَيَّرَ مُعْتَدِرُ رَبِّهِ ﴿١٥١﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿١٥٢﴾. [وقال رسول الله ﷺ لعصيان : هُم إِلَهًا تَعْبُدُونَ؟ قَالَ: صِنَةَ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدَ فِي السَّمَاءِ قَالَ فَمَنْ الطَّيِّبُ تَعْبُدُ لِرَبِّكَ وَدِينُكَ؟ قَالَ : الطَّيِّبُ فِي السَّمَاءِ . قَالَ : أَلَا تَسْلُو مَا لَكُمْ لِحَمَاتِهِ . فَأَمَلَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قُلْ : اللَّهُمَّ الْعَمِيذُ رَهْطِي وَفِيهِ خِرَ نَفْسِي (١)] (٢).

فمن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ويصرفون لهم شيئا من العبادات الخاصة بالله تعالى، سواء كان هؤلاء الأنداد من الإنس أو الجن، أو الملائكة أو الأوثان أو الكواكب، فيقومون بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده لدفع شر ومنه الخير ترتقد

بذكر الناطم - رحمه الله - هنا جملة من العبادات الخاصة بالله تعالى والتي إذا صرفها الإنسان لغيره فإنه يقع بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [١٨: ١٧]. وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [١٨: ١٦]. وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الْقَلْبُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ ﴾ [٢١: ٢١]. وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٢١: ٢٢]. ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ السَّائِرِينَ ﴾ [٢١: ٢٣].

(١) الترمذي في أبواب الدعاء باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ ج ١٣ ص ٢٤ مع الشرح وقال حدثنا هرب وقصد روى عن عمران بن حصيب من غير هذا الوجه. أورده الملائكي في شرح أصول وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة قال أحمد سعد الضامدي بحقق الكتاب سنده ضعيف فيه شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المقرئ وضعيف كما قال الحافظ بن حجر في التهذيب ج ٤ ص ٣٧٠ طبعة دار الفكر بدون تاريخ.

(٢) الفتاوى ج ١ ص ٩١ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : [أتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله ما الموجدتان ؟ فقال : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة . ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار] (١).

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : [يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله عز وجل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله ألا يعذبوه من لا يشرك به شيئا] (٢) . فالشرك أعظم ذنب عصى الله به ولهذا أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفره ، وأنه لا أضل من فاعله وأنه محدد في النار أبدا ، لا نصور له ولا حميم ولا شفيع يطاع ، وأنه لو قام لله مقام المسارية ليلا ونهاراً ، ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة مسن اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله بتلك اللحظة التي أشرك فيها (٣) .

ومن هذه العبادات التي صرفها بعض الناس لغير الله تعالى ، فأوقعهم ذلك في الشرك الأكبر .
الدعاء : وهو مع العبادة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَخِيرِينَ ﴾ [١٠:١٢٥] . وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [١٠:١٢٦] . وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٠:١٢٧] . وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء (٤) . وفيه من حديث ابن عباس مرفوعاً إذا سألت فاسأل الله (٥) وهو حديث حسن صحيح .

الرجاء : وهو من أنواع العبادة الخاصة بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [١٠:١٢٨] . وقال تعالى :

(١) مسلم في الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار من ٩١ ح ٩٢ .

(٢) مسلم في الإيمان الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة من ٤٦ ح ٣٠ .

(٣) انظر معارج القبول ج ١ ص ٣٨٣ .

(٤) الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء ج ١٢ ص ٢٦٦ مع الشرح حقه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ١٣٨ .

(٥) الترمذي أبواب التوبة باب رقم ٦٠ ح ٩ ص ٣١٩ مع الشرح وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٣٠٩ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ لِنَارٍ يَمَّا كَانُوا يُكَسَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة النازعات: ١٠-١١]. وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمس النار ^(١)

الخشية : وهي مرادفة للخوف . قال تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [سورة البقرة: ٢٩] . وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [سورة النور: ١١] . وقال تعالى : ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٢٠﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة النور: ٢٠-٢١] . وقال رسول الله ﷺ : إن أحشاكم وأتقاكم لله أنا ^(٢) . وقال أيضاً : لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ^(٣) .

القصد في دفع الشر وجلب الخير :

وذلك بأن يلجأ الإنسان لغير الله تعالى ويعتمد عليه في جلب النافع ودفع الضار ، مع العلم بأنه لا يملك ذلك إلا الله ، قال تعالى : ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النور: ١٠٠] . وقال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة النور: ١٠١-١٠٢] . وقال تعالى : ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَتِهِ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ

(١) البخاري في الرقاق باب الخوف مع الرجاء ج ٥ ص ٢٣٧٤ ح ٦١٠٤ .

(٢) البخاري في النكاح باب الترغيب في النكاح ج ٥ ص ١٩٤٩ ، ومسلم في الصيام باب أن القلة في الصوم يست حرمة على من لم تحرك شهوته ص ٤٢٩ ح ١١٠٨ .

(٣) الترمذي في فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل العار في سبب الله ح ٧ ص ١٣٠ ح ١٣٠ مع الشرح .
السيوطي في الجهاد باب من عمل في سبب الله على قدمه ح ٦ ص ١٢ مع لشرح للإمام السيوطي . أحمد ح ٢ ص ٥٠٥ والحاكم في المستدرک ح ٤ ص ٢٦٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ [سورة: ٢٠]. وقال ﷺ لابن عباس : وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك^(١). فكل هذه العبادات خاصة بالله تعالى وحده لا شريك له ومن صرفها لغيره فقد أشرك بالله شركاً أكبر مخرجاً من الملة ومخلداً لصاحبه في النار.

وعلمه بك مع صبح الدعاء وقد رة وسلطان غيب فيه تعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي إذا اعتقدها الإنسان فإنه يقع بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار ، ومن ذلك الاعتقاد بأن الأنداد التي تدعي من دون الله تعلم وتطلع على ما بداخل الإنسان ، وأنها تسمع الدعاء وتجيبه وأن لها القدرة على قضاء الحاجات من جلب النافع ودفع المضار وأنها تعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله . فكل هذه الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى ولا يقدر عليها غيره ، فمن اعتقدها في غيره فقد أشرك بالله تعالى شركاً أكبر مخرجاً من الملة ومخلداً لصاحبه في النار لأنه بهذا الاعتقاد يثبت لذلك الند من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة المعودية ويجعله مستحقاً للعبادة مع الله ، قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعِبِدُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] ﴿٢٠﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]. وقال تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَجَهْرٌ عَمٌّ وَيَخْلُقُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [سورة: ٢١]. وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ . . . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَوِّجُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَثْرٍ مِمَّا أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [سورة: ٢٢-٢٣].

(١) سبق ترجمته من ١٢٤ .

الشرح:

في هذا البيت يشير الناظم إلى بعض العبادات الخاصة بالله تعالى والتي صرفها هؤلاء المشركون لأهلهم التي عبدوها من دون الله تعالى ظلما وعدوانا على الله تعالى بصرفهم خالص حقه لغيره.

ومن هذه العبادات : النذر : وهو في اللغة : الإيجاب والالتزام^(١) . وفي الاصطلاح : إلزام المكلف نفسه لله شيئا غير واجب بكل قول يدل عليه^(٢).

وهو في الأصل مكروه، فقد نهي عنه النبي ﷺ وقال : (إنه لا يرد شيئا ولكنه يستخرج به من التحيل)^(٣).

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا ﴾ [البقرة ٢٧٠] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَلْعَنُونَ الَّذِينَ وَعَدُوا بِتُوبَةٍ يَوْمَ مَا كَانُوا تُوبَةً مُسْتَعِيلِينَ ﴾ [التوبة ٧٥] . وقال رسول الله ﷺ : [من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه]^(٤) فالنذر عبادة خاصة بالله تعالى ومن صرفها لغير الله فقد أشرك بالله تعالى شركا أكبر مخرجا من الملة ومخرجا لصاحبه في النار.

القربان : وهو كل ما يذبح تقرباً لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي صَلَّيْتُ وَإِسْكِي وَتَجِبَائِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك لله^(٥) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ [نور ١-٢].

وعن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والده ، لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الأرض^(٦).

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٢٠٠.

(٢) بظر حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن محمد السعدي ج ٧ ص ٤٩٦

(٣) البحاري في الإيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ج ٦ ص ٢٤٦٣ ح ٦٣١٥ واللفظ له وسلم في النذور باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا ص ٦٧٢ ح ١٦٣٩.

(٤) البحاري في الإيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي المعصية ج ٦ ص ٢٤٦٤ ح ٦٣٢٢.

(٥) مسلم في الأصحاب باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله ص ٨٢٠ ح ١٩٧٨.

فالذبيح عبادة خاصة بالله تعالى ومن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

فهؤلاء المشركون كما يقول الناظم قد صرفوا عبادتي النذر والذبيح وهما خاصتان بالله تعالى لغيره فيكونون بذلك قد وقعوا في الشرك بالله تعالى وهو ظلم عظيم لأنفسهم . قال تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [صافات: ١٣].

وكم قباها عليها زخرلت ولها أغلى النسيج كساء ليس يفقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء المشركين قد نصبوا القباب العظيمة المزخرفة والمغطاة بأغلى الأنسجة على قبور الموتى تعظيماً وتقديساً لهم، مع ما في ذلك مما لى الله عنه، فقد روى مسلم عن أبي الهياج رضي الله عنه قال : قال علي رضي الله عنه ألا أبهتك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : أن لا تدع مثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلى سبويته^(١) فقد أمر الرسول ﷺ بتسوية القبور لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك ووسائله ، فصرفهم إلى هذا وأمثاله ليس من مصالح الدين ومقاصده وواجباته ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور وعظمت الفتنة بأرباب القبور وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء والإستعانة والإستغاثة والتضرع لها والذبيح لها والنذور وغير ذلك من كل شرك محظور^(٢).

لهم يلوذون في دفع الشرور كما لها في قضا الحاجات قد قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء المشركين يلجأون إلى هؤلاء الموتى في دفع الشرور عنهم من الموت والمرض والفقر وسائر المصائب والشرور. ويقصدونها أيضاً في جلب المنافع وقضاء الحاجات لهم من جلب الرزق والولد والصحة وغيرها من المنافع . وهم بذلك يقعون في الشرك الأكبر لأن جلب المنافع ودفع المضار ليس لأحد سوى الله تعالى . قال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ

(١) مسلم في المختار باب الأمر بتسوية القبر ص ٣٧٤ ح ٩٦٩ .

(٢) انظر تيسر العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٧٠٢ .

اللَّهُ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠٧﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴿١٠٨﴾ في هاتين الآيتين تنبيه على أن المدعو لابد أن يكون مالكا للنفع والضرر حتى يعطي من دعاه أو يبطش بمن عصاه وليس ذلك إلا الله وحده، فتعين أن يكون هو المدعو دون ما سواه. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِضُرٍّ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٠٧]. لأنه هو سبحانه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الألوهية لأهمها متلازمان ، وإفراده بسؤال كشف الضر وحلب الخير لأنه لا يكشف الضر إلا هو ولا يجلب الخير إلا هو .

قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [١٠٨].

فتعين أن لا يدعى لذلك إلا هو وبطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعاً فضلاً عن غيره، وهذا ضد ما آل عليه عباد القبور ، فهم يعتقدون أن الأولياء والطواغيت ينفعون ويصرون، ويمسسون بالضر ويكشفونه وأن لهم التصرف المطلق في الملك إما على سبيل الكرامة وهذا فوق شرك العرب، وإما على سبيل الوساطة بينهم وبين الله بالشفاعة وهذا شرك الذين قالوا: ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [٢٠]. وقال النبي ﷺ لابن عباس : إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك^(١) فدل ذلك على أن ملك النفع ودفع الضر ليس لأحد سوى الله تعالى ، فمن طلبها من غير الله فقد وقع في الشرك بالله تعالى .

ويعرفون لها كل العبادات دور الله جهرا وللوحيد قد جمعوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن هؤلاء المشركين يعرفون سائر العبادات الخاصة بالله تعالى -جهرا دون خجل ولا حياء- هؤلاء الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا

(١) انظر المصودية لابن تيمية ص ٢٣ سبق تخرجه الحديث ص ١٢٤ .

ضراً فضلاً عن أن يملكوا ذلك لغفرهم، وهم بذلك ينكرون توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية هي : طاعة الله بامتثال ما أمر به على السنة الرسل. وقال أيضاً العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة^(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [التوبة ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ لِلَّذِينَ إِحْسَنًا﴾ [الإسراء ٢٣].

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فقلت: يا رسول الله أهلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشروهم فيتكلوا^(٢) فالعبادة يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

الـ ص :

إن لم تكن هذه الأفعال يا علما شركاً فما الشرك قولوا لي أو ابتعدوا
إن لم تكن هذه شركاً فليس على وجه البسيطة شرك لـ ص ينتقد

المفردات : البسيطة : البسط نقيض القبض ، والبسيطة الأرض^(٣)

الشرح :

في هذين البيتين شرع الناظم - رحمه الله - في التأكيد على أن هذه الأفعال التي سبق وأن ذكرها شرك بالله تعالى، فهو يقول إن لم تكن هذه الأمور من الشرك فما حقيقة الشرك أيها العلماء وهو هنا يستفهم بأداة الاستفهام (ما) التي يراد بها البحث عن حقيقة الشيء، ثم نجده يقرر ويؤكد أن هذه الأمور من الشرك، وأنها إن لم تكن من الشرك فليس أصلاً هناك شرك يستحق النقد والإنكار وذلك لعظم ما في هذه الأمور من الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

^(١) انظر كتاب الصوذية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣.

^(٢) سبق تخرجه ص ١٢٤.

^(٣) انظر لسان العرب ج ٧ ص ٢٥٩ والقاموس المحيط ج ٢ ص ٣٥٠.

المبحث الرابع

باب الإيمان بالملائكة

النص :

وبالملائكة الرسل الكرام عبادا د الله نؤمن بحابوا من لهم عبدوا
من دون ربي تعالى والتساب لمن كانوا له ولهم والمرسلين عدوا
بل هم عباد كرام يعملون بأمر الله ليس له لـــــــ ولا ولد

المفردات : التباب : التباب والخسار والتباب ، الخسار والهلاك^(١).

الشرح : بعد أن ذكر الناظم الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى شرع هنا في ذكر الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة .

معنى الإيمان بالملائكة : هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم كما وصفهم الله عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار ولا يفترون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها^(٢).

وهذا ما أراده الناظم في الآيات السابقة فقد أشار إلى أن الملائكة رسل الله تعالى وأنهم عباد لله يحب علينا الإيمان بوجودهم كما وصفهم الله تعالى بأهم عباد مكرمون وأنهم السفرة بين الله تعالى ورسله وأنهم يطيعون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم خلق من خلق الله خلقهم الله تعالى من نور لعبادته وحده لا شريك له وأنهم ليسوا بناتا لله عز وجل ولا أولاداً ولا شركاء معه ولا أنداداً له تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْتَفِئُونَ بِالْقَوْلِ ۖ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الأنعام : ١٠٦-١٠٧] .

فهم الكرام خلقاً وخلقاً وهم الكرام عبي الله تعالى . وقال الله تعالى ﴿ بِأَمْرِي سَقَرَةٌ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٌ ۝ ﴾ [مر : ١٠٥-١٠٦] . فهم الطاهرون ذاتاً وصفة وأفعالاً . وقال الله تعالى ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكِبْ فَيَسْجُدْهُمْ إِلَهًا جَمِيعًا ۝ ﴾ [النساء : ١٧٢] .

(١) القاموس المحيط ج ١ / ص ٣٨ ، ولسان العرب ج ١ / ص ٢٢٦ .

(٢) الكواشف الجليلة لمعان الراسطية ص ٥٨ .

يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠١﴾ [النجم: ١٠١-١٠٢]. وقال الله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النجم: ١٠٢]. وقال الله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١٠٢﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿١٠٣﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿١٠٤﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿١٠٥﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿١٠٦﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿١٠٧﴾﴾ [النجم: ١٠١-١٠٧]. وهنا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلى له على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق ثم رآه ليلة المعراج أيضا في السماء كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٠٨﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٠٩﴾ عِندَ جَاغَةِ الْآلَمَوتِ ﴿١١٠﴾﴾ [النجم: ١٠٨-١١٠]. ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين وبقية الأوقات في صورة رجل^(١).

النجم :

وللمرياح وقطر والسحاب لمبى كال بذاك إليه الكوكل والعدد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الملائكة الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله ل مع معرفة مقداره وعدده وهو ميكائيل عليه السلام وهو ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله تعالى .

النجم :

كذاك بالصور إسرائفيل وكل وهو والآن منتظر أن يأذن الصمد

ومنهم الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرائفيل عليه السلام ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر الله تعالى الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين^(٢).

وقول الناظم (وهو الآن منتظر أن يأذن الصمد) فيه إشارة إلى حديث الرسول ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حينهم أنعموا وحاجبهم القرن قد التهم القرن وحينئذ يهتفون وانتظروا أن يوحى له قالوا، حينهم يقول يا رسول الله ؟ قال قولوا ، حسبنا الله

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ص ٢١٨-٢٢٠.

(٢) سنن أبي الحديث عن هذه النفخات في موضعه من المنظومة

وَبِعَمِّ الْوَحِيلِ عَلَى اللَّهِ تَوَحُّلًا) ^(١) فهو الآن منتظر أن يأذن الله له بالنفخ في الصور.

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه في صلاة الليل (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) ^(٢).

النــــــــــــــــص :

وحاملوا العرش مع من حولهم ذكروا وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشرع الناظم إلى أن من الملائكة حملة عرش الرحمن والكروبيون ^(٣) وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [مائدة ١٧]. وقال الله تعالى ﴿ وَتَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَلَكَةٌ كَبِيرَةٌ ﴾ [الأنبياء ١٧].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ^(٤).

(وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا) ومنهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله به في كتابه قال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ الْمَعْمُورِ ﴾ [الدود ١] كما ثبت ذلك في حديث المعراج وهو بيت في السماء السابعة بجبال الكعبة في الأرض بحيث لو سقط لوقع عليها حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم يعني لا تحول نوبتهم لكثرةهم.

(١) رواه الإمام أحمد ج ٣ / ص ٧ ، والترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور ج ٤ / ص ٦٢٠ ح / ٢٤٣١ وقال هذا حديث حسن. وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٩٢.
(٢) مسلم صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ص ٣٠٥ ح ٧٢٠.
(٣) الكروبيون أقرب الملائكة إلى حمة العرش انظر لسان العرب ج ١ / ٧١٤.
(٤) أبو داود في فروع على المهلبية ج ٤ / ص ٢٣٢ ح / ٤٧٢٧ وإسناده صحيح.

النص :

والحافظون علينا الكاتبون لما نسعى وفي الحشر إذ يؤتى بهم شهدوا

الشرح :

ومهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون الذين يحفظون ويكتبون كل ما نعمل من خير أو شر ثم يكونون شهداء علينا يوم القيامة بما أحصوه علينا من الأعمال.

قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [نور ٨٠].
وقال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَفَّى الْأَمْتَلِقِيَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيْبَةً ۖ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١١٨-١١٧-١١٦]. فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات.
وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام ١٠-١١].
وعن علقمة بن الحارث المزني رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الرجل ليتكلم بالخطمة من رخوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته يكتبه الله عز وجل له بما رخوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالخطمة من خط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغته يكتبه الله تعالى عليه بما سخطه إلى يوم يلقاه) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسا ما لم تعمل به أو تتكلم به) (١).

النص :

وآخرون يحفظ العبد قد وكلوا حق إذا جاءه المقذور لم يفدوا

الشرح :

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالته وهم المعقبات

(١) البخاري في الإيمان والصور باب إذا حدث ناسيا ص ١٢٧٢ / ح ٦٦٦٤ . ومسلم في الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس ؟ ح ١٢٧ ص ٧٦ .

قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَلْتِيلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [١] لَمْ تَقْبَلَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿ [الزمر ١١-١٢] . وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [٢] .

قال ابن عباس المعقبات ملك موكل به يوقظه من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه^(١) .

وهذا ما أراداه الناظم بقوله : (حتى إذا جاءه المقدور لم يقدوا) فهم يحفظونه بأمر الله لهم حتى إذا جاء قدر الله تخلوا عنه فلم يمنعوا عنه ذلك القدر بحفظهم له . وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرِّحْمَنِ ﴾ [٢] أي بدل الرحمن، بمن سبحانه وتعالى بعمته على عبده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام . أ . هـ^(٢)

والموت وكل حقا بالولادة لو ح العبد قبضا إذا منها خلا الجسد

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه وقد جاء في بعض الآثار تسمية عزرائيل قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكَلِّمُكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [١] . وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعِرُونَ ﴾ [٢] ثُمَّ رُدُّوا إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَانَهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [٣] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْتَ إِذْ تَتَوَفَّى الْآلِينَ لَنَمَسْنَاهُم بِأَفْئِدَتِهِمْ وَأَوْبَرْنَاهُمْ وَذَوَّلْنَاهُمْ عَذَابَ الْخَرْقِ ﴾ [٤] . وقال تعالى : ﴿ الْآلِينَ تَتَوَفَّنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [٥] إلى قوله تعالى : ﴿ الْآلِينَ تَتَوَفَّنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُوتَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٦] [الأنعام ٢٨-٢٩] . وغيرها من الآيات وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله إن كان محسنا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة وأعظم بشارة وإن كان مسيئا ففي أشنع هيئة وأفظع مظهر بأعظم وعيد ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ولا يدعوها في يده بل يضعونها

(١) ابن كثير ج ٢ / ٥٢٢ .

(٢) المزمع السابق ج ٣ من ١٨٨ .

في أكفان وحنوط يلين بها كما قال تعالى: ﴿ثَلَاثًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۖ﴾ إلى قوله ﴿فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الرعد: ٨٣-٩١).

النص ومنكر ونكير وكلا سبوا ل العبد في القبر عما كان يعصد

وسهم الموكل بفتنة القبر وهما منكر ونكير فيسلان الإنسان عما كان يعتقد .

كما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً وأما المنافق والخافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أحري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا حريته ولا تلبته ويسمربه بمطارق من حديد فيسبح حمة يسعها من يليه خير الثقلين) (١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إذا أقيمت المؤمن في قبره أتى ثم خصم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ، (يلبته الله الذين آمنوا بالقول القابضة) (٢).

النص : كذلك رضوان في أعوانه خزنوا لجنة الخلد بشرى من لها وعدوا

الشرح : وسهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليه السلام قال تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الرعد: ٢٣). وقال تعالى : ﴿جَنَّتْ عَنْهُمْ يَتْخَلَوْنَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ عِبَادِيهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَتَخَلَوْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤-٢٥).

ثم يقول الناظم (بشرى من لها وعدوا) من البشارة وهي الخير السار، أي بالعظم البشارة

(١) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ص ٢٦٧ ح ١٣٧٤ ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ص ١١٥٠ ح ٢٨٢٠.

(٢) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ص ٢٦٦ ح ١٣٦٩ ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ص ١١٥١ ح ١٨٧١.

لهم بدعولهم الجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا نَنْزِلُ عَلَيْهِمْ
الْمَلَكُ أَلا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سك: ٢٠].
النــــــــــــــــص :

كذا زبانية النيران يقدمهم في شأنا مالك بالفيظ يتقد

الشرح : ومنهم حزنة جهنم عيادا بالله منها وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك
عليه السلام (بالفيظ يتقد) كناية عن شدة الغضب قال تعالى : ﴿وَسَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا جَاءُنَا
رُؤُوسُهُمْ فَإِذَا جَاءَ وَهَاءُ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿١٧١﴾﴾ [الزمر: ١٧١].

وقال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُلُوبُهُمْ مُّصْغَاةٌ وَأَنفُسُهُمْ زَاكِيَةٌ وَهُم مُّسَبِّحُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الزمر: ١٧٢]. وعن عبد الله قال:
قال رسول الله ﷺ ، (يؤتى بهجته يومئذ لها سبعون ألفه زهاء مع كل زهاء سبعون ألفه
هلكه يجر ونها) (١).

النــــــــــــــــص :

وآخرون لمباحون حيث أتوا مجالس الذكر حفوا من ما فسدوا

الشرح : ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل
تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، فيحفظهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم رهم عز وجل وهو
أعلم بهم منهم: (ما يقول عبادي؟) قالوا يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك) (وقال ﷺ:
(وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت
عليهم السكينة وخفضتهم الملائكة ونقضتهم الرعدة وطهرهم الله في من عنده) (٢).

النــــــــــــــــص :

وغيرهم من جنود ليس يعلمها إلا العليم الخبير الواحد الأحد

الشرح : في هذا البيت يشير الناظم إلى كثرة عدد الملائكة وأنه لا يعلم عددهم إلا الله قال تعالى:

(١) مسلم باب في شدة حر نار جهنم ص ١١٤١ ح ٢٨٤٢ .

(٢) مسلم في الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ص ١٠٨٢ ح ٢٦٩٩ .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

معنى الإيمان بالكتب السماوية :

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى كتبها أنزلها على رسله ، وأنها نور وهدى ، وأن ما تضمنته حق وصدق ، وأنه لا يعلم عددها إلا الله ، وأنها جميعها يصدق بعضها بعضاً ، وأنه يجب علينا الإيمان بها جملة وتفصيلاً والإقرار بأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد^(١).

فمنها ما خطه الله تعالى بيده وأسمعه لرسوله من وراء حجاب دون واسطة كالتوراة الذي أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ [١١٤: ١١٤]. والألواح التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [١١٤: ١١٥].

ومنها ما يسمعه للرسول الملكي وبأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري كما أوحى الله تعالى إلى سائر رسله قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

كيفية الإيمان بالكتب السماوية :

سبق وأن ذكرنا أنه يجب علينا الإيمان بالكتب السماوية جملة وتفصيلاً ، وذلك تفصيلاً فيما فُصِّل ، وإجمالاً فيما أُجْمِل ، ذلك أن الله تعالى قد سمى من كتبه التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود والقرآن على محمد وذكر صحف إبراهيم وموسى تفصيلاً فيجب

(١) انظر الكواشف الخفية لمعاني الواسطة ص ٦٠ ، ومعارج القبول ج ٢ / ص ٦٧٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ / ص ٢٦٤ .

علينا الإيمان بما على هذا التفصيل الذي أخبرنا به الله تعالى، قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النبا، ١١٣].

وذكر أنه أنزل على رسله كتباً بمحملة لم يفصلها لنا فيجب علينا الإيمان بما بمحملة قال تعالى : ﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ حَتَّىٰ ﴾ [النورى، ١٥].
وقال تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [المرآة، ٧]. فيجب علينا الإيمان بكل ما أنزل الله من الكتب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل^(١).

النص : ثم القرآن كلام الله ليس كما قال الذين على الإلحاد قد مردوا
جمع وجههم وبشر ثم شيعتهم ألا فبعدا لهم بعدا وقد بعدوا
المفردات : مردوا : المارد العاني ، وهو الذي استكر وتجاوز الحد^(٢) والمراد أنهم استكروا
وتجاوزوا الحد في الإلحاد.

الشرح : بعد أن تحدث الناظم في البيت السابق عن الكتب السماوية جملة شرع هنا في الحديث عن خاتم هذه الكتب وأعظمها عند الله تعالى وهو القرآن الكريم، الذي نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ۖ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. فذكر أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كما يزعم أهل الإلحاد الذين تجاوزوا الحد في استكبارهم وعنادهم ، كالجعدي بن درهم^(٣)، والجهمي بن صفوان^(٤)،

(١) انظر فيما سبق الكواشف الجنية لمعاني الواسطة ص ٦٠-٦٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٤-٤٢٦ معارج القبول ج ٢ / ص ٦٧١-٦٧٥ ، الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه للذكور محمد بن عبد الله بن ٦٥-٦٦ ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للذكور صالح بن هوران الفزاري ص ١٤٩-١٥١.

(٢) انظر لسان العرب ج ٣ / ص ٤٠٠ وح ١٥ / ص ٢٧ .

(٣) هو الجهمي بن درهم من الموالي مبتدع له أخبار في الرندة قال عنه الذهبي : (عناده في التابعين متدع خال، زعم أن الله لم يبعث إبراهيم عبيلاً ولم يكلم موسى تكليماً فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر) وقتله خالد القسري يوم البحر سنة ١١٨ هـ في الصواري حيث قال أيها الناس ضحوا فاني مضح بالجمي بن درهم . انظر : لسان الميراث ج ٢ / ص ١٠٥ ، وميراث الاعتدال ج ١ / ص ١٨٥ ، والكامل لابن الأثير ج ٥ / ص ١٦٠ ، والأعلام ج ٢ / ص ١٢٠ .

(٤) سبب التعريف به في المقدمة ص ٥٠ .

ويشر الميرسي^(١) ومن سار على نهجهم واتبعهم في منهجهم الضال الذي يرمعون فيه أن القرآن الكريم مخلوق، لكن قبل الحديث عن القرآن الكريم وبيان أنه كلام الله منزل غير مخلوق والرد على أهل الزيغ والإلحاد ينبغي لنا أولاً أن نبين أن الله تعالى متصف بصفة الكلام كما ينبغي لجلاله وعظمته .

مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى :

هو الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام قدّم النوع حادث الألحاد^(٢)، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء وأنه يتكلم بكلام يسمعه من شاء من خلقه، سمعه منه موسى والأبوان^(٣) بلا واسطة ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه يكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة. وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية والمعقول وكلام السلف على أنه سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته وهو صفة ذات وفعل^(٤).

الأدلة المبيّنة لصفة الكلام :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَحْلِيلًا ۖ ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَّوْكَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لِّكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَقْدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَذَابًا ۖ ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُفْسِرِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا نُذِرُ ۚ ﴾ [النجم: ٣٦].

الطبعة ١٦.

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن الميرسي ، أبو عبد الرحمن فقيه معتزلي ، عارف بالفلسفة ، برعي بالزندقة وهو رئيس الطائفة الميرسية القائلة بالارحاء وإليه نسبتها ، وهو من أهل بغداد عاش فيها سبعين عاماً توفي سنة ٢١٨ هـ . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١/ص ٩١ ، وتاريخ بغداد ج ٧/ص ٥٦ ، وميزان الاعتدال ج ١/ص ١٥٠ ، والأعلام ج ٢/ص ٥٥ .

(٢) أي أد بوع للكلام قدّم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً . شرح الطحاوية ص ١٧٤ .

(٣) وهما آدم وحواء .

(٤) انظر الكواشف الجليلة لمعاني الواسطية ص ٣٦٣-٣٦٤ .

ثانياً : من أدلة السنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (اجتمع آدم وموسى فقال له موسى ، أنته الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ، فقال له آدم أنته موسى الطي اسفلانك الله برمالانه وبخلامه ثم تلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق) فقال رسول الله ﷺ (فمعه آدم موسى) مرتين^(١).

ثالثاً : من الأدلة العقلية :

١. أن الكلام صفة كمال وصدها صفة نقص وهي البكم والخرص وهذه الصفة تعتبر عيباً في المخلوق العاجز الضعيف فكيف يوصف بها من له الكمال المطلق من كل وجه، كما أن الله تعالى هو واهب الكمال للكاملين فكيف يهب للعبد ما هو عاجز عن الاتصاف به من صفات الكمال، والله المثل الأعلى والكمال من جميع الوجوه فحيث نفيا عنه كل نقص وعيب فهو إذن المتصف بكمال ضد ذلك فلما كان ضد الكلام نقصا نزهاه عنه وأثبتنا له كمال ضده وهو الكلام الذي لا نظير له كسائر صفاته تعالى، ولقد قرر القرآن الكريم هذا المعقول أحسن تقرير فقال تعالى في المعجل الذي اتخذه قوم موسى إلهاً يعبدونه من دون الله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُخَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [١١٨] وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [١٨٩]. فعاب الله تعالى المعجل بكونه قد سلب صفة الكلام فدل ذلك على أن سلبها صفة نقص لا تليق بالإله المعبود وما كان ليعيب إلههم الباطل بما هو عيب فيه تعالى وتقدس عن ذلك.

٢. إن العباد لا غنى لهم عن إرسال الرسل وإزالة الكتب لأن أحوال الدنيا والآخرة لا تستقيم إلا بذلك بل إن الحكمة من خلقهم تنفي بدون ذلك ويعيش الناس في الدنيا عيش الهائم بغير تكليف فلا أمر ولا نهي ، فلما كانوا لا غنى لهم عن ذلك أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب إذ لو تركهم لعقولهم لضلوا، وليس للرسول معنى إلا تبليغ الرسالة والرسالة إنما هي وحى الله الذي يوحىه إلى رسله ووحىه إنما هو كلامه ومنه كنه المنزلة على رسله^(٢).

(١) البخاري كتاب الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعده ج ٤ / ص ١٢٥١ / ح ٣٤٠٩ ، ومسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ص ١٠٦٣ - ١٠٦٤ ح ٣٦٥٢ .

(٢) انظر العقيدة السبعة في كلام رب البرية لحد الله بن يوسف المديح ص ٦٦-٧٨ .

رابعاً : أقوال السلف :

عن عائشة رضي الله عنها قالت - في قصة الإفك - : (والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحيا يتلى ، ولشأنني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى . . .)^(١)
مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ومعنى منه بدأ : أي أنه هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة، وغيرهم من أنه بدأ من بعض المخلوقات كالشجرة التي كلم الله من عندها سيدنا موسى عليه السلام وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ومعنى إليه يعود : أنه يرفع في آخر الزمان فلا يبقى منه حرف في المصاحف ولا آية في القلوب^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(والذي اتفق عليه السلف والأئمة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود وإنما قال السلف منه بدأ لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون أنه خلق الكلام في المحل، فقال السلف منه بدأ أي هو المتكلم به فمنه بدأ لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الرعد: ١٠] . وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقُّ الْقَوْلِ مِنِّي ﴾ [الصمد: ١٣] . وقال تعالى : ﴿ وَفَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَنَهَدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سج: ١٠] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [العلق: ١٠٢].

ومعنى قولهم إليه يعود : أنه يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ، ولا منه حرف كما جاء في عدة آثار^(٣).

(١) البحاري في الشهادات باب تعديل السوء بعضه ج ٢ / ص ٩٤٢ م ح ٢٥١٨ .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية ج ١ / ص ١٣٣ ، والفتاوي ج ١٧ / ص ٣٧-٣٨ ، وشرح الطحاوية ص ١٧٤-١٧٧ .

(٣) انظر الفتاوي ج ٦ / ص ٥٢٨ ٥٢٩ .

قال الإمام الطحاوي^(١) :

(وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً ، وأنزله على رسوله وحياً ، وصدق به المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال : ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [سج: ٢٢] . فلما أوعده الله بسقر لمن قال : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [سج: ٢٥] . علمنا وأيقنا أنه قول مخالف للبشر ، ولا يشبه قول البشر^(٢) .

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وهو المذهب الحق الذي ينبغي لكل مسلم الإيمان به والسير على هذاه .

وقد اُتفق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال :

١) أن كلام الله هو ما يفيض عن النفوس من المعاني إما من العقل أو من غيره ، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة .

٢) أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه ، وهذا قول المعتزلة .

٣) أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي ، والخير والاستخبار ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان تورا ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه .

٤) أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام .

٥) أنه حروف وأصوات لكي تكلم الله بعد أن لم يكن متكلماً وهذا قول الكرامية .

٦) أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتز^(٣) ويميل إليه الرازي^(٤) في المطالب العالية .

^(١) الإمام الطحاوي : هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأردني الطحاوي الحنفي (٢٣٩ - ٣٢١هـ) فقيه ومحدث ومؤرخ ، من كتبه : المعقلة الطحاوية والمختصر في الفقه . انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٨ ، وخيرات الذهب ج ٢ ص ٢٢٨ .

^(٢) انظر شرح الطحاوية ص ١٧٢ .

^(٣) هو أبو البركات هبة الله بن ملكا الطبيب الفيلسوف ، كان يهودياً وأسلم ، وكتابه هو المختصر في الحكمة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وخمسائة ، انظر سير أعلام النبلاء ج ٢٠ / ٤١٩ .

^(٤) هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن القرشي البكري الطبرستاني ، الأصولي المفسر ، كسر الأوكساء والحكماء والمصلين ، ولد سنة ٥٤٤ هـ واشتغل على أبيه ضياء الدين الخطيب الرازي وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً ، وكان يتوفد ذكاء وقد بدت منه في تواليفه بلاها وعظام وانحرافات عن السنة ، والله يحفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر توفي بمهارة سنة ٦٠٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج ٢١ / ٥٠٠ - ٥٠١ .

- (٧) أن كلامه يتضمن معناً قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي^(١).
- (٨) أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه .
- (٩) أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومنى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قسم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة^(٢).

ولا شك أن مذهب أهل السنة والجماعة هو المذهب الحق في هذه المسألة والذي ينبغي لكل مسلم أن يتبعه ويسير على نمجه .

أدلة القائلين بخلق القرآن الكريم والرد عليها :

الدليل الأول :

قولهم بأن القرآن شيء ، وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [برق: ١٦] . ولفظ كل يدل على العموم ، فالقرآن داخل في عموم ما خلق الله تعالى من الأشياء.

الرد عليهم :

إن صيغة كل وما يشاها من صيغ العموم ، عموم كل منها هو بحسبه ، قال تعالى في ربيع عاد : ﴿ تَذْتَرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرْمَى إِلَّا مِنْ سَكْنِهِمْ ﴾ [احد: ٢٥] . فالتدمير إنما كان بأمره تعالى ، وأمره تعالى هو كلامه ، وقد دلت الآية على أن مساكنهم لم تدمر ، فدل ذلك على أن عموم كل كاد في حق الكفار المستحقين لنوعيد لا كل شيء حتى ما مواهم من الجهاد وغيره .

وقال تعالى عن بلقيس : ﴿ وَأَوْثِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [نمل: ٢٣] .

ومعلوم أنها لم تكون ملك سليمان ولا غير أرضها من الأرض .

(١) هو محمد بن محمد الماتريدي نسبة إلى قرية من قرى مرقند ، إمام المتكلمين صاحب التصانيف في الفقه والأصول والمقاتل ، والمتنصر ، توفي سنة ٣٣٣ هـ . انظر الموالد البهية ل محمد بن عبد الحى الكنتوي ص ١٩٥ . والأعلام ج ٧ / ص ١٩ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ١٧٣-١٧٤ ، والكواشف الخفية ص ٣٩٧-٤٠٠ ، والعقيدة السلفية في كلام رب العزة لعبد الله بن يوسف ص ٢٧٥-٢٨٢ ، ومعارف القبول ج ١ / ص ٣٩٧ .

وقد اثبت الله تعالى أن له نفسا حيث قال : ﴿ تَقَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَغْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [البقرة ١٧٦] وقال : ﴿ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُقْبِي ﴾ [طه ١١] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [المراد ١٨٥ والآية ٣٥] ، فهل تدخل نفس الله تعالى في هذا العموم ؟

إن النفس التي لموت إنما هي الأنفس المخلوقة ، وأما الخالق تعالى بصفاته فهو حي لا يموت . فدللت هذه النصوص على أن عموم (كل) إنما هو بحسب الموضع الذي وردت فيه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [المراد ١٦] . فالله تعالى شيء وصفته شيء قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَصْغَرُ مِنْهُدَّةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [الاسم ١٦] . والمخلوق شيء والله تعالى هو الخالق ، وليس بمخلوق وصفاته تابعة لذاته فليست مخلوقة والقرآن كلامه ، وكلامه صفته وصفته غير مخلوقة ، فالله شيء غير مخلوق وصفته شيء غير مخلوقة والمخلوق من وقع عليه فعل الخلق ، وهو كل شيء سوى الله تعالى وصفته .

كما أن هؤلاء المعتزلة والجهمية ، أدخلوا صفة الله تعالى في عموم كل في هذه الآية وأخرجوا أفعال العباد من هذا العموم ، فكذبوا القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات ١٧٦] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [المراد ١٦] ، فكذبوا على الله رب العالمين وألحدوا في آياته ، وصرخوا الآية عما هي له واحتجوا بها على ما ليست له .

الدليل الثاني :

قولهم بأن القرآن معمول ، مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [المراد ٢] ، والحمل : الخلق .
الرد عليهم :

إن لفظ جعل يأتي بمعنى خلق وبغيره ، وهو لا يأتي بمعنى خلق إلا إذا تعدى إلى مفعول واحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الاسم ١] . وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [المراد ١٨٩] . فحمل هنا بمعنى خلق .

وقد يتعدى إلى مفعول واحد ولا يكون بمعنى خلق كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ [المائدة: ١٠٠] وبارئ: ٣٣. وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ [الهمزة: ٥]. فمن الواضح أن جعل ليست بمعنى خلق في هاتين الآيتين .

أما إذا تعدى إلى مفعولين فلا يكون بمعنى خلق بأي حال ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [الدخان: ٦٦].

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِآمِرِنَا ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وكذلك منه قوله تعالى : إنا جعلناه قراءنا عربيا فالمفعول الأول الضمير، والمفعول الثاني قراءنا والمعنى : قنناه قراءنا عربيا ، أو بيناه .

فيظل بذلك استدلال المعتزلة بفضل الله تعالى ^(١) .

الدليل الثالث :

قولهم بأن القرآن محدث ، مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ وَلَّاعُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن آثَرِ خُنْيُنٍ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ ﴾ [الشعراء: ١٠].

وقالوا بأن معنى المحدث : المخلوق .

الرد عليهم :

إن قوله تعالى : (محدث) هي في الأصل من الحدوث وهو كون الشيء بعد أن لم يكن، والقرآن الكريم حين كان ينزل كان كلما نزل منه شيء كان جديدا على الناس لأنهم لم يكونوا علموه من قبل، فهو محدث بالنسبة للناس ، فقد قال تعالى : (ما يأتيهم) فهو محدث إليهم حين يأتيهم ، ومنه قول النبي ﷺ : (إن الله يحدث لبيه ما شاء ، وإن مما أحدث لبيته : أن لا تتكلموا في الصلاة) ^(٢).

وأمر الله تعالى هو قوله وكلامه ، وهو غير مخلوق ، وإنما هو محدث بالنسبة للعباد أي جديد عليهم لم يكونوا علموه من قبل، فليس المحدث هنا هو المخلوق كما يزعم أهل الباطل

^(١) أنظر العقيدة السليمة ص ٢٨٥ - ٢٨٧

^(٢) أحمد ج ١ / ص ٣٧٧ ، ٤٣٥ ، ٤٦٣ ، وأبو داود ج ٩٢٤ ، والنسائي ج ٣ / ص ١٩ صححه الألباني أنظر صحيح مسند أبي داود ج ٢ ص ٢٥٨ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل حديثا ، فإن الله كان ينزل القرآن شيئا بعد شيء ، فالمزل أولا هو قدم بالنسبة للمزل آخرا ، وكل ما تقدم على غيره فهو قدم في لغة العرب) (١).

الدليل الرابع :

قولهم بأن الله جعل أمره مقدورا ، حيث قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝ ﴾ [الحرب ٢٨] وأمر الله كلامه ، والمقدور المخلوق .

الرد عليهم :

إن لفظ الأمر إذا أُضيف إلى الله تعالى يأتي على تفسيرين :

الأول : يراد به المصدر ، كقوله تعالى : ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۝ ﴾ [الزمر ٦٠] . وهذا يجمع على أوامر.

الثاني : يراد به المفعول الذي هو المأمور المقدور كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝ ﴾ [الحرب ٢٨] . فالأمر في هذه الآية هو المأمور ، وهذا يجمع على (أمر) وهو مخلوق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ففي قوله : (وكان أمر الله قدرا مقدورا) المراد به المأمور به المقتدر وهذا مخلوق ، وأما في قوله : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا ۝ ﴾ [النور ٥] . فأمره كلامه إذ لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها ، وإنما أنزل القرآن ، وهذا كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَشَدِيدٌ ۝ ﴾ [النور ٥٨] . فهذا الأمر هو كلامه) (٢).

فليس الأمر إذاً على ما قالت الجهمية والمعتزلة من اختصاصه بالمفعول المقدور (٣).

الدليل الخامس :

قولهم بأن الله سمى عيسى عليه السلام كمت فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ۝ ﴾ [النساء ١٧١] ، وقال : ﴿ نَمَرِيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۝ ﴾ [آل عمران ٤٥]

(١) انظر الفتاوى ج ١٢ / ص ٥٢٢ .

(٢) انظر الفتاوى ج ٨ / ص ٤١٢ .

(٣) العقيدة السلفية ص ٢٩١-٢٩٢ .

وعيسى عليه السلام مخلوق بالكلمة مخلوقة :

الرد عليهم :

إن عيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له (كن) كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ حَدَّثُكَ اللَّهُ بِخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المراد: ٥٦]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المراد: ٥٧]. فكان عيسى عليه السلام بكلمة الله تعالى وقوله (كن) فالكلمة (كن) لا عين عيسى ، والمكون بما هو عين عيسى عليه السلام^(١).

الدليل السادس :

قوله تعالى : ﴿ نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الحجر: ٣٠]. فقد استدلووا بهذه الآية على أن القرآن الكريم مخلوق وأن الله خلقه في الشجرة ، فسمعه موسى منها الرد عليهم :

لقد قال الله تعالى قبل هذه الآية : (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) .

والنداء هو : الكلام من بعد ، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الواد ، ثم قال تعالى : (في البقعة المباركة من الشجرة) أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة ، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت ، فيكون من البيت لا ابتداء الغاية لا أن البيت هو المتكلم ، فلماذا تجاهلتم ما قبل هذه الآية وما بعدها .

كما أنه لو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة : ﴿ أَن يَحْمُسَٰى إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠] ، وهل قال إني أنا الله رب العالمين غير الله تعالى ؟ وهل يعقل أن تكون الشجرة هي المتكلمة بهذا الكلام ؟ فأي غباء وأي سخف هذا ؟^(٢) .

الدليل السابع :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [الشورى: ١٩] .

^(١) العقيدة السلفية ص ٢٩٢-٢٩٣ .

^(٢) شرح الطحاوية ص ١٨٠-١٨٣ .

حيث قالوا بأن هذه الآية تدل على أن الرسول هو الذي أحدث هذا القول من عنده. وهذا الرسول إما سيدنا جبريل عليه السلام أو سيدنا محمد ﷺ .
الرد عليهم :

من المعروف أن الرسول هو المبلغ عن مرسله ما أرسله به ، وليس هو من أنشأ الكلام من عنده ، والله سبحانه وتعالى لم يقل إنه قول ملك أو نبي ، فعلم من ذلك أنه بلغه عن مرسله به ، لا أنه أنشأه من جهة نفسه .

وأيضاً فالرسول في إحدى الآيتين سيدنا جبريل عليه السلام وفي الأخرى سيدنا محمد ﷺ ، وإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ ، إذ لو أحدثه أحدهما لامتنع أن يحدثه الآخر . مما سبق يتضح لنا بطلان هذه الأدلة وأن الذين استدلوا بها إنما استدلوا بها في غير مواضعها التي وضعت لها وحرقوا كلام الله تعالى عن مواضعه بما يوافق مذهبهم الباطل^(١).

النص :

تكلم الله رب العالمين به قولاً وأنزله وحياً به الرشد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حروفه ومعانيه وهو قول الله تعالى ليس قول غيره وأن الله تعالى أنزله وحياً على سيدنا محمد ﷺ . والذي نزل به هو سيدنا جبريل عليه السلام فكل من الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام مبعث عن ربه وليس أحدهما من أنشأ هذا الكلام من عنده بل هو كلام الله تعالى حروفه ومعانيه تكلم به تعالى وأنزله وحياً فيه الرشد والخير والفلاح لمن اتبعه .

والناظم رحمه الله يشير بذلك إلى مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله وهو أن كلامه تعالى مؤلف من حروف إن شاء جعلها عربية وإن شاء جعلها عبرانية وإن شاء جعلها غير ذلك فهو المتكلم بحروف التوراة والإنجيل وغيرها من كلامه ، وكلامه تعالى بصوت وهو كسائر صفاته فكما أنها لا تشبه صفات المخلوقين فصوته تعالى لا يشبه أصواتهم وقياس الخالق على المخلوق تشبيه والله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته وجميع صفاته .

(١) شرح الطحاوية ص ١٨٣-١٨٥ ولوامع الأنوار البهية ص ١٣٧ .

وهو بذلك يرد على أهل البدع والأهواء ممن قالوا بخلاف ذلك إذ زعموا أن كلام الله يجب ألا يكون حروفاً حتى لا يشبه كلام المخلوقين متجاهلين أن الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن اتفاق البصر في أنه إدراك المبصرات، والسمع في أنه إدراك المسموعات، والعلم في أنه إدراك المعلومات، ليس بتشبيه كذلك، ويلزمهم إن نفوا هذه الصفة لكونه تشبيهاً أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والعلم . . . الخ.

وزعموا أيضاً أن الحروف تحتاج إلى مخارج وأدوات، فالجواب عن ذلك أن احتياجها لذلك في حقنا لا يوجب ذلك في كلام الله تعالى، فضلاً عن أن بعض المخلوقات لم تحتاج إلى مخارج في كلامها كالأيدي والأرجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة فكيف بالله تعالى، وقولهم هذا هو عين التشبيه الذي يفرون منه^(١).

فكونه مؤلف من حروف ظاهر لا يحتاج إلى استدلال إذ أن كل أحد يعلم أن (قل هو الله أحد) مثلاً آية وهي أربع كلمات كل كلمة مؤلفة من حرفين أو أكثر وهي كلمات عربية وحروف عربية، وكذلك فكل من يقرأ (الم - المر - كهيعص . . . الخ لا يخطر بباله غير أنما حروف وليس لها تسمية إلا هذه).

ومع ذلك نجد بعض أهل البدع ينازع في إطلاق لفظ (الحرف) ويقول إن إطلاقه يحتاج إلى دليل وذلك نوع من المكابرة التي هي سمة أهل البدع، إضافة إلى أنه نوع من الجهل والغباء إذ أن ألفاظ القرآن الكريم مكونة من حروف ولا يخطر ببال أحد أن لها تسمية غير الحروف. والأدلة على ذلك كثيرة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قائم بمحمد النبي ﷺ سمع نقيقاً من فوقه فرفع حوته فقال: (هذا باب من السماء فتح اليوم، فأنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: (أبشر بنوريسن أوتيتكما لم يؤتكما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منكما إلا أعطيتكم)^(٢).

وأما كلامه تعالى بصوت فقد قامت الدلائل القواطع على إلباته منها:

(١) تكليمه تعالى موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَأَسْمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ ﴿١٣٥﴾ فدل هذا

(١) انظر لوائح الأمور البهية ج ١ / ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فصل المائدة وخواتيم سورة البقرة ص ٣١٥ ح ٨٠٦.

للحوادث فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلى فهو كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، فالصوت للقارئ لكن المثلو المودي بذلك الصوت هو قول الباري سبحانه وتعالى (١).

قال شيخ الإسلام : (فإن القرآن كلام الله تعالى تكلم به بلفظه ومعناه ، بصوت نفسه ، فإذا قرأه القراء قرعوه بصوت أنفسهم فإذا قال القارئ (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم) كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه ، وكان هو قراءة بصوت نفسه لا بصوت الله فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ) (٢).

وقال أيضاً : (فمن قال إن حروف المعجم كلها مخلوقة وأن كلام الله تعالى مخلوق فقد قال قولاً مخالفاً للمعقول الصحيح ، والمنقول الصحيح ، ومن قال نفس أصوات العباد أو مدادهم أو شيئاً من ذلك قد تم فقد خالف أيضاً أقوال السلف وكان فساد قولهم ظاهراً لكل أحد وكان مبتدعاً قولاً لم يقله أحد من أئمة المسلمين ولا قالته طائفة كبيرة من طوائف المسلمين بل الأئمة الأربعة وجمهور أصحابهم يريون من ذلك ومن قال إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين فقد ابتدع قولاً باطلاً في الشرع والعقل.

ومن قال إن جنس الحروف التي تكلم الله بها في القرآن وغيره ليست مخلوقة وأن الكلام العربي الذي تكلم به ليس مخلوقاً والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له وقد تكلم بها فلا تكون مخلوقة فقد أصاب (٣).

النــــــــــــــــص :

والواقفون فشر لمخلصة وكذا لفظية ساء ما راموا وما قصدوا

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- إلى فرقتين من الفرق التي ضلت في مسألة القرآن الكريم وهما : الواقفة واللفظية .

فأما الواقفة فهم الذين يتوقفون في القرآن الكريم فلا يقولون إنه مخلوق أو غير مخلوق بس يقولون هو كلام الله ويتوقفون .

(١) انظر معارج القبول ج ١ / ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، وشرح الطحاوية ص ١٩٠ - ١٩٥ .

(٢) انظر الفتاوى ج ١٢ / ص ٥٣ .

(٣) انظر الفتاوى ج ١٢ / ص ٥٤ - ٥٥ .

ومن المعلوم أن السلف الصالح كانوا يقولون القرآن كلام الله وهم في غنى عن أن يقولوا إنه ليس مخلوق لعلمهم أن صفات الله تابعة لذاته غير مخلوقة ، ولكن لما ظهرت البدعة القائلة بمخلوق القرآن عقل أهل السنة خطرهما فردوها وابطلوها بقولهم القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، غير أن فرقة الواقعة تورعوا عن القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق خوفا من الوقوع في البدعة، وهو ورع مبني على جهل لأن هذه المسألة كانت حديثة على أذهانهم فوقعوا بذلك في البدعة التي فروا منها . فلما وقع الناس في هذه البدعة وعظم خطرهما وجب إظهار الحق في هذه المسألة وهو ما فعله أئمة أهل السنة بقولهم : (القرآن كلام الله منزل غير مخلوق).

وقد مثل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله^(١) : (هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله تعالى ثم يسكت؟ فقال ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسمعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون؟).

قال الحافظ أبو بكر الآجري^(٢) : (معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله عز وجل فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله : (إن القرآن مخلوق. لم يسمع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق بلا شك ولا توقف فيه ، فمن لم يقل غير مخلوق سمي واقفيا شاكا في دينه^(٣)).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : (وقضى السلف الصالح رحمهم الله على الطائفة الواقعة وهم القائلون لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام منهم بل علم أنه كان جاهلا جهلا بسيطا فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان ، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى ، وإلا فهو شر من الجهمية^(٤)).

(١) الإمام أحمد بن حنبل : هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي ثم البغدادي، مولود ١٦٤هـ المتوفى ٢٤١هـ علم الأعلام وإمام أهل السنة، وصاحب المذهب الفقهي المعروف، وقف سدا ميعا في وجه المعتزلة أيام الحجة، وأبى بلاءا حسنا، حتى نصر الله السنة على يديه، من كتبه المسند والرهدة، وفصائل الصحابة. أنظر تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٢هـ. وتغذيب الكمال ج ١ ص ٤٣٧ وسور أعلام النبلاء ج ١١ ص ١٧٧.

(٢) الحافظ أبو بكر الآجري: هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي المتوفى سنة ٣٦٠هـ فقيه ومحدث صاحب تصانيف، من كتبه الشريعة، وتحريم الرد والشطرنج وأخبار عمر بن عبد الحمري. أنظر تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢١٣، والمظن لإبى الجوزي ج ٧ ص ٥٥.

(٣) انظر الشريعة للآجري ص (٨٧).

(٤) انظر مدارج القبول ج ١ / ص ٢٨٠.

وأما اللفظية فهم القائلون ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وينقسمون إلى قسمين :
(١) لفظية نافية : وهم القائلون : (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) ويريدون بذلك أن القرآن العربي مخوق وأن جبريل إنما نزل بقرآن مخلوق ، فعندهم أن القرآن الذي يتلوه الناس بألسنتهم وأصواتهم مخوق ليس منزلاً من الله تعالى وليس هو الذي تكلم به .
ولا شك أن هذه العقيدة باطلة لأنها منافية لما تقرره النصوص الشرعية ، ولما أثبتته أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى ، والذي سبق وأن بيناه .

(٢) لفظية مثبتة : وهم القائلون : (ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة) ويريدون بهذا الإطلاق اللفظ الذي هو كلام الله المؤلف من الحروف العربية ويريدون به أيضاً الرد على اللفظية النافية القائلون : (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) .

ولكنهم حين أطلقوا هذه المقالة - مع صحة مرادهم - جاء من بعدهم أقوام وافقوهم في إطلاق اللفظ وأدخلوا في ذلك فعل العبد وحركته وصوته ، ومما أوقعهم في ذلك إطلاقهم القول بأن التلاوة هي المتلو ، والقرآن هو المقروء وقد بينا فساد هذا الإطلاق .
وقد منع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إطلاق مثل هذا اللفظ : (ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة) لأمرين :

الأول : أنه لفظ مبتدع لم يتكلم فيه السلف .

الثاني : لما بجره من الوقوع في المخطور ، كما جر بعض من جاء بعد من أتباع هذه المقالة عندهم من توقف : هل يدخل في اللفظ صوت العبد وحركته ؟ أم لا ؟ وتجراً آخرون وأدخلوا فعل العبد وحركته وصوته (١) .

وهذا يتضح لنا بطلان مذهب كلا الفريقين .

وقول الناظم - رحمه الله تعالى : (ساء ما راموا وما قصدوا) يريد به إبطال قول كلا الطائفتين كمال فعل أهل السنة والجماعة .

(١) انظر العقيدة السمية ص ٢٤٨ .

المبحث السادس

باب الإيمان بالرسول عليهم السلام

الشرح :

والرسول حق بلا تفریق بينهموا وكلهم للصراط المستقيم هدوا

الشرح :

في هذا البيت وما بعده يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن الرابع من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسول عليهم السلام .

والراجح في تعريف الرسول والنبي هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات .

إن الرسول والنبي كلاهما أوحى إليهما وأمر بالتبليغ فإن كان المرسل إلى قوم كافرين فهو نبي ورسول مثل نوح ولوط وهود وصالح عليهم السلام .

وإن كان النبي مرسلًا إلى قوم مؤمنين فهو نبي مثل أنبياء بني إسرائيل حيث كانت شريعتهم كلها التوراة المنزلة إلى موسى عليه السلام^(١) فكل من النبي والرسول يوحى إليه لكن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة كأنبيا بني إسرائيل، يأمرهم بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة، وأما الرسل فالهم يبعثون في قوم كفار يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فهم يرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم.

معنى الإيمان بالرسول :

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوحَ ﴾ [محمد: ٣٦] .
وأن جميعهم صادقون بارون راشدون ، كرام برره ، أتقياء أمناء ، هداة مهتدون ، وبالإبراهيم الظاهرة والآيات الباهرة مؤيدون ، وأهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا منه حرفا ولم يغيروه ولم يزيلا فيه ، من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه وأهم كلهم كانوا على الحق المبين

(١) من كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . بتصرف ٢٨١ - ٢٨٤ .

واللهي المستبين ^(١).

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ٨٢].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ٥١].

يجب علينا الإيمان بمن سمى الله في كتابه الكريم من رسله عليهم السلام والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله الذي أرسلهم .

قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى : ﴿ وَنَعَدْنَا رُسُلَنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [مريم: ٧٨].

كما يجب علينا عدم التفريق بينهم ذلك أن الإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله وبجميع الرسل عليهم السلام ^(٢).

قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَعْرِفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُرْفَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُريدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ يُريدُونَ أَنْ يُتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [البقرة: ٢٥].

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [البقرة: ٢٦].

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ

أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرًا كَثِيرًا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [البقرة: ١٥٠-١٥٢].

فيجب علينا الإيمان برسل الله جميعا تفصيلا فيما فصل وإجمالا فيما أجمل.

(وللصراط المستقيم هداى).

أي أن هؤلاء الرسل هداة مهتدون فقد هداهم الله تعالى إلى صراطه المستقيم ووفقهم لاتباع

الحق، فقد هداهم الله تعالى هداية التوفيق والتسديد والتبیت ، وهم بذلك مهتدون للحق.

(١) انظر شرح الطحاوي ج ٢ ص ٦٧٧ .

(٢) انظر السابق ج ٢ ص ٦٧٨ .

وهم هداة أي أنهم يهتدون الناس هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥١].

أما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله تعالى فهو مقلِّب القلوب ومصرف الأمور ليس للملك مقرب ولا نبي مرسل التصرف في شيء منها فضلا عما دونها .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنْ اللَّهُ يَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النور: ٥٦].

التي هي :

وبما توارق والإعجاز از آیدهم ربی علی الحق ما خانوا وما فتدوا

المفردات : فندوا : كذبوا^(١).

الشرح :

يشير العاظم - رحمه الله - في هذا البيت إلى أن الله تعالى قد أيد رسوله بالمعجزات الباهرة، المخارقة لعادات البشر والتي تدل على صدقهم فيما يخبرون الناس به ، وأنهم ليسوا خائنين ولا كاذبين.

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَمِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ لَمْ يُنْصَىٰ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [٢٨: ٢٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (المعجزة تعم كل خارق للعادة في اللغة، وفي عرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - وبسماها الآيات- لكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما ، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجمعهما الأمر الخارق للعادة^(٣)).

التمهيد :

وَفَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَعْضٍ بِمَا شَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمَا وَعَدُوا

(١) انظر لسان العرب ج ٢ / ص ٣٣٩ .

(٢) انظر الفتاوي ج ١١ / ص ٣١١ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الله تعالى قد فضل بعض النبيين على بعض، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الزمر: ٢٥]. وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْ كَلَمِ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [الدخان: ٢٥].

والمراد بتفضيل بعضهم على بعض : (أن الله جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلا والآخر مفضولا) (١).

فأفضل الأنبياء والرسل هم أولوا العزم وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ . وقد ذكرهم الله تعالى في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧].

وقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

وأفضل أولي العزم سيدنا محمد ﷺ والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الرسول ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مضجع) (٢).

وقوله ﷺ (إن الله اصطفى خذانته من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من خذانته واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) (٣).

ولا تعارض بين هذه الأدلة وبين قول الرسول ﷺ : (لا تفضلوني على موسى) (٤). إذ أن المراد بهذا النهي النهي عن تفضيل رسول بعينه ، كأن نقول: موسى أفضل من عيسى ، وكذلك إذا كان التفضيل على وجه الفخر أو الحمية أو العصبية ، وإذا كان على وجه الانتقاص بالمفضول والتقليل من شأنه (٥).

(١) انظر فتح القدير ج ١ / ص ٣٤٤ .

(٢) مسلم في المعاديل باب تفصيل سيدنا محمد على جميع الخلائق ص ٦٣٥ ح ٢٢٧٨ .

(٣) مسلم في الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ ص ٦٣٥ ح ٢٢٧٦ .

(٤) سبق ترجمته ص ١٠١ .

(٥) شرح الطهري ص ١٥٩ - ١٦٠ .

وقد أيد الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا ﷺ بالكثير من المعجزات التي تدل على صدق نبوته ، وكان أعظم هذه المعجزات القرآن الكريم الذي تحدى الله سبحانه وتعالى الكفار أن يأتوا ولو بآية واحدة من مثله فلم يستطيعوا .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٠٠ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِنَارِ الْآزَلِيِّ وَقُودِهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ١٠١ [البقرة: ٢٣-٢٤] .

فقد تحدى الله سبحانه وتعالى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة واحدة من مثله فما استطاع أحد منهم منذ بعث الله سيدنا محمد ﷺ إلى عصرنا هذا وإلى الأبد أن يأتي بكتاب مثله أو بمثل سورة منه على الرغم من وجود أعداء كثيرين للرسول ﷺ ولدين الإسلام في عصور التاريخ المختلفة لكنهم وقفوا عاجزين أمام هذه المعجزة الباهرة ، والخالدة على مر العصور .

النــــــــص :

من ذاك أعطى لإبراهيم خلته كذا لأحمد لم يشركهما أحد

الشرح :

في هذا البيت يشر الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي فضل الله بها بعض الأنبياء على بعض ، ومن تلك الأمور أن الله قد خص سيدنا إبراهيم وسيدنا محمدا ﷺ بأعلى مراتب المحبة وهي الخلعة فكلاما خليل الرحمن ، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) (١) .

وقال ﷺ : (لو تحدثت مع خيلا لاتحدثته أبا بكر خيلا ، ولعنه أحيى وسامري . وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خيلا) (٢) .

وهذه الدليلين يطل قول من قال الخلعة لإبراهيم والمحبة لمحمد ﷺ ، فالخلعة قد ثبتت لعمر الرسول ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ١٠١ [البقرة: ١٧٦] .

(١) مسلم في المسند باب العهد من بقاء المسند على القبور ص ٢١٤ ح ٥٣٢ .

(٢) مسلم في الفضائل باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ص ٩٧١ ح ٢٣٨٣ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ [البقرة: ١٧٧]

بل إن الخلقة خاصة بهما والمحبة عامة^(١).

الـــــــص :

وكلم الله موسى دون واسطة **حقاً** وخط له التوراة فاعملوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي خص الله بها سيدنا موسى عليه السلام على سائر الرسل، فيذكر من هذه الأمور تكليم الله تعالى له دون واسطة من وراء حجاب وذلك حينما كلمه الله تعالى في طور سيناء دون واسطة قال تعالى : ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ آثَارٍ هُدًى ﴿١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ﴿٢﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَلَخَلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْأَمْلَسِ طَوًى ﴿٣﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [١٠٠-١٠٣].

وقال تعالى : ﴿قَالَ بِمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٥﴾ [البقرة: ١١١].

وقال تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَحْلِيلًا﴾ ﴿٦﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقول الناظم رحمه الله (حقاً) يريد به الرد على من أنكر كلام الله تعالى وزعم أن الله خلق الكلام في غيره. كما سبق تفصيل ذلك في باب الإيمان بالكاتب السماوية.

ثم يذكر الناظم -رحمه الله- أن من الأمور التي اختص بها سيدنا موسى عليه السلام أن الله تعالى أنزل عليه التوراة عند جبل الطور فيها المواعظ وتفصيل كل شيء وهي هدى ورحمة لمن آمن بها واتباعها .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿٧﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَاحِبِ النَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٨﴾ [البقرة: ١٨٠].

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام أنه كان يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء،

(١) شرح الطحاوية ص ١٦٤ - ١٦٥ .

ولقي عصاه على الأرض فتحول إلى حية تأكل كل ما يصعبه السحرة، قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِسِمِيكَ يَمُوسَى ﴾ ١٥ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ١٦ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ١٧ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ١٨ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهُمَا لِيَرَّتْهَا الْأُولَى ١٩ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنْحِكَ تَخْرُجَ بَغِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ إِنَّهُ لَخَرِيفٌ ٢٠ ﴾ [١٧-٢٢].

الشرح :

وكان عيسى بإذن الله يرى من علات سوء ويحي الميت قد فقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى بعض الأمور التي فضل الله بها سيدنا عيسى عليه السلام فيذكر منها أنه يشفي من بعض الأمراض ويحيى الموتى بإذن الله .
 ن تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَآبِرُ الْأَصْخَمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْأَمْرُؤُتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتَّبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُجُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥ ﴾ [١٧ مراء ١٤٩].

فهذه الآية تبين لنا بعض معجزات سيدنا عيسى عليه السلام والتي منها :

(١) أنه يخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله .
 (٢) أنه يبرئ الأكمة وهو الذي يولد أعمى على أصح الأقوال^(١) والأبرص والبرص مرض يصيب الجلد فيغير لونه.

(٣) أنه يحيى الموتى بإذن الله .

(٤) أنه يغير الناس بما يأكلون وما يدخرون في يومهم .

وكل هذه المعجزات تكون بأمر الله تعالى الذي إذا أراد شيئا فأما يقول له كن فيكون.

قال ابن كثير رحمه الله : (قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر، وتعظيم السحرة فبعثه الله بمعجزة

(١) تفسير ابن كثير ج ١ / ص ٢٧٢ .

مهرت الأبصار وحيرت كل سحر فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار ، وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجمداء ، أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبعث من هو في قومه رهين إلى يوم التناد ، وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سمور مثله أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وما ذاك إلا أنه كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا^(١).

النــــــــــــــــص :

والكل في دعوة التوحيد ما اختلفوا أما الفروع ففيها النسخ قد تجد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الرسل جميعا قد اتفقوا في أصل دعوتهم وهو الدعوة إلى توحيد الله ، وعبادته وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۝ ﴾ [النحل : ٣٦] .

فالرسل جميعا إنما بعثهم الله لتحقيق أصل واحد وهو (توحيد الله تعالى بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله).

فما من رسول إلا وكانت هذه دعوته للناس .

وأما فروع الشرائع من الحلال والحرام والأوامر والنواهي فإنها تختلف من رسول لآخر فإله تعالى ينسخ بعض الشرائع ببعض فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما

(١) تيسر بن كثير ج ١ ص ٣٧٣ ، والبداءة والنهاية لابن كثير ج ١ / ص ٨٤ .

شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس ، لحكمة بالغة وغاية محمودة قصاها الله عز وجل .

الذئبة:

إلا شربعتنا الغرا فليس لها من فاسخ ما رسى في أرضه أحد

الشرح :

في هذا البيت يشرح الناظم -رحمه الله- إلى أن شريعة سيدنا محمد ﷺ هي الشريعة الوحيدة التي لم تنسخ بسواها من الشرائع ولن تنسخ أبداً ما بقي واستقر على الأرض جبل أحد (وهو كناية عن بقاء هذه الشريعة إلى الأبد) ، ذلك أنها خاتمة الشرائع ، وأنها كاملة شاملة لكل ما يصلح للبشر ويصلح حياتهم في كل زمان ومكان ، فهي خاتمة الرسالات ، وهي المشتلة على خير في أمر الدنيا والآخرة إلى قيام الساعة .

• _____

إِذْ كَانَ أَحْمَدُ خَتَمَ الْمُرْسِلِينَ فَمِنْ

مِنْ بَعْدِهِ رَامَ وَحْيًا كَاذِبًا فَلَمَّا

الشرح :

في هذا البيت يشرح الناظم - رحمه الله - إلى أن سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وان كل من يدعي النبوة بعده فهو ضعيف العقل كاذب في قوله ورأيه .
قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ۖ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وقد أطلق الناظم - رحمه الله - على سيدنا محمد ﷺ اسماً من أسمائه وهو أحمد، حيث أن الرسول ﷺ له أكثر من اسم كما ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَمُشْرِئاً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ الْبَعْدِ اسْمُهُ أَهْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ٦] في الصحيحين، قال رسول الله ﷺ: (إن لي اسماً، أنا أحمد، وأنا العاقبي يسمو الله به الخضر، وأنا العاهر الذي يحقر الناس عليّ قحيمي، وأنا العاقبي الطيب ليس بعده نبي) (١).

(١) البخاري في الملقب باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ ج ٣ / ص ١٢٩٩ / ح ٣٣٣٩ ، ومسلم في الفضائل باب في أسماءه ﷺ ج ١ / ص ٩٥٧ - ٩٥٨ ح ٢٣٥٤ .

فكان الناظم في هذا البيت يشير إلى هذا المعنى الذي يدل على أن للرسول ﷺ أكثر من اسم ، ويدل على أن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام فلا نبي بعده .

ومن الأدلة أيضاً على أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام قوله ﷺ (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجملته إلا موضع لبنة من زاوية ، فأخط الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون - هلا حسنه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (١) .

وكل من يدعي النبوة بعده ﷺ فهو كاذب فيما يدعيه ومن الأدلة على ذلك قوله ﷺ : (وإني سيوفون من أمتي خطابون ثلاثون خلعهم يزعم أنه نبيي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) (٢) .

النص :

وكان بعثه للخلق قاطبة وشرعه شامل لم بعده أحد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى عموم بعثة الرسول ﷺ للخلق جميعاً من الإنس والجن ، وشمورها لكل شئون الحياة ، فيقول إن بعثة الرسول ﷺ كانت عامة للخلق جميعاً من الإنس والجن والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَقَّاقَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٢٨: ١] .

وقال تعالى على لسان الجن : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الْارْتِدَاءِ ۖ قَاتِلْنَا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ ﴾ [٢٧: ١] .

وقال ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعط من أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وعطيت لي الأرض مسجداً وظهوراً ، وأما رجل من أممي أخرجته الصلاة فليعلن ويحان النبي يبعثه إلى قومه خاصة وبعثته إلى الناس عامة ، وأعطيت الشفاعة) (٣) .

(١) البحاري في المذهب باب خاتم النبيين ﷺ ح ٣ / ص ١٣٠٠ / ح ٣٣٤٢ ، ومسلم في الفضائل باب كونه ﷺ خاتم النبيين ص ٩٣٨ ٩٣٩ ح ٢٢٨٦ .

(٢) أحمد ج ٥ / ص ٢٧٨ ، وأبو داود في أول كتاب الفتن والملاحم ح ٤٢٥٢ صححه أحمد شاكر أنظر شرح المسند ح ٨ ص ١٨٦ ح ٥٩٨٥ وصححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ج ٣ ص ٩ .

(٣) البحاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً) ح ٦٨ ص ٤٢٧ .

وقول الناظم - رحمه الله - (وشرعه شامل لم يعده أحد):

يشير به إلى شمول شريعة سيدنا محمد ﷺ وكاملها ، ووفائها بحاجة البشرية في جميع شئون الحياة الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية . . . الخ فلم تترك شأنًا من شؤون الحياة إلا وضحته وبيّنته للناس ، بما يصلحهم ويصلح لهم في كل زمان ومكان ، فقد أكمل الله تعالى بهذه الشريعة الدين وأتم بها الشرائع.

قال تعالى : ﴿ آتَيْنَاكُمْ أَحَقَمَّتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [نساء ٢٠].

ولما تميز به هذه الشريعة من الشمول والكمال فإنه ليس لأحد تجاوزها أو الخروج عن أحكامها بحثًا عن الأفضل لأن الخير كل الخير في اتباعها ، فعلى جميع الخلق أن يؤمنوا بهذه الشريعة ويتبعوها ، ومس تجاوزها وخروج عنها فهو كافر كما قال رسول الله ﷺ : (والطريق يقصده محمد بيّده لا يجمع بيني أحد من عبدي الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)^(١).

النــــــــــــــــص :

ولم يجمع أحدا عنها الخروج ولو كان النبيون أحياء لها قصدا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن هذه الشريعة الكاملة الشاملة ليس لأحد أن يخرج عن حدودها وأحكامها وحلالها وحرامها ، وأوامرها ونواهيها ، بل إن الأنبياء أنفسهم الذين أرسلهم الله تعالى بشرائع مماثلة لو كانوا أحياء لفصلوا هذه الشريعة وآمنوا بها واتبعوها ، كما سيحدث ذلك في آخر الزمان عند نزول سيدنا عيسى عليه السلام فإنه سوف يتبع هذه الشريعة ، حيث ينزل حكما بشريعة الإسلام ولا يأتي بشريعة جديدة^(٢) إذ لم تترك هذه الشريعة شيئا جديداً يحتاج للبيان والإيضاح^(٣).

(١) مسم في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ من ٨٥ ح ١٥٣ .

(٢) سبأني تفصيل ذلك عند الحديث عن أشراف الساعة .

(٣) أنظر : أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم التبريزي من ٤٣-٤٥ ، والإيمان أركانه وحقيقته وروافقه من ٧١-٩٣ ، والإيضاح إلى صحيح الاعتقاد ١٥٣-١١٩١ ، البوات لابن تيمية من ٢٨١-٢٨٤ معارج القبول ج ٢ / من ٦٧٥ - ٦٨٠ .

المبحث السابع

باب الإيمان باليوم الآخر

الشمس :

واليوم الآخر حل لم ساعته ينتهي علمها الرحمن منفرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، فيذكر أن هذا اليوم هو حق وهو واقع لا محالة، وأن الناس يفتنون في ذلك اليوم بين يدي الله تعالى لملاقاة حسابهم. قال تعالى : ﴿ تَأْتِيهَا السَّاعَةُ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ يَا لَأَنفُسِكُمْ لَئِي لَا تَمْنُوا بِمَا لَمْ يَحْصُرُوا وَلَا يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَفَضَّلُوا كَذِبًا عَلَى حَقِّهِمْ فَصَلُّوا عَلَيْهِمْ نَارًا فَاصْبِرُوا هَٰذَا الَّذِي فُرِغَ مِنْهُ فَذُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٨].

ثم يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن موعد هذا اليوم وساعته من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله . قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ تَنفَلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيفٌ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَسْأَلُ النَّاسَ لَا يَعْزِمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٨٧].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الحج: ١٧]. وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال (وبئس ما أسألكم بها) قال ما أسألكم بها إلا أفنيي أحبب الله ورسوله، قال إنك مع من أحببته. فقلنا ومن أحببنا؟ قال نعم فمن أحببنا يومئذ فرحاً خديداً فرح غلام للمغيرة وخان من أقراني. فقال إن آخر هذا ظن يدرجه الصبر حتى تقوم الساعة^(١).

مما سبق يتضح لنا أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان وأن ذلك اليوم وساعته من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى .

(١) البخاري في الأدب باب ما جاء في قول الرجل وبئس، ج ٥ / ص ٢٢٨٢ / ح ٥٨١٥ .

(٢) ومعنى لن يدرجه الصبر حتى تقوم الساعة : المراد به ساعة تلك القوم الذين كانوا موجودين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت، أو المراد به تقرب وقت قيام الساعة، لا تحديد وقتها لأن ذلك لا يعلمه إلا الله . أنظر فتح الباري ج ١ ص ٥٥٦ .

النفس :

والموت حق ومن جاءت منته
ما إن له عنه مستأخر أبدا
كل إلى أجل يمضي على قدر
ما لا مرمى عن قضاء الله ملتحدا
بأي حنف لمالقدور مفتقد
كلا ولا عنه من مستقدم يجد

حنف : الحنف الموت (١)

ملتحدا : الملتحدا الملحأ ، لأن اللاجئ يميل إليه (٢)

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن من الأمور الداخلة في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت الذي هو مصير كل إنسان، وهو أول منازل الانتقال إلى الآخرة، فالموت حق وهو متحتم على كل من كان في الدنيا ، من أهل السماوات والأرض من الأنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات.

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [المع: ٢٨].

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرح: ٢٦-٢٧].

فالموت حق وهو مصير كل حي، ومن جاء وقت وفاته أو ساعة موته بأي حنف أي بأي شكل من أشكال الموت سواء مات على فراشه أو مجاهدا في سبيل الله ، أو غرقا، أو حرقا، أو بأي شكل من الأشكال فإنه يموت بأجله وتنتهي حياته ، ويفقده الناس هذا القدر المقدور الذي قدره الله سبحانه وتعالى ، وفي نفس الوقت الذي حدده الله تعالى لوفاته ، لا يتأخر عنه لحظة ولا يتقدم عنه لحظة، قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [الد: ٧٨].

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الب: ٢٦].

[الأعراف: ٣٤].

وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المع: ١١].

(١) انظر لسان العرب ج ٩ / ص ٣٨.

(٢) المرجع السابق ج ٢ / ص ٣٨٩ والقاموس المحيط ج ١ / ص ٣٣٥.

فهذا المصير وهذا الأجل المحتوم واقع لا محالة وهو قضاء وقدر من الله تعالى ليس لمخلوق أن يفسر منه، وهو واقع لا محالة وليس لأحد ملحا منه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدُّ لَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدُّ لَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا ﴾ [المراد: ١٤٥] .

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قاله أم حبيبة رضي الله عنها، اللهم امتعني بزواجتي رسول الله ﷺ ، وبأبي أيوب صفيان ، وبأخي معاوية . فقال لها رسول الله ﷺ (قد سألته الله لأجل مضروبة، وأيام معصومة ، وأرزاق مقسومة، لن يجعل خيلاً قبل حله أو يخر خيلاً من حله ولو خنته سألتك الله أن يعطيك من عذاب في النار أو عذاب في القبر خاتماً خيراً لك) ^(١) .

الشرح :

وفتنة القبر حق والعذاب به لكافر ونعيم للاولى سعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن فتنة القبر وعذابه ونعيمه حق، وأنما من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله والتي يجب علينا الإيمان بها .

قال الإمام الطحاوي : وتؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وعن سؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ، ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ^(٢) فاللوت حق ، وفتنة القبر وعذابه واقع لا محالة ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى لذلك في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

(١) مسلم في القدر باب بيان أن الأقدار والأرزاق وغيرها لا تريد ولا تنقص عما سبق به القدر ، ص ١٠٦٨ / ح ٢٦٦٣ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٥٧٢ .

قال: {والملائكة باسطوا أيديهم} أي إليهم بالضرب والكال حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أنفسكم)^(١).

ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والكال والسلاسل والأغلال والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين {أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق} . ووجه الدلالة من هذه الآية ، أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهري أهله كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنتاهم وهم لا يرون شيئا من ذلك ولا يسمعون شيئا من ذلك التقريع والتريخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياء نفسه ، لا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٠﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤١﴾﴾ [٤٠-٤١] .

فهذه الآية واضحة في ثبوت عذاب القبر فإن الحق تبارك وتعالى قد قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا وهذا قبل يوم القيامة لأنه قال بعد ذلك ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

قال القرطبي^(٣) : (الجمهور على أن هذا العرض في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر)^(٤)

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤١-٤٢.

(٢) انظر معارج القبول ج ٢ / ص ٧١٨.

(٣) القرطبي : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المالكي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٧١هـ فقيه مفسر، رحل إلى مصر ومات بها، من كتبه الجامع لأحكام القرآن، والوجيز في فضائل الكتاب العزيز، والتذكار في أنفصل الأذكار، أنظر التذكار المنهجي لابن مرقون ص ٣١٧، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥.

(٤) انظر تفسير القرطبي ج ١٥ / ص ٢٠٨.

ومن الإرشادات القرآنية الواضحة الدالة على فتنه القبر وعذابه قوله تعالى :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [نورهم ١٧] .

أما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت مبلغ التواتر إذ رواها أئمة السنة وحملها الحديث ونقاده (وأهل المرح والتعديل) عن الجسم الفغير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (إذا أقيمت المؤمن في قبره أتى ثم محمد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الطين آمنوا بالقول الثابت) (١).

ومن ذلك الحديث الذي يرويه أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (العبد إذا وضع في قبره وتولى ومعه أصحابه حتى أنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فاقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول أحمد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أهدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي ﷺ فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر فيقول لا أحري . كنت أقول ما يقول الناس . فيقال لا حريته ولا تليته . ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أظنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) (٢).

النص :

وللقيامه آيات إذا وجبت فليس من توبة مجدي وتلتحد

المقررات : وجبت : وجب الشيء يجب وجوباً إذا ثبت ولزم . والمراد إذا ثبت ولزم وقوع القيامة (٣).

(١) البحاري في الجنايز باب ما جاء في عذاب القبر، ج ١ / ٤٦١ / ح ١٣٠٣ .

(٢) البحاري في الجنايز باب ما جاء في عذاب القبر ج ١ / ٤٦٢ / ح ١٣٠٨ .

(٣) لسان العرب ج ١ ص ٧٩٣ والقاموس المحيط ج ١ ص ١٦٣ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن قيام الساعة تسبقه علامات تدل على قرب وقوعه. وأنه إذا ثبت ولزم قيام الساعة فإن التوبة عند ذلك لا تجدي ولا تنفع، ولا تعصم صاحبها من العذاب ، لأنها تكون قد تأخرت عن وقتها ، وجاءت بعد فوات الأوان ، عند ذلك ينعدم الإنسان ولا ينفعه الندم .

هذا وقد أشار الرسول ﷺ إلى أشراط الساعة في كثير من الأحاديث ، ومن تلك الأحاديث: ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: (أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتخاخر فقال، ما تتأخرون؟ قالوا نطهر الساعة ، قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والرجال والحابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول يحيى بن مريم عليه السلام، ويأجوج وماجوج، وثلاثة خسوف : خسوف بالمشرق ، وخسوف بالمغرب ، وخسوف بجزيرة العرب . وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محضهم)^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة)^(٢).
النص :

من ذاك أن تستين الشمس طالعة من حيث مغربها وإلخلق قد شهدوا

المفردات : تستين:استبان الشيء أي ظهر ووضح^(٣)

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن من تلك العلامات التي تسبق قيام الساعة: طلوع الشمس من مغربها ، حيث تظهر الشمس واضحة جلية من المغرب ويراهها الناس جميعا. وهذا هو الزمن الذي لا تقبل فيه التوبة ولا ينفع الكافر الإيمان . فطلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى وهو ثابت بالكتاب والسنة .

(١) مسلم في المعنى باب الآيات التي تكون قبل الساعة ، ص ١١٦٣ ح ٢٩٠١

(٢) مسلم في المعنى باب بقية من أحاديث الدجال ص ١١٨٤ ح ٢٩٤٧ .

(٣) انظر لسان العرب ج ١٣ / ص ٩٧ ، والقاموس المحيط ج ٤ / ص ٢٠٤ .

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [النجم: ١٨٨] .

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية : والأولى بالصواب ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : ذلك حين تطلع الشمس من مغربها ^(١) .
وقال الشوكاني : فإذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا قادح فيه فهو واجب التقدم بحتم الأخذ به ^(٢) .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لا تقوه الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فزأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيماناً لم تكن آمنت من قبل أو تحسبته في إيمانها خيراً) ^(٣) .

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّكَ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سجدة: ٥] ^(٤) .

فإذا طلعت الشمس من مغربها فإنه لا يقبل الإيمان ممن لم يكن قد آمن من قبل، كما لا تقبل توبة العاصي وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة يراها كل من كان في ذلك الزمان فتكشف لهم الحقائق ويشاهدون من الأحوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته وحكمه في ذلك حكم من عاين بأس الله كما قال الله تعالى : ﴿قُلْ لَكُمْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُبُّتَ اللَّهُ إِلَٰهِي فَدَخَلْتُ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [سجدة: ٨٥] .

(١) انظر تفسير الطبري ج ٥ / ص ٤١٠ .

(٢) انظر فتح القدير ج ٢ / ص ١٨٨ .

(٣) البحاري في الرقال باب طلوع الشمس من مغربها ج ٥ ص ٢٣٨٦ / ح ٦١٤١ ، ومسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ص ٨٦ ح ١٥٧ .

(٤) البحاري في بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر ص ٨٧ ح ١٥٩ ، ومسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، ج ٢ / ص ٥٥٤ / ح ٢٥٠ .

قال القرطبي :

قال العلماء (وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفرع ما تحمد معه كل شهوة، من شهوات النفس، وتفتر كل قوى من قوى البدن فيصير الناس كلهم - لا يقاوم بدنو القيامة - في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت^(١)).

وقال ﷺ : إن الله يسقط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويسقط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها^(٢).

فجعل رسول الله ﷺ غاية قبول التوبة هو طلوع الشمس من مغربها. فإذا طلعت الشمس من مغربها انقطع قبول التوبة إلى قيام الساعة .

وقال ابن كثير^(٣) (إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك ، فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم ، وإن لم يكن مصلحاً فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبة)^(٤).

وقد الحافظ ابن حجر^(٥) : (إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، وإن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة ، وأن طلوع الشمس من مغربها أول

(١) انظر التذكرة ج ٢ / ص ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ج ٧ / ص ١٤٦ .

(٢) مسلم في التوبة باب قبول التوبة عن الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، ص ١١٠٤ ح ٢٧٥٩ .

(٣) لإمام ابن كثير: هو عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، البصري، ثم الدمشقي، فقيه ومحدث ومفسر ومؤرخ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وسمع منه، من كتبه تفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد والنسب، والبدایة والنهاية، أنظر: الدرر الكامنة لابن حجر ج ٣ ص ٣٧٣. والدرر الطالع للشوكاني ح ١ ص ١٥٣، وشذرات الذهب ج ٦ ص ٢٣١.

(٤) ابن كثير ج ٢ / ص ٢٠٣.

(٥) الحافظ بن حجر: هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي، بن محمود بن أحمد، الكنايني العسقلاني، ثم المصري الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ) أمير المؤمنين في الحديث في زمانه، من كتبه فتح الباري شرح صحيح البخاري، ولتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب، أنظر: طبقات الحفاظ لسيوطي ص ٥٥٢.

الإنذار بقيام الساعة^(١).

وأما قول رسول الله ﷺ (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت صاحبتها فالثانية على إثرها قريباً)^(٢).

فإنه يدل على أن طلوع الشمس من مغربها يكون قبل خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج، إلا أن العلماء قد جمعوا بين هذه النصوص وبينوا أن طلوع الشمس من مغربها يكون أول العلامات الدالة على تغير العالم العلوي أما خروج الدجال فهو أول العلامات الدالة على تغير العالم السفلي وكذلك فإن طلوع الشمس من مغربها أول العلامات الغير مألوفة أما خروج الدجال فأمر مألوف والغير مألوف هو ما يأتي به من خوارق العادات.

ولذلك قال المحافظ بن حجر رحمه الله (يترجح من مجموعة الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة لتغير أحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة لتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب)^(٣).

النــــــــــــــــص :

كذلك دابة الأرض تكلمهم جهرا وتفرق بالتميز من تجد

المفردات : تكلمهم : الكلم : الجرح^(٤).

تفرق : الفرق : تفرق ما بين الشيئين حين يتفرقان وهو الفصل بين الشيئين^(٥).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى علامة أخرى من علامات الساعة الكبرى وهي خروج الدابة فيقول إن من علامات الساعة الكبرى خروج دابة الأرض على صورة مخالفة لما ألفه

(١) انظر فتح الباري ج ١١ / ص ٣٥٥ .

(٢) مسلم في الفتن باب في خروج الدجال ومكته في الأرض / ص ١١٨٠-١١٨١ ح ٢٩٤١ .

(٣) فتح الباري ج ١١ / ص ٣٥٣ .

(٤) انظر لسان العرب ج ١٢ / ص ٥٢٤ ٥٢٥ .

(٥) انظر لسان العرب ج ١٠ / ص ٣٠١ ، والقاموس المحيط ج ٣ / ص ٢٧٤ .

البشر من الدواب، إذ تخاطب هذه الدابة الناس وتكلمهم ، وتميز بين الكافر والمؤمن ، تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة بتميز الكافر من المؤمن .

وخروج هذه الآية العظيمة كغيرها من الآيات ثابت بالكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٥٦ ﴾ [الزلزال: ٥٦] .

وهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة ، وإن ذلك يكون عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الكلام الحق ، فيخرج الله لهم دابة من الأرض وتكلمهم على ذلك^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو حصلت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها ، والحبال وحادة الأرض)^(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس حصى، وأيضاً محابته قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً)^(٣).

فالدابة تخرج على الناس ضحى في وقت طلوع الشمس من مغربها. وخروج الدابة ضحى وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً. وهي من العلامات الكبرى التي لا تجدي التوبة بعدها وعمل هذه الدابة عند خروجها أنه تسم الكافر والمؤمن ، فأما المؤمن فأنها تجلو وجهه حتى يشرق ويكون ذلك علامة إيمانه.

وأما الكافر فأنها تغطيه على أنفه علامة على كفره والعياذ بالله وهو معنى قول الناظم -رحمه الله- تكلمهم أي تسمهم بتلك العلامة التي يفرق بها بين المؤمن والكافر . وقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٥٦ ﴾ [الزلزال: ٥٦]. وقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى التكليم الوارد في هذه الآية ، فمنهم

(١) ابن كثير ج ٣ / ص ٣٨٦ .

(٢) مسلم في الإيمان باب الزم الذي لا يقبل فيه الإيمان ص/ ٨٧ ح ١٥٨ .

(٣) سبق نفيجه ص ١٧٧ .

من قال :

١- إن المراد تكلمهم كلاماً أي تخاطبهم مخاطبة ، ويدل على هذا قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه "تنبهم" .

٢- أن المراد تخرجهم ، ويؤيد هذا قراءة "تكلمهم" بفتح التاء وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح ، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنه أي تسمهم وسمّاً^(١) .

وهذا القول يشهد له حديث أبي إمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (تخرج الدابة فتصم^(٢) الناس على خراطيمهم^(٣) ثم يعمرون فيهم حتى يختري الرجل الدابة فيقال ممن اختريته فيقول اختريته من أحد المعطمين^(٤))^(٥) .

الأقوال في ماهية الدابة : قد اختلفت الآراء في ماهية الدابة اختلافاً بيناً ، وحاول أصحاب الأهواء تأويل النصوص بما يوافق معتقداتهم وأهوائهم ، ف قيل بأنها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة ، وقيل بأنها الجحاشة الموجودة في بحر القلزم ، وقيل بأنها فصيل ناقة صالح ، وقيل بأنها الجراثيم وغير ذلك .

والذي يجب الإيمان به أن الله تعالى سيخرج للناس في آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم فيكون تكليمها لهم آية لهم دالة على أنهم مستحقون للععيد بتكذيبهم بآيات الله ، فإذا خرجت الدابة فهم الناس وعلموا أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة ، وقد كانوا قبل ذلك لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود^(٦) .

(١) انظر تفسير القرطبي ج ١ / ص ٢٣٧ ، وابن كثير ج ٣ / ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، وفتح الباري ج ٤ / ص ١٥٢ .

(٢) تسم : تعلم بعلامة ما .

(٣) خراطيمهم : أنوفهم والخراطيم هو الأنف ، انظر لسان العرب ج ١٢ ص ١٧٣ ..

(٤) المعطم : الملم أنه المرجع السابق ج ١٢ ص ١٨٧ .

(٥) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٦٨ . صححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة ج ١ ص ٥٧٦ ح ٣٢٢

(٦) انظر اشراط الساعة ص ٤٠٧-٤١٣ .

قال أحمد شاكر رحمه الله^(١) .

(والآية صريحة بالقول العربي أنها "دابة" ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل ، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة وأنها تخرج في آخر الزمان، ووردت آثار أخرى في صفتها لم تنسب لرسول الله ﷺ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعه .

ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام الذين فشا فيهم المنكر من القول، والباطل من الرأي الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب ويريدون أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدمهم ملحدوا أوروبا الوثنيون الإباحيون ، المتحللون من كل خلق ودين هؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما تؤمن به ، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحاً فيحمحمون^(٢) ويحاورون ويذاورون ثم يتأولون فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب ، يعملونه أشبه بالرموز لما قر في أنفسهم من الإنكار الذي يطنونه^(٣) .

النــــــــــــــــص :

نزول عيسى لدجال فيقاته وفتح سد عباد ما فهم عدد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى ثلاث علامات من علامات الساعة الكبرى وهي :

(١) نزول سيدنا عيسى عليه السلام

(٢) خروج الدجال .

(٣) خروج يأجوج ومأجوج .

وبما أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل لقتل المسيح الدجال لذلك سوف أبدأ بالحديث عن فتنة المسيح الدجال .

^(١) أحمد شاكر: هو أحمد محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر المصري، المولود (١٣٠٩ - ١٣٧٧هـ) من علماء الحديث والتفسير في العصر الحديث، ألف وحقق كثيراً من كتب التراث، منها مسند الإمام أحمد، ولم يتمه، ورسالة الإمام الشافعي، أنظر الأعلام ج١ ص ٢٥٣ .

^(٢) المحممة هو أن لا بين كلامه انظر ترتيب القاموس المحيط ج١ / ص ٥٣٣ .

^(٣) انظر شرح أحمد شاكر لمسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١٥ / ص ٨٢ .

١- فتنة المسيح الدجال :

الدجال من الدجل وهو الكذب ، والدجال الكذاب المموه ، والدجال هو المسيح الكذاب ودجله هو سحره وكذبه ^(١).

إن فتنة المسيح الدجال آية كبرى من آيات الساعة الكبرى ، المؤذنة بقيامها ، وهي تختلف عن باقي الآيات الأخرى إذ أن جميع الآيات تدعو إلى الإيمان بالله تعالى ، أما فتنة الدجال فإنها الآية الوحيدة التي تدعو للكفر بالله تعالى ذلك أن فتنة المسيح الدجال هي إدعاؤه للربوبية والألوهية مع ما يجريه الله تعالى على يديه من خوارق العادات التي لا يقدر عليها إلا الله فتنة وامتحان للناس فهل من فتنة أعظم من هذه الفتنة .

روى مسلم عن حميد بن هلال عن رهط منهم أبو الدهماء وأبو قتادة قالوا : (كنا نمر على هشام بن عامر نأتي عمران بن حصين فقال ذات يوم إنكم لتجاوزون إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله مني، سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أخصر من الدجال) ^(٢).

ومن تلك الخوارق التي يجريها الله على يديه :

١- أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث .

فمن النواس بن سميان رضي الله عنه قال: (حدثني رسول الله ﷺ الدجال ذاتة غداة وفيه قال رسول الله ﷺ (فيأتي علي قوم - أي الدجال - فيدعوه فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث... الحديث) ^(٣).

٢- إنه يجيء معه مثل الجنة والنار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدثت به نبي قومه ، إنه أعمور ، وإنه يجيء بمثال الجنة والنار ، فأتني يقول إنما الجنة هي النار وإنني أنظرتمه به كما أنظر به نوح قومه) ^(٤).

(١) انظر نساء العرب ج ١١ / ص ٢٣٦ .

(٢) مسلم في الفتن وأشراف الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ص ١١٨٤ ح ٢٩٤٦ .

(٣) مسلم في الفتن باب ذكر الدجال ج ١٨ / ص ٢٧٧ / ح ٢٩٣٧ مع الشرح .

(٤) البخاري في الأسماء باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) ج ٣ / ص ١٢١٥ / ح ٣١٦٠ . ومسلم في

أشرف الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه / ص ١١٧٧ ح ٢٩٣٦ .

٣- سرعة انتقاله في الأرض :

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل قال قلنا يا رسول الله وما إسرائه في الأرض ؟ قال ، خالفت استبدوته الربيع^(١).

٤- قتله للشباب المؤمن ثم إحيائه :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثنا طويلا عن الدجال فكان مما حدثنا به أنه قال يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فيتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خمر الئس - أو من خمر الناس- فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرايتم إن قتل هذا ثم أحيتته هل تشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحيه فيقول له حين يحيه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فريد حال أن يقتله فلا يسلط عليه^(٢).

هذه هي فتنة المسيح الدجال التي يفتن بها الناس عند خروجه، وما تلك الخوارق التي يظهرها الله تعالى بقدرته وإرادته على يد الدجال إلا قضاء وقدر من عند الله تعالى، ولو شاء الله لما قدرها ولما وقعت ، ولما خلق الدجال أصلاً، إلا أن وقوعها دليل على قضاء الله وقدره لا محالة وفق قدرته وإرادته، وفي حديث الدجال رد على القدرية الذين يقولون لا قدر ، ذلك أن الله قدر منذ الأزل خروج الدجال وفتنة الناس به فهو واقع لا محالة .

(١) مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه ص ١١٧٧ ح ٢٩٣٧ .

(٢) البخاري في الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة ج ٦ / ص ٢٦٠٨ ح ٦٧١٣ ، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة باب

صفة الدجال ومحرم المدينة وقله للمؤمن وإسماؤه ص ١١٧٨ ح ٢٩٣٨ .

كذبه في دعوى الألوهية :

المسيح الدجال يدعي الألوهية يوم الناس أنه هو الإله الحق، وذلك بما يجريه الله تعالى على يديه من الخوارق التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، إلا أن صفات الدجال تدل على كذبه في هذا الإدعاء، ذلك أن الإله الحق يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص وعيب، أما المسيح الدجال ففيه من صفات النقص والعيب ما يبقي كمال الألوهية التي يدعيها، ومن تلك الصفات :

(١) أنه أعور :

والله تعالى ليس بأعور ، قال رسول الله ﷺ (إن الله ليس بأعور ، ألا إن المصروع الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طائفة) ^(١) . فالعور صفة نقص يتنزه عنه الله تعالى ، بل إنها صفة نقص في المخلوق فكيف بالخالق جل وعلا فلو كان المسيح الدجال صادقا في دعوى الألوهية لاستطاع أن يزيل ذلك النقص والعيب الموجود في عينه

(٢) أنه مكتوب بين عينيه كافر ، وهذه العلامة يراها المؤمنون دون غيرهم ممن طمس الله على بصائرهم.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (ما من نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الضباب إلا إنه أعور وإن ربك عز وجل ليس بأعور. مكتوب بين عينيه كافر ، فـ (د .

في رواية أخرى قال (الدجال مصروع العين مكتوب بين عينيه كافر ثم تصابها كـ ، ل . فـ . و يقروءه كل مسلم) ^(٢) . فلو كان صادقا في دعواه لما كتبت هذه العبارة أصلا بين عينيه إلا أن الله جعلها علامة بينة وواضحة لأهل الإيمان تدل على كذبه وبطلان دعوته . والصحيح الذي عليه المحققون كما يذكر ذلك الإمام النووي رحمه الله أن هذه الكتابة على ظاهرها وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ، ويظهره الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب ويخفيه عمن أراد شقاوته وفتنته) ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري ص ٦٦٣ ح ٣٤٣٨ .

(٢) البخاري في العين باب ذكر الدجال ح ٦ / ص ٢٦٠٨ / ح ٦٧١٢ ، ومسلم في العين باب ذكر الدجال وصفته ومما معه ص ١١٧٥ ح ٢٩٣٣ .

(٣) «نظر شرح مسلم للنووي ح ١٨ ص ٢٧٥-٢٧٦ .

(٣) أنه لا يدخل مكة والمدينة :

جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال : (فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كنهما كلبا أردت أن أدخل واحدة - أو واحدا - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدي عنها وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسوها)^(١).

فلو كان صادقا في دعواه للألوهية لما حيل بينه وبين دخول مكة والمدينة لأن الإله لا يعجزه شيء.

(٤) أنه لا يستطيع أن يقتل الشاب المؤمن مرة أخرى :

إذ يحول الله بينه وبين ذلك إظهارا لكذبه كما في حديث أبي سعيد الخدري السابق الذكر.

فلو كان صادقا في دعواه لما حيل بينه وبين قتل ذلك الشاب الذي أعلن كذبه أمام الناس وتجرأ على الوقوف في وجهه والتصدي له وهو رب العالمين كما يزعم كيف يعجز عن التحصن من هذا الشاب؟

كل هذه الأمور تدل على كذبه في دعوى الألوهية وقد أخبرنا بها الرسول ﷺ بالنصوص والأدلة الثابتة لعرفه بما عد خروجه وتفتي فتنه وشره .

وفي هذه النصوص الثابتة رد على المنكرين للدجال القائلين بأنه رمز للخرافة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة^(٢) ومن أنكر وجوده من المعاصرين وزعم أنه رمز للدجل والخرافة محمد عبده في تفسير المنار^(٣).

فالنصوص السابقة رد على كل من أنكر وجود الدجال وزعم أنه رمز للدجل والخرافة .

سبل الوقاية من فتنة المسيح الدجال :

سبق وأن ذكرنا أن فتنة الدجال من أعظم الفتن خطراً على الناس. وقد حذر جميع

(١) البخاري في الفتن باب ذكر الدجال ج ٦ ص ٢٦٠٨ ح ٦٧١٢ .

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ج ١٨ / ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٣) انظر تفسير المنار ج ٣ / ص ٣١٧ .

الأنبياء أقوامهم من هذه الفتنة ، وخص رسول الله ﷺ أمته بمزيد من التحذير وبين لهم الكثير من صفاته ، وأرشدهم إلى ما يعصمهم من هذه الفتنة ويقيهم شرها وخطرها ، ومن تلك الإرشادات التي أرشدنا إليها رسول الله ﷺ ما يأتي :

١- التمسك بالإسلام ، والتسلح بالإيمان ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته الحسنى ، التي ليس لأحد أن يشاركه فيها ، فعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب وينام ، وأن الله تعالى منزه عن كل ذلك ، وأن الدجال أعور ، والله ليس بأعور ، إذ من المحال أن يكون واهب الكمال للخلق عاريا منه ، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت فالدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم. فالإيمان الصادق بالله ، ومعرفة وصفاته حق المعرفة تجنبنا الوقوع في فتنة الدجال.

٢- التعوذ من فتنة الدجال وخاصة في الصلاة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة : (اللهم إني أعوذ بك من محاذب القبر وأحوط بك من فتنة الصنيع الدجال ... الحديث) ^(١).

٣- حفظ آيات من سورة الكهف : فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات خواتيمها وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل فيه قوله ﷺ (من أدرجته فليقرأ عليه فواتح سورة الضميمة) ^(٢).

وروى مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (من حفظ بخر آياته من أول سورة الضميمة بحم من الدجال) أي من فتنته . قال مسلم قال شعبة من آخر الضميمة ، وقال حماد من أول الضميمة) ^(٣).

٤- الفرار من الدجال والابتعاد عنه عند خروجه والأفضل سكنى مكة والمدينة لأنه لا يدخلها

(١) البخاري في صفة الصلاة باب الدعاء قبل السلام ج ١ ص ٢٨٦ ح ٧٨٩ ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب التعوذ من عقاب القبر وعذاب جهنم ص ٢٤٣ ح ٥٧٩ .

(٢) سبق ترجمته ص ١٨١ .

(٣) مسلم في صلاة المسافرين باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٣١٦ ح ٨٠٩ .

حتى لا يفتن الإنسان بما يجريه الله على يديه من الخوارق فتنة واختباراً للناس^(١).

هلاك الدجال :

يكون هلاك الدجال في بلاد الشام ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يخروج الدجال فيي أمتي .. فتخسر الحديث وفيه .. فهيجته الله يحيى بن مريم حانه مروة بن مسعود فيطلبه فيمهلكه)^(٢).

وعن مجمع بن سارية الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يقتل أبين مريه الدجال ببابه لد)^(٣)(٤).

ويقتله له الله تنتهي فتنة العظيمة ويتخلص الناس من شره وأذاه^(٥).

نزول عيسى عليه السلام :

قل الحديث عن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ينبغي لنا الحديث عن رفعه كما صرح بذلك في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٧-١٥٨].

فهاتان الآيتان تدلان على أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما يزعم اليهود والنصارى وإنما رفعه الله إليه والذي قتل وصلب هو أحد حوارى سيدنا عيسى عليه السلام ألقى

(١) انظر أشراف الساعة ص / ٣٢٥ - ٣٣٠ ، وكتاب فقد جاء أشرافها ص ٣٨١ - ٣٨٥ .

(٢) مسلم كتاب الإيمان وأشراف الساعة باب خروج الدجال ومكته في الأرض ونزل عيسى وقتله إياه ، ص ١١٨٠ ح ٢٩٤٠ .

(٣) باب لد: موضع بالشام وقيل بفلسطين، انظر لسان العرب ج٣ ص٣٩١ .

(٤) مسند أحمد ج ٣ / ٤٢٠ ، والترمذي في الإيمان باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال ، ج ٩ / ص ٩٨ مع الشرح صححه الألباني انظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٥١ .

(٥) انظر أشراف الساعة ص / ٣٣٣ - ٣٣٥ ، وكتاب فقد جاء أشرافها ص / ٣٦٨ - ٣٦٩ .

الله شبهه عليه فقتل وصلب، أما سيدنا عيسى عليه السلام فإنه رفع حيا لم يقتل ولم يصلب، وقيل هو الذي دل اليهود على مكان عيسى عليه السلام وظن اليهود والنصارى أن المصلوب هو سيدنا عيسى عليه السلام ولم يكونوا متيقنين من ذلك كما جاء في قوله تعالى (وما قتلوه يقينا) والحق الذي عليه علماء السلف أن سيدنا عيسى عليه السلام رفع حيا إلى السماء وأنه سوف ينزل في آخر الزمان ويقتل الدجال ثم يموت .

وكما دل القرآن الكريم على رفع سيدنا عيسى عليه السلام فقد دل على نزوله في آخر الزمان .
قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَتَرَى الْقَيْمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ ﴾ [النساء ١٥٩] .

فهذه الآية تدل على أن أهل الكتاب الموجودين وقت نزول عيسى سيؤمنون به عيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته، وهذا هو الراجح من أقوال العلماء^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جوابه على سؤال وجه إليه عن وفاة عيسى عليه السلام ورفعته : (الحمد لله عيسى عليه السلام حي وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (ينزل فيكم ابن مريم حمداً محمداً وإماماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية). وثبت في الصحيح أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء ، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره)^(٢).

وكما دل القرآن على نزوله في آخر الزمان فقد دلت السنة أيضاً على ذلك بالأحاديث المتواترة فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لهو هطكن أن ينزل فيكم ابن مريم حمداً مقسطاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ... الحديث)^(٣).

وقد أجمعت أمة محمد ﷺ على نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان ولم يخالف في ذلك أحد

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ / ص ٢٧٦ .

(٢) الفتاوى ج ٤ / ص ٣٢ - ٣٢٣ .

(٣) البخاري في الأنبياء باب نزول عيسى عليه السلام ج ٣ / ص ١٢٧٢ ، ح ٣٢٦٤ ، ومسلم في الإيمان باب عيسى بن

مريم حكما بشرحة نبينا محمد ﷺ ج ٢ / ص ٥٤٨ - ٥٤٩ / ح ١١٥٥ مع الشرح .

إلا الملاحدة والفلاسفة ممن لا يعتد بخلافهم ، وقد انعقد الإجماع على أنه ينزل ويحكم بشريعة الإسلام وليس بشريعة مستقلة وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها إلا أنه يحكم بشريعة الإسلام كما أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك فيكسر الصليب إبطالا لما يزعمه النصارى من تعظيمه، ويقتل الخنزير لأنه محرم في شريعة الإسلام والمختار من مذهب الجمهور أن المسلم إذا وجد خنزيرا في بلاد الكفار ونكس من قتله فكلان عيسى عليه السلام عندما يقتل الخنزير يؤيد هذا المذهب. ويضع الجزيرة أي لا يقلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام لا يقبل الجزية مع أقما من شريعة الإسلام ذلك أن مشروعتها مقيدة بنزول سيدنا عيسى عليه السلام وليس هو الناسخ لها في ذلك الوقت وإنما الناسخ لها هو سيدنا محمد ﷺ بهذا الحديث . وما فعل سيدنا عيسى عليه السلام هذه الأمور في آخر الزمان إلا دليلا على حكمه بشريعة الإسلام وتنفيذه لما أخبر به رسول الله ﷺ (١).

قال القاضي عياض (٢) رحمه الله تعالى : (نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يظله فوجب إثباته ، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: (وحياتم النبيين) ويقولون ﷺ (لا نبي بعدي) وإجماع المسلمين على أنه لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا حكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس) (٣).

ومن المعاصرين المنكرين لنزول سيدنا عيسى عليه السلام محمد عبده (٤) وعمود شلتوت (٥) حيث أنكرا نزول سيدنا عيسى عليه السلام وردا للأحاديث الواردة في نزوله لزعمهما بأنها أحاديث

(١) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٤٩٢ - ٤٩٤ ، وشرح النووي لمسلم ج ٢ ص ٤٤٨ - ٤٥٠ .

(٢) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى الحنصلي المالكي، (٤٩٦-٥٥٤هـ) محدث وفقيه ومأرخ ولغوي، من كتبه الشما بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك ومشارك الأنوار، والإلماع. أنظر الدياح الذهب ص ٣٦٨، وشدوات الذهب ج ٤ ص ١٣٨.

(٣) شرح النووي لمسلم ج ١٨ ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٤) محمد عبده بن حسن عمر الله (١٢٦٦-١٣٢٣هـ) مفتي الديار المصرية في أيامه أصغر مع صديقه جمال الدين الأفندي حريصة العروة الوثقى من كتبه التفسير ولم يتمه ورسالة التوحيد وشرح لمع البلاء أنظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٥٢.

(٥) هو محمد شلتوت (١٣١٠-١٣٨٣هـ) من علماء مصر في العصر الحديث ترقى في المناصب العلمية حتى تولى منصب شيخ الجامع الأزهر، من كتبه الإسلام عقيدة وشريعة وتوجيهات الإسلام أنظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٣.

آحاد لا تقوم بما حجة^(١) ، وقولهم هذا باطل وحجتهم واهية ذلك أن خبر الآحاد من الأمور المسلم بقبولها والأخذ بما عند جمهور المسلمين وإذا قلنا بعدم حجيتها فإننا نرد كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ ويكون ما قاله ﷺ عبثا لا معنى له مع العلم بأن أحاديث نزول سيدنا عيسى عليه السلام ليست من الآحاد بل هي متواترة كما ذكر ذلك ابن كثير وغيره^(٢).

فنزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان إماما عدلا وحكما مقسطا من الأمور المسلم بها في دين الإسلام لما ثبت في ذلك من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية^(٣).

٣) خروج يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان عند الأكثر منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل بل عريان واختلف في اشتقاقهما فقليل : من أجيح النار وهو التهاجم ، وقيل من الأجه بالتشديد وهي الاختلاط وشدة الحر.

وقيل من الأج وهو سرعة العدو ، وقيل من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة ، ويكون التقدير في يأجوج يفعل وفي مأجوج مفعول .

ويجوز أن يكون فاعولا في كليهما ، هذا إن كانا عريان ، أما إن كانا أعجميان فلا اشتقاق لهما من العربية ، ويؤيد الاشتقاق وقول من جعله ماج إذ اضطرب قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف: ٩٩]^(٤).

وأصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى (يا آدمه فيقول لبيك ومعديك والخير في يديك، فيقول ، أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسمعانة وتمعة وتمعين ، فعنده يذهب الصغير وتضع كل ذابة حمل

(١) انظر تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٧ وكتاب الفتاوى لمحمد شلتوت ص ٥٩-٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩-٨٢.

(٣) للاستفادة انظر فيما سبق : أشرطة الساعة ص ٣٢٧-٣٦٣ ، وصحيح أشرطة الساعة ص / ٢٤٧-٢٦٥ ، وكتاب فقد جاء أشرطةها.

(٤) انظر فتح الباري ج ١٣ / ص ١٠٦ ، ولسان العرب ج ٢ ص ٢٠٦-٢٠٧.

حطما وتري الناصي مطاري وما هم بمطاري ولعن مطايبه الله حطيط، قالوا وأينما ذلك الواحد؟ قال ابشروا إن منهم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفم^(١).

وخروجهما في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهو ثابت في الكتاب والسنة.

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿١١٠، ١١١﴾.

وقال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين ﴿ قَالُوا يَبْنَؤُا الْفَرْتَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَحْرٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ ﴿١٠١-١٠٢﴾.

وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزاعما يقول لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب فتبع النبوء من ردهم يأجوج ومأجوج مثل حطه (وخلق بأصبعه الإبهام والتي تليها) قالت زينب بنت جحش أفنملكنا وفيما السالمون؟ قال نعم إذا حشر الدين^(٢).

ومن حديث الواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الله تعالى يومئذ يبعث مبعوثا من مريه عليه السلام بعد قتله الدجال أن قد أخرجت مباحدا لي لا يدان لأحد بقتالهم فمرز مباحدي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ... الحديث)^(٣).

(١) البخاري في الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج / ص ٦٤٠ / ح ٣٣٤٨ .

(٢) البخاري في الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج / ص ٦٣٩ - ٦٤٠ ح ٣٣٤٦ ، وسلم في الفتن وأشراف الساعة باب اقتراب الفتن وضع ردم يأجوج ومأجوج ص ١١٥٤ ح ٢٨٨٠ .

(٣) سبق ترجمته ص ١٨١ .

ويكون حروجهم في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال قبحه الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فسنحفره غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حمرا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فسنحفره غدا إن شاء الله واستنوا فيعودون إليه وهو كهينته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء^(١)).

قال الحافظ بن حجر في الفتح قال ابن العربي: (في هذا الحديث ثلاث آيات : الأولى : أن الله منهم أن يوالوا الحفر ليلا ونهاراً ، الثانية : معهم أن يحاولوا الرقي على السد بسهم أو آلة فلم يلهيهم ذلك ولا علمهم إياه ، الثالثة : أن الله صدهم عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدث^(٢)).

ويخرج يأجوج ومأجوج يقع الناس في بلاء عظيم وذلك لأن يأجوج ومأجوج يتشرون في الأرض ويأكلون خيراتها ويشربون المياه الموجودة بها ويحاصرون الناس فيحصنسون في حصونهم ويقع عليهم من البلاء ما الله به عليم بسبب هذا الحصار عند ذلك يتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى ليكشف عنهم ما حل بهم من البلاء العظيم فيستجيب الله لهم ويرسل على يأجوج ومأجوج أضعف خلقه الدود فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس فتمتليء الأرض من نتنهم فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله مرة أخرى فيرسل الله طيراً تحملهم وتطرحهم في الأرض ثم يرسل مطراً تفسس آثارهم ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتبت ثمرها فيعم الرجاء وتطرح البركة فيعيش عيسى بن مريم وأصحابه في عيش رغيد ففي حديث الثوراس بن سمعان الطويل قال : قال رسول الله ﷺ : (. . .) ويحاصر عيسى بن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار

^(١) أحمد في المسند ج ٢ / ص ٥١٠ ٥١١ ، والترمذي في التفسير باب سورة الكهف ج ١٢ / ص ١٠-١١ مع الشرح ،

ولخاتم في السدرك ج ٤ / ص ٤٨٨ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

^(٢) انظر فتح الباري ج ١٣ / ص ١٠٩ .

لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه فيرسل الله عليهم النفث^(١) في رفاهم فيصبحون فرسى^(٢) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زمهم^(٣) وتنتهم فرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله طيرا كأعناق البخت^(٤) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . . . (٥).

النفس :

كذا الدخان وريح وهي مرسله لقبض أنفس من اللذين يعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى علامتين من علامات الساعة الكبرى وهما :

أولاً : الدخان :

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى التي دل عليها الكتاب والسنة .

أدلة ظهوره :

أولاً من الكتاب : قال تعالى : ﴿ فَاتَّقِ اللَّهَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ [الدخان ١٠-١١] .

والعنى انتظر يا محمد هؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يغشى الناس ويسمهم عند ذلك يقال لهم هذا عذاب أليم تقرعوا وتوبحوا لهم أو يقول بعضهم لبعض ذلك^(٦) . ثانياً : من السنة : روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال (بادروا بالأعمال ستا

(١) العف : دود صغير يكون في أوف الأبل والعم . النهاية في غريب الحديث ج ٥ / ص ٨٧ .

(٢) فرسى : جمع فرس وهو القتل ، المرجع السابق ج ٣ / ص ٢٢٨ .

(٣) زمهم : الزمه : الربح المنة والكربة .

(٤) البخت : الأبل الخرسانية وهي جمال طوال الأعناق . المرجع السابق ج ١ / ص ١٠١ .

(٥) راجع فيما سبق : أشراف الساعة ص ٣٦٥ - ٣٧٩ ، وصحيح أشراف الساعة ص ٢٦٧-٢٧٩ ، وكتاب فقد جاء أشرافها ص ٤١٩-٤٣١ .

(٦) انظر تفسير القرطبي ج ١٦ / ص ٨٧-٨٨ ، وتفسير الطبري ج ١١ / ص ٢٢٤-٢٢٥ ، وابن كثير ج ٤ / ص ١٥١ .

الدجال والدخان . . . الحديث^(١) . وغیره من الأحادیث التي سبق ذكرها في أشراف الساعة .

وقد اختلف العلماء في الدخان هل وقع أم هو من الآيات المنتظرة ، وكان لهم في ذلك رأيان الرأي الأول: أن هذا الدخان هو ما حل بقریش من الشدة والجوع بعد دعاء النبي ﷺ عليهم عندما لم يستجيبوا له فكانوا يرون ما بين السماء والأرض كهيفة الدخان من شدة الجوع ، وهذا هو رأي عبد الله بن مسعود ووافقه جماعة من السلف وهو اختيار ابن جرير قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (خمس قد مضين: اللرام^(٢) ، والروم ، والبطشة ، والقمر ، والدخان)^(٣) .

ولما حدث رجل من كنده عن الدخان وقال : (إنه يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم غضب ابن مسعود رضي الله عنه وقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم فإن الله قال ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص ٨١] وإن قریشا أبطنوا عن الإسلام فدعاه عليهم النبي ﷺ فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف ، فأحلهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيفة الدخان^(٤) .

الرأي الثاني :

إن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تقع وأنه سوف يقع قرب قيام الساعة وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال : (ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت ولم ؟ قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرقت فما نمت حتى أصبحت^(٥) . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن وهكذا قول من وافقه

(١) سبق تخريجه ص ١٧٤ .

(٢) اللرام: هو ما ساء في قوله تعالى: (فقد كذبتم سوف يكون لراما الفرقا ٧٧ . أي يكون عذابا لأزما يهلككم نتيجة تكذيبكم وهو ما وقع لكفار قریش في بدر من القتل والأسر .

(٣) البخاري في التفسير باب فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، ج ٤ / ص ١٨٢٣ ح ٤٥٤٣ ، ومسلم في صفات المنافقين وأحسابهم باب الدخان ص ١١٢٦ ح ٢٧٩٨ .

(٤) البخاري في التفسير تفسير سورة الروم ج ٤ / ص ١٧٩١ - ١٧٩٢ ح ٤٤٩٦ ، وباب (يعشى الناس هذا عذاب أليم) ج ٤ / ص ١٨٢٣ ح ٤٥٤٤ ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار باب الدخان ص ١١٢٥ ح ٢٧٩٨ .

(٥) انظر تفسير الطبري ج ١١ / ص ٢٢٤ - ٢٤٥ ، وابن كثير ج ٤ / ص ١٥٠ .

من الصحابة والتابعين أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها . . . مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي بين واضح يراه كل أحد على أن ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رآه في أعينهم من شدة الجوع والجهد^(١).

وقد جمع بعض العلماء بين هذه الآثار بأنهما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر وهو الذي سيقع في آخر الزمان فأما الذي وقع فهو الذي كان يراه كفار قريش كهيئة الدخان وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة الكبرى .

وهذا هو الصواب والله أعلم . قال القرطبي : (قال : مجاهد : كان ابن مسعود يقول هما دخانان قد مضى أحدهما والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكام وأما الكافر تثقب مسامعه)^(٢).

وقال ابن جرير : (وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد توعدهم ويكون محلا فيما يستأنف بعد الآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك لأن الأخبار عن رسول الله قد تظاهرت بأن ذلك كائن فإن كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود فكلما الخبرين الذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح)^(٣).

ثانيا : الريح التي تقبض أرواح الناس :

هذه الريح التي تقبض أرواح المؤمنين علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي ريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على الأرض من يقول الله، ويبقى أشرار الناس وعليهم تقوم الساعة.

وقد جاء في صفة هذه الريح أنها ألين من الحرير ، ولعل ذلك من إكرام الله لعباده المؤمنين في ذلك الزمان المليء بالفتن والشروع.

(١) اس كثير ج ٤ / ص ١٥٠-١٥١ .

(٢) لشذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ج ٢ / ص ٣٨٩ .

(٣) راجع فيما سبق : أشراط الساعة ص ٣٨٣-٣٨٩ ، وصحيح أشراط الساعة ص ٢٨٧-٢٩٤ وكتاب فقد جاء أشراطها

جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى عليه السلام (إذا بعث الله رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى أشرار الناس يتهارجون^(١) فيها تمأرج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة)^(٢).

وروي مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يخرج الدجال...) فذكر الحديث وفيه : (فبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود^(٣) ، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله رجلاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى يقبضه)^(٤).

ولا تعارض بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى يبعث رجلاً من اليمن ، ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته)^(٥).

حيث يمكن الجمع بينهما بأنهما رجلاً :

(١) شامية ويمانية .

(٢) أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنه^(٦) . والله أعلم.

النــــــــــــــــص :

وغيرها من أمور في الكتاب جرت ذكرى وصح بها في السنة السند

(١) أي يجامع الرجال والنساء بحضرة النفس كما يفعل الحمر لا يكثر تون لذلك. أنظر شرح النووي ج ١٨ ص ٢٧٧.

(٢) سبق تخريجه ص ١٨١.

(٣) هو عروة بن مسعود بن مالك بن كعب النخعي، صحابي كانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الهدبية أسلم عند مصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف قتلته قومه لإسلامه فدفن مع شهداء المسلمين. أنظر الإصابة ج ٤ ص ٤٩٢.

(٤) سبق تخريجه ص ١٨٦.

(٥) مسلم في الإيمان باب الريح التي تكون قرب القيامة ص ٧٢ ح ١١٧.

(٦) انظر أشراف السادة وأسرارها ص ٨٨ / ٨٩.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أشراف الساعة لا تقتصر على الأشراف التي سبق ذكرها، وإنما هناك أشراف أخرى غيرها لم تذكر في هذا النظم، لاكتفاء الناظم بما ذكر منها، أما باقي الأشراف كالمهدي، والار التي تطرد الناس إلى عشرهم، والخسف والمسخ، وكثرة الفس، . . . الخ فكلها أشراف للساعة صح ما السند عن رسول الله ﷺ ؛ وهي إنما ذكرت ليتعظ بها الناس ويتذكرون يوم القيامة وما فيه من الأهوال فيعدوا لذلك اليوم عدته^(١).

النص :

والنفخ في الصور حرق أو لا فزع فصعقة فقيام يعلم ما رقدوا

المفردات : الفزع الذعر من الشيء والخوف منه^(٢).

صعقة : الصعقة ، الصيحة يغشى منها على من يسمعا أو يموت^(٣).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى حقيقة النفخ في الصور ، فيذكر أنه ينفخ في الصور ثلاث نفخات هي :

(١) نفخة الفزع .

(٢) نفخة الصعق .

(٣) نفخة البعث .

والصور في لغة العرب (القرن) وقد سئل عنه الرسول ﷺ ففسره بما تعرفه العرب في كلامها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور؟ فقال ﷺ : الصور قرن ينفخ فيه)^(٤).

والملك الموكل بالنفخ في الصور هو سيدنا إسماعيل عليه السلام .

(١) انظر : النهاية في الغن والملاحم ، وأشراف الساعة ، وصحيح أشراف الساعة، وكتاب فقد جاء أشرافها .

(٢) لسان العرب ج ٨ / ص ٢٥١ .

(٣) لسان العرب ج ١٠ / ص ١٩٨ ، وترتيب القاموس المحيط ج ٢ / ٨٢٣ .

(٤) مسند أحمد ج ٢ / ص ١٦٢ ، والترمذي صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور ج ٩ / ص ٣٦٠-٣٦١ مع الشرح

وقال هذا حديث حسن .

قال ابن حجر : (اشتهر أن صاحب الصور إسماعيل عليه السلام) (١).

وقد جاء عن الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما لأن ينفخ في الصور فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كيف أنعم وصاحب القرن قد التعم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ) (٢).

والنفخ في الصور كما أشار الناظم -رحمه الله- يكون ثلاث مرات كالتالي :
النفخة الأولى : نفخة المزع ، قال تعالى : ﴿ وَتَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَقَرَّبَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزلزال ٨٧].

النفخة الثانية : نفخة الصعق ، قال تعالى : ﴿ وَتُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر ٦٨].

النفخة الثالثة : نفخة البعث ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ ﴾ [الزمر ٦٨]. وقال تعالى : ﴿ وَتُنفَخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [الزمر ٥١]. فالناظم هنا رجح أن يكون النفخ في الصور ثلاث مرات ، وهذا المذهب هو ما يراه ابن تيمية (٣) وابن كثير (٤) والسفارينى (٥).

وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَتَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَقَرَّبَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزلزال ٨٧] . كما احتجوا بحديث الصور الطويل وفيه: (ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات ، نفخة المزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام لرب العالمين) (٦).
وهناك من يرى أن الفخ في الصور مرتين مثل ابن حجر والقرطبي، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَتُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ ﴾ [الزمر ٦٨].

(١) انظر فتح الباري ج ١١ / ص ٣٦٨ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٥ .

(٣) المتاوي ج ٤ / ص ٢٦٠ .

(٤) النهاية في الفن والملاحم لابن كثير ج ١ / ص ٢٠٩ - ٢١٩ .

(٥) لوامع الأنوار البهية ج ٢ / ص ١٥٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ج ٢ / ص ١٥٤ .

وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بين النخعتين أربعون، قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيه، قالوا أربعون منه قال أبيه، قالوا أربعون حمرا قال أبيه) (١).
وعديث أوس بن أوس الثفي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه الجمعة وفيه النخعة) (٢).

ويرى أصحاب هذا المذهب أن الاستدلال بالآية التي تذكر فيها نخعة الفزع ليس صحيحا على أن هذه نخعة ثالثة، إذ لا يلزم من ذكر الحق تبارك وتعالى لفزع الذي يصيب من في السماوات والأرض عند النخع في الصور، أن تجعل هذه النخعة مستقلة، فالنخعة الأولى تفزع الأحياء قبل صعقهم، والنخعة الثانية تفزع الناس عند موتهم. يقول ابن حجر: ولا يلزم من مغايرة الصعق الفزع أن لا يحصل معا منذ النخعة الأولى (٣). وأما حديث الصور فهو حديث ضعيف مضطرب كما ذكر الحافظ بن حجر رحمه الله. هذه هي مذاهب العلماء في الفسخ في الصور، والأولى بالصواب عندي المذهب الثاني وهو ما ذهب إليه الإمام ابن حجر والقرطبي من أن الفسخ في الصور مرتين، والله أعلم.

الـــــــــــــــــفـــــــــــــــــه :

والوزن بالقسط والأعمال محضرة في الصحف تنشر والأشهاد قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة وهو الميزان فيقول إن الوزن يوم القيامة يكون بالقسط أي بالعدل فلا يظلم أحد في ذلك اليوم لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما قال تعالى ﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [مر: ١٧]، وقال تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [ص: ٥٧].

(١) سجاري في التفسير باب تفسير سورة الرمز ج ٤ / ص ١٨١٢ / ح ٤٥٣٥، ومسلم في المعنى باب ما بين العتختين ص

١١٨٦ - ٣٩٥٥ .

(٢) أم دود في صلاة باب فصل يوم الجمعة ح ١٠٤٧، والسلي في كتاب الجمعة باب إكثار الصلاة على النبي يوم الجمعة ح ١٣٧٣، وابن ماجة في إقامة الصلاة السنة فيها باب فضل الجمعة ح ١٠٨٥ صححه الألباني أنظر صحيح مس لساني ح ١ ص ٢٩٧ .

(٣) مع التاري ج ١١ / ص ٣٦٩ .

(والأعمال محضرة في الصحف تنشر) أي أن أعمال الإنسان التي عملها في الدنيا تكون حاضرة أمامه لأنها سجلت وأحصيت عليه في الدنيا وهي الآن معروضة عليه في الصحف التي تنشر بين يديه فإن كان ما أحصى فيها خيراً أعطي كتابه يمينه.

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مَآثِرُهَا وَكَتَبْتُهَا ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ﴾ [الأنعام ١٩-٢١].

وإن كان ما أحصى فيها شراً أعطي كتابه بشماله قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَمَّا أُوتِيَ كِتَابِي ۖ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِي ۖ يَنَالِيهَا كَآتِبُ الْقَاضِيَةِ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ ﴾ [الأنعام ٢٢-٢٤].

(والأشهاد قد شهدوا) لعل الناظم أراد هذه العبارة لرسول الدين يشهدون على أنهم — التصديق أو التكذيب أو الملائكة الذين سجلوا هذه الأعمال أو أعضاء الإنسان التي تشهد عليه يوم القيامة أو الأرض التي تحدث عما فعل على ظهرها وغير ذلك من الأشهاد. والظاهر أنه أراد كل ذلك . . . والله أعلم .

الميزان عند أهل السنة والجماعة :

والميزان عند أهل السنة والجماعة ميزان حقيقي توزن به الأعمال ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

أولاً : أدلة الكتاب :

قال تعالى : ﴿ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ ﴾ [الأنعام ١٠٧].

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۖ تَارُ حَامِيَةٌ ۖ ﴾ [الأنعام ٦-١١].

ثانياً : الأدلة من السنة :

قال رسول الله ﷺ : (خُلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان خفيفتان إلى الرحمن سبحانه الله وبمحمده سبحانه الله العظيم) (١).

(١) البخاري في الدعوات باب فضل التسبيح ح ٥ / ص ٢٣٥٢ / ح ٦٠٤٣ ، وسلم في الذكر والدعاء باب فصل التهليل والاسبغ والغسل ص ١٠٨١ ح ٢٦٩٤ .

وقد أنكر الميران المعتزلة ومن يقول بقولهم، استناداً إلى عقولهم في رد النصوص من القرآن والسنة ، حيث قالوا أن الأعمال أعراض والأعراض لا تورن وإنما توزن الأجسام.

قال ابن حجر : قال أبو إسحاق الزجاج^(١) : (أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فحالوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم مثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين)^(٢).

وقد رد القرطبي على الذين أنكروا الميزان ، وأولوا النصوص الواردة فيه وحملوها على غير محلها قائلاً (قال علماؤنا ولو حاز حمل الميزان على ما ذكره لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحرار والأفراح والسياطين والجلس على الأخلاق المدمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق عليه السلام ، وفي الصحيحين (فيعطى صحيفة حسنة) وقوله : (فيخرج له بطاقة) وذلك يدل على الميزان الحقيقي وإن الموزون صحف الأعمال كما بينا وبالله التوفيق)^(٣).

والمعول عليه في هذا الباب النصوص ولهذا رجح أهل السنة والجماعة :

١/ أن الميزان ميران حقيقي ، كما سبق وأن ذكر ذلك بالأدلة .

٢/ أن الأعمال تورن في هذا الميزان ، قال شيخ الإسلام: (الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة) واستدل على ذلك :

بقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ ذَا رَحْمَةٍ ۖ ﴾ [الزمر: ١٦-١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [النجم: ١٧] .

(١) أبو إسحاق الزجاج هو : أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل بن الزجاج (٢٤١-٣١١هـ) من مشاهير اللغويين والدعاة من كتبه : معاني القرآن، وشرح أبيات سيبويه، والاشتقاق. أنظر تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٨٧ المتضمن لأبى الجوزي ج ٦ ص ١٧٦. وشنرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) فتح الباري ج ١٣ ص ٥٣٨.

(٣) أنظر التذكرة ج ٢ / ص ٨.

وبقول الرسول ﷺ : (حُلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ...) الحديث (١).
وبحديث البطاقة الذي فيه أن رجلاً يوتى به له تسمع وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر فيوضع
في كفة ، ويوتى بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله، قال النبي ﷺ : فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة (٢).

ثم قال: (وهذا الحديث وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين رجحان الحسنات على
السيئات وبالعكس ، فهو ما به تبنى العدل، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا ، وأما كيفية
تلك الموازين فهو بمنزلة سائر ما أخبرنا به من الغيب) (٣).
وقد اختلف العلماء في الموزون في ذلك اليوم على أقوال :
الأول :

أن الأعمال نفسها هي التي توزن ، وأن أعمال العباد تجسم فترضع في الميزان والدليل على ذلك
قول الرسول ﷺ : (حُلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى
الرَّحْمَنِ .. الحديث) (٤).

وقول الرسول ﷺ : (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الطَّيِّبِينَ حَتَّى يَحْمِلُوا بِهِ تَقْدِمَهُ
سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ) (٥).

وهذا القول قد رجحه ابن حجر حيث قال: (والصحيح أن الأعمال هي التي توزن) (٦).
الثاني :

أن صحائف الأعمال هي التي توزن ، الدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو
بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي

(١) سبق ترجمه ص ١٩٩ .

(٢) سبأ ذكره قريباً .

(٣) الفتاوى ج ٤ / ص ٣٣٠٢ .

(٤) سبق ترجمه ص ١٩٩ .

(٥) مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ص ٣١٤ ح ٨٠٤

(٦) مع الباري ج ١٣ / ص ٥٤٨ .

على رؤوس الظنق يوم القيامة فينخر له تسعة وتسعون سجلا . كل سجل مد البصر ثم يقول أنظر من هذا شيئا ؟ أظلمك تحتبني المافظون ؟ قال : لا يا رب . قال أفلك عطر أو حسنة قال : فضمت الرجل ، فيقول لا يا رب . فيقول بلى إن لك مئذنتا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها أخصد أن لا إله إلا الله وأخصد أن محمدا رسول الله ، فيقول أخصروه ، فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فيقول إنك لا تعلم ، قال فتوخع السجلات في حنفه والبطاقة في حنفه ، قال فطأخت السجلات وثقلت البطاقة ، قال : ولا يثقل شيء مع اسم الله الرحمن الرحيم (١) .

وقد مال القرطبي إلى هذا القول فقال : (والصحيح أن الموازين تنقل بالكب فيها الأعمال مكتوبة وما تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز ، قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الأنعام ١٠-١١] . وهذا نص ، قال ابن عمر توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلا على كثرة أعماله بإدخاله الحبة أو النار (٢) .

الموزون هو العامل نفسه ، القول الثالث : والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ : (إنه ليأني الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله بعوضة ، وقال اقروا ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ [الكهف ١٠٥] (٣) .

فهذه النصوص تدل على أن العباد يوزنون يوم القيامة فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم ، لا بضخامة أجسامهم . ولعل الحق أن الذي يوزن هو العامل وعمله . وصحيفة أعماله فقد دلت النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها .

(١) أحمد ح ٢ / ٢١٣ ، والترمذي في الإيمان باب ما جاء فيسبحوت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ج ١٠ / ص ١٠٧ مع شرح . صححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٣٣٣-٣٣٤ .

(٢) بتدكرة ج ٢ / ص ٨-٧ .

(٣) البخاري في التفسير تفسير سورة الكهف ج ٤ / ص ١٧٥٩ / ح ٤٤٥٢ ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار ص ١١٢٠ ح ٢٢٨٥ .

وهذا ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي فقال: (والذي استظهر من النصوص -والله أعلم- أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها ، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة ثم قال : فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وميثاقته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن والله الحمد والمنة^(١)).

النص :

والجسر ما بين ظهرائي الجعيم كما	في النص إن أحد إلا ما يرد
يجوزه الناس بالأعمال تحملهم	عليه ليس القوي والعهد والعدد
كالبرق والطرف أو مر الريح وكالـ	جباد أو كركاب النوق تشرد
وذاك يعدو وذا يعيش عليه وذا	زحفا وذا كب في نار به تقـد

المفردات :

يرد : الورود على الشيء هو الإشراف عليه سوياً دخله أم لم يدخله^(٢).

يجوزه : من حار الشيء وأجازه إذا سار فيه وقطعه^(٣).

تشرد : شرد العير والدابة بمعنى نفر ، فهو شارد والمراد سرعة السير^(٤).

تقـد : الوقود كل ما توقد به النار، واتقدت النار أي هاجت^(٥).

الشرح :

في هذه الأبيات يشعر الناظم -رحمه الله- إلى أمر آخر من أهوال يوم القيامة وهو المرور على الجسر أي (الصراط).

والصراط في اللغة : هو الطريق الواضح .

(١) انظر معارج القول ج ٢ ص ٨٤٨ - ٨٤٩ .

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ١٧٧ .

(٣) ارجع السابق ج ٥ ص ٢٦٦ ، وترتيب القاموس المحيط ج ١ ص ٥٥٦ .

(٤) لسان العرب ج ٢ ص ٢٣٦ وترتيب القاموس المحيط ج ٢ ص ٦٥٣ - ٦٥٤ .

(٥) لسان العرب ج ٢ ص ٢٣٦ ، وترتيب القاموس المحيط ج ٢ ص ٦٤٠ .

الحيل، والركاب، فاج مسلم، وناج مخدوش مككوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا^(١).

من هم الذين يمرون على الصراط ؟

معنى ورود النار :

ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بورود النار المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَنْكُرُوا إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۝ ﴾ [مرم: ٧١]، هو دخول النار وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه^(٢). وكان يستدل على ذلك بقوله تعالى في فرعون : ﴿ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَتَمَوَّعُ أَلَيْسَ لِي بِقَوْمٍ ذُرِّيَّةٍ فَأُزَادَهُمُ النَّارًا ۚ ﴾ [مرد: ٩٨]. وقوله تعالى : ﴿ وَتَسْأَلُ الْمَجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدًا ۝ ﴾ [مرم: ٨٦]. ويقول تعالى : ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ هَٰذَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ رَدُّوهُمَا ۝ ﴾ [البه: ٩٩].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط كما في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَنْكُرُوا إِلَّا وَارِدُهَا ۝ ﴾ [مرم: ٧١]. قال شارح الطحاوية واختلف المفسرون في المراد بالمرور في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَنْكُرُوا إِلَّا وَارِدُهَا ۝ ﴾ [مرم: ٧١]. ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط ، قلل تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا ۝ ﴾ [مرم: ٧٢]. وفي الصحيح أنه ﷺ قال (والطريق نفعي بيده لا يلج النار أحد بايع تحتها الشجرة) قالت حفصة فقالت يا رسول الله أليس الله يقول (وإن منكم إلا وادها) قال ألم تسمعني قال (ثم ننجي الطين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثا)^(٣). فقد أشار الرسول ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدو ليهكوه ولم يتمكنوا منه يقال نجاه الله منهم ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ۝ ﴾ [مرد: ٥٨].

(١) أبيحاري في التوحيد باب قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ح ٦ ص ٢٧٠٤ ح ٧٠٠١. ومسلم في

الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ج ٣ ص ٢١ ح ٢٩٩ .

(٢) التحويل من النار لابس رجب الحلي ص ٢٠ .

(٣) مسلم في فضائل أصحاب الشجرة ص ١٠١٢ ح ٢٤٩٦ وبص الحديث عنده : أن الرسول ﷺ قال عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ، قالت بلى يا رسول الله ، فابرها فقالت (وإن منكم إلا وادها) فقال النبي ﷺ (قد قال الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثا).

وقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴾ [هود:١١٠] . وقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ [هود:١١٤] .

ولم يكن العذاب أصابهم بل أصاب غيرهم ، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك ، وكذلك حال الواردين على النار يمر من فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا ، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور أو الورود على النار ورودان ، ورود الكفار أهل النار فهذا ورود دخول لا شك في ذلك كما قال تعالى في شأن فرعون : ﴿ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَفَيْسُ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود:١٨٨] . أي يسر المدخل المدخول .

والورود الثاني ورود الموحدين ، أي مرورهم على الصراط على النحو المذكور في الأحاديث السابقة^(١) .

معتقد أهل السنة والجماعة في الصراط :

قال شارح الطحاوية (ونؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم ، إذ انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط)^(٢) كما قالت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال : (هم في الظلمة دون الجسر)^(٣) .

وفي هذا الموضع يفرق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم .

وقد بين السفاريني رحمه الله موقف الفرق من الصراط، وهل هو صراط مجازي أم حقيقي؟ ثم قرر مذهب أهل الحق الذي دلت عليه النصوص فقال: (اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الحمنه، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا مملودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة).

(١) انظر القيامة الكبرى ص ٢٧٨ .

(٢) أنظر شرح الصحاوية ص ٦٠٥ .

(٣) مسلم في الخيض باب صفة من الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مالهما ص ١٤٥ ح ٣١٥ .

وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي^(١) وكثير من أتباعه زعما منه أنه لا يمكن عبوره وإن أمكن ففيه تعذيب ، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى : ﴿سَيَقْدِرُ عَلَيْهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [أحمد ٥]. وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى : ﴿فَأَقْذِرْهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ أَلْحِيمٍ﴾ [الصافات ٢٢]. ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة التي يسأل عنها ويؤاخذ بها.

وكل هذا باطل وخرافات لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأععب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء ، أو الوقوف فيه، وقد أجاب رحمه الله عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة الإلهية صالحة لذلك . . . إلى أن قال (والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره من غير تأويل كما ثبت في الصحيحين ، والمسانيد والسنن ، والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون^(٢)).

وقد ذكر القرطبي مذهب القائلين بمجازية الصراط والمؤولين للنصوص المصروفة به فقال : ذهب بعض من تكلم عن أحاديث وصف الصراط من أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسره ، على قدر الطاعات والمعاصي ، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله ، لخفائها وغموضها ، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيق فضرب المثل بدقة الشعر فهذا الباب .

ومعنى قوله أحد من السيف أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسرعا منهم في طاعته وامتناله ولا يكون له مرد ، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد .

وإما أن يقال أن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف مس أن الملائكة يقومون بمجانيبه، وأن فيه كلاليب وحسكا، أي أن من يمر عليه يقع على بطنه ، ومنهم

^(١) عبد الجبار المعتزلي: هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد المهداني قاضي الري، (٣٥٩-٤١٥هـ) من رؤوس المعتزلة، من كتبه المعنى، وشرح الأصول الخمسة وتفسيره القرآن عن المطلقين، دلائل البهية، أنظر تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٣، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩١، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٣.

^(٢) لوائح الأنوار البهية ج ٢ / ص ١٩٢.

من يزل ثم يقوم ، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطي النور بقدر موضع قدمه وفي ذلك إشارة أن للمارين عليه مواطئ الأقدام ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله).
ثم رد عليهم مقالتهم بقوله: (ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك وإن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يحبس المؤمن عليه فيجزيه أو يحسبه ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للآثار المروية في ذلك ويهاها بنقل الأئمة العدول (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (١).

النص :

والنار حق وجنات النعيم ولا نقول نفى ولا ذا الآن تفقد
هذي لأعدائه قد أرصدت أبدا وذو لأحابيه والكل قد خلدوا

المفردات :

أرصدت : الإرصاء الإعداد ، وأرصدت أي أعددت (٢).

الشرح :

يتحدث الناظم - رحمه الله - في هذين البيتين عن الجنة والنار وأهما حق لا شك فيه وأهما دائمتان وباقيتان بإبقاء الله لهما ، وأن النار قد أعدت لأعداء الله من الكفرة والمشركين ، وأن الجنة أعدت لأولياء الله تعالى من أهل التوحيد.

ثم شرع الناظم - رحمه الله - في ذكر الأمور التي يجب اعتقادها في الجنة والنار وهي كالآتي:

١ - أهما حق لا شك في ذلك ، فقد أعد الله الجنة لأوليائه والنار لأعدائه. الأدلة على ذلك :
أولاً : من القرآن ، قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُلُوبُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٥٠ ﴾ [المرم ١٦].
وقال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَلَّا يُكْفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [المريم ١٨]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَئِيسَ لَكَ

(١) التذكرة ج ٢ / ص ٣٠-٣١ .

(٢) لسان العرب ج ٣ / ص ١٧٧ .

عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَنْ اَتٰبَكَ مِنَ الْغَاوِيْنَ ﴿١٤﴾ وَاِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اٰجَمِعِيْنَ ﴿١٥﴾ لَهَا سَبْعَةُ اَبْوَابٍ يَكُوْلُ
بَابٌ مِنْهُمْ جُزْءًا مَّفْسُوْرًا ﴿١٦﴾ اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّاتٍ وَعُيُوْنٍ ﴿١٧﴾ اَدْخُلُوْهَا يَسْلَمِيْنَ ؕ اٰمِيْنَ ﴿١٨﴾ ۝

المحر: ٤٢-٤٦.

ثانيا : من السنة

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل) (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لحان النبي ﷺ إذا جاء من الليل يتمجد قال (اللهم لك الحمد أنتهم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنتهم نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنتهم ملك السموات والأرض ، ولك الحمد أنتهم الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والخارج حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق والصالحون حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وبك أعتقت ، وبك أخلصت ، وبك خلصت ، وبك خاسمت ، وبك خاسمت ، فاعف عني ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، أو لا إله غيرك ... الحديث) (٢).

٢- اعتقاد وجودهما الآن :

الأدلة على ذلك :

أولا : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ اُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ ﴿ [ال عمران: ١٢٣] .

﴿ اُعِدَّتْ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِٗ ﴾ [احمد: ٣١] .

وغیرها من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أن الجنة معدة قد وجدت وهيئت لعباده الصالحين.

(١) البغاري في الأسياء باب قوله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) ح ٣ / ص ١٢٦٧ / ح ٣٢٥٢ / ومسلم في الإيمان باب الغليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ص ٤٥ ح ٢٨ .

(٢) البغاري في التهجيد باب التهجيد بالليل ح ١ / ص ٣٧٧ / ح ١٠٦٦٩ ، ومسلم في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقبائه ص ٣٠٤ ح ٧٦٩ .

وقال تعالى في النار : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران ١٢١].

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [هراء ٥١]

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [هراء ٤٦]

فهي أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم^(١).

ثانياً : من السنة :

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (اطلعت في الجنة فראيت أختو أهلها الفقراء واطلعت على النار فראيت أختو أهلها النماء)^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (قال الله تعالى أمددته لعبادي السالعين ما لا يحين وأمه ولا اطن سمعته ولا خطر على قلب بشر. فأقروا إن خذته فلا تعلم نفس ما أحق به لهم من قوة أمين جزاء بما كانوا يعملون)^(٣).

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل على وجود الجنة والنار ، وأن الله قد أعد الجنة لأوليائه والنار لأعدائه.

٣- اعتقاد دوامهما وبقاؤهما بإبقاء الله تعالى لهما وألما لا تقنيان أبدا ولا يقنى من فيهما أولاً : الأدلة على ذلك من القرآن الكريم :

قال تعالى في الجنة : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [مريم ٦٠].

وقال تعالى : ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر ٤٨].

وقال تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُورٍ﴾ [مرد ١٠٨].

(١) معارج القول ج/ ٢ ص ٨٦٠ .

(٢) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج ٥ / ص ٢٢٩٧ / ح ٦١٨٠ ، ومسلم كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء ص ١٠٩٥ / ح ٢٧٣٦ .

(٣) البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون أن يدلوا كلام الله) ج ٦ / ص ٣٧٢٣ / ٣٧٢٤ / ح ٧٠٥٩ ، ومسلم في الجنة وصفة عبيدها ص ١١٣٦ ح ٢٨٢٤ .

وقال تعالى في النار : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُمْ لَكُمْ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۖ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الباء، ١٢٨-١٢٩].

وقال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ مَن يَأْتِ رَبُّهُمُ جَرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الباء، ١٧٤].

ثانيا : الأدلة من السنة :

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جئى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا، ويزداد أهل النار حزنا على حزنهم^(١)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ يقول لأهل الجنة خلود لا موت ، ولأهل النار خلود لا موت^(٢).

وهذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف :

قال الإمام الطحاوي : (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له ، وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدران على العبد).

وقال بفناء الجنة والنار والناس الجهم بن صفوان ، إمام المعطلة وليس له سلف قط.

قال شارح الطحاوية في شرحه للنصر السابق :

أما قوله (إن الجنة والنار مخلوقتان) أتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يرد أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابعة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أمعالمهم ، فهم مشبهة في الأفعال ودخل التحم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، لأنها تصبح معطلة مددا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة، التي وضعوها للرب

(١) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج ٥ / ص ٢٣٩٧ - ٢٣٩٨ / ح ٦١٨٢ ومسلم في الجنة وعيها وأهلها

باب النار يدخلها الجبارون ص ١١٤٤ ح ٢٨٥٠

(٢) البخاري في الرقاق يدخل الجنة سبعون ألفا غير حساب ح ٥ / ص ٢٣٩٧ / ح ٦١٧٩ .

تعالى ، وحرروا النصوص عن مواضعها ، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم (١) .
وقال أيضاً وأما شبهة من قال إنما لم تخلق بعد ، وهي أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراباً أن
تفنى يوم القيامة ، وأن يهلك كل من فيها ويموت (٢) .

كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [الحشر ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة ١٥٥] .

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
(لقبته إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمك مني السلام وأخبرهم أن الجنة
طوبى التجربة محبوبة الماء وأنما قيعان ، وأن ناراً صهيان الله والعصاة ولا إله إلا الله
والله أكبر) (٣) .

قال هذا حديث حسن .

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال (من قال صهيان الله وبعمصه
لخوصته له نخله في الجنة) (٤) . قال : هذا حديث صحيح .

قالوا : فلو كانت مخلوقة مفرغاً منها لم تكن قيعان ولم يكن لها هذا الغراس .

وقالوا : وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾
[الصافات ٢٦] .

فالرد عليهم :

أنكم إن أردتم بقولكم أنها الآن معدومة بمنزلة النسخ في الصور وقيام الناس من القبور فهذا باطل
يرده ما تقدم من الأدلة ، وأمثالها مما لم يذكر .

وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد
شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها أموراً أخرى فهذا حق لا يمكن رده وأدلتكم هذه إنما

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٦١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١٨ - ٦١٩ .

(٣) الترمذي في الدعاء باب ما جاء في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ج ١٣ / ص ١٤ - ١٥ مع الشرح وقال
حديث حسن وعلق الألباني بقوله حسن أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٣ ص ١٦٠ .

(٤) الترمذي في الدعاء باب فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ج ١٣ / ص ١٥ - ١٦ مع الشرح وقال حديث حسن
وعلق عليه الألباني بقوله صحيح أنظر المصدر السابق نفس الجزء والصيغة .

تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجاتكم بقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [المعمر ٨٨].

فأنتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود النار الآن ، نظير احتجاج إخوانكم بها على فائهما وخراهما وموت أهلها.

فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإما وفق لذلك أئمة الإسلام فمن كلامهم أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك.

والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك العرش فإنه سقف الجنة وقيل المراد به إلا ملكه وقيل إلا ما أريد به وجهه .

وقيل إن الله تعالى أنزل : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحم ٢٦].

فقال الملائكة : هلك أهل الأرض وطعموا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون فقال ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [المعمر ٨٨] لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينهما وبين النصوص المحكمة الدالة على بقاء النار أيضاً^(١).

النص :

وحوض أحمد قد أعطاه خالقه غوثاً لأمنه في الحشر إذ ترد

المفردات : غوثاً : الغياث ، ما أغاثك الله به ، ويقول الواقع في يليه : أغثني أي فرح عني ، والمراد تفريجاً عنهم^(٢).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر من الأمور التي أختص بها سيدنا محمد ﷺ على سائر الرسل وهو الحوض الذي يصب ماؤه من نهر الكوثر الذي أعطاه الله تعالى لرسوله ﷺ يوم القيامة لترد عليه أمته حين يشتد بهم العطش في موقف الحشر فيكون غوثاً من الله تعالى لهم يشربون منه شربة هنيئة لا يظمأون بعدها أبداً. فيقول بأن هذا الحوض حق لا شك فيه.

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [هود ٢٠-٢١].

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٦١٨-٦٢٠ .

(٢) لسان العرب ج ٢ / ص ١٧٤ .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن قدر حوضي كما بين أيلة^(١)) إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء^(٢)).

وعن أنس رضي الله عنه قال : بهنما رسول الله ﷺ طابت يوم بين أظهرنا إذ انخفض إختفاء ثم رفع رأسه متبعها فقلنا ما أخصك يا رسول الله قال : أنزلت علي أنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقلنا إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانعم إن هاتيك هو الأبتد) قال : أفدرون ما انصوثر فقلنا الله ورسوله أعلم . قال فإنه نصر ومحمد روي عن رجل عليه خير خنبر هو حوض ترد عليه أعتي يوم القيامة . أدبته محمد نجوم السماء فيحتلج العبد منهم فأقول رب إن الله من أعتي . فيقول ما تحدي ما أحتنت بعثك^(٣).

والحوض حق لا شك فيه ولكن هل هو خاص بالرسول ﷺ أم أن لكل نبي حوضا كما جاء ذلك عند الترمذي من حديث سمرة (إن لكل نبي حوضا)^(٤) اختلف العلماء في ذلك استنادا إلى هذا الحديث وما ورد في معناه من الأحاديث ، فمنهم من قال إن لكل نبي حوضا ومنهم من قال إنه خاص بالرسول ﷺ . وإن ثبت صحة هذا الحديث وما في معناه من أن لكل نبي حوضا فإن ما اختص به الرسول ﷺ هو الكوثر الذي يصب ماؤه في حوض الرسول ﷺ ولم يعط لأحد غيره كما قال تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر)^(٥).

صفة الحوض :

قال شارح الطحاوية : (والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض . أنه حوض عظيم، ومورد كريم يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر)^(٦).

^(١) مدينة معروفة في الشام على ساحل البحر الأبيض المتوسط، مسلم شرح النووي ج ١٥ ص ٦٣.

^(٢) البخاري في الرقاق باب ذكر الحوض ج ٥ / ص ٢٤٠٥ - ٢٤٠٦ / ومسلم في الفضائل بسبب إثبات حوض نبينا ص ٩٤٣ ح ٢٣٠٣.

^(٣) مسلم في الصلاة باب حجة من قال السملة آية من كل سورة سوى راعة ص ١٧٢ ح ٤٠٠.

^(٤) الترمذي في صفة القيامة . باب ما جاء في صفة الحوض ج ٩ ص ٢٧٠ - ٢٧١ مع الشرح صححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٩٦.

^(٥) نظر فتح الباري ج ١١ / ص ٤٦٧.

^(٦) شرح الطحاوية ص ٢٨٠ - ٢٨١.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن ، لو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم ، تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء) (١).

قال القرطبي رحمه الله (واختلف في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر؟ فقل الميزان قبل، وقيل الحوض، قال أبو الحسن القاسمي : والصحيح أن الحوض قبل قال القرطبي (والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم كما تقدم فيقدم قبل الميزان والصراط). والله أعلم (٢).

مما سبق يتضح لنا أن الحوض من الأمور التي اختص الله بها رسوله ﷺ يوم القيامة، وأنه يستمد ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة ، وهذا الحوض لا يرد عليه إلا أتباع سيدنا محمد ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه أما المنافقون والمبتدعون فإنهم من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذ به فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدّهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على بيان ضلالهم، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظئمة المسرفون في الجور وتطمسير الحق ، وقتل أهله ، وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر ، والمستخفون بالمعاصي، وجماعة أهمل الزينج والأهواء والبدع (٣).

النــــــــــــــــص :

والرسل تحت لواء الحمد تحشر إذ ذاك اللواختام الرسل ينعقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن النبي ﷺ يحمل يوم القيامة لواء الحمد ذلك اللواء الذي يحشر تحته جميع الرسل عليهم السلام، وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا المعنى بقوله (أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وضوا ، وأنا مبخرهم إذا بنموا لواء

(١) مسم في الطهارة باب استحباب إطالة الفرة والتحجيل في الوضوء ج ٢ / ص ١٣٨ / ح ٢٤٧ مع الشرح.

(٢) اطر النذكرة ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣) النذكرة ج ١ / ٣٤٨ .

الحمد يومئذ بيدي . وأنا أخوه علي ربي ولا فتور^(١) .

وقال ﷺ (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تبعه لوائي)^(٢) .

الـــــــمس :

كذا المقام له المسمود حيث به في شأنه كل أهل الجمع قد حددوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر آخر من الأمور التي فضل الله بها سيدنا محمد ﷺ على سائر الرسل وهو المقام المحمود "الشفاعة العظمى لفصل القضاء" حيث يكون يوم القيامة أول من يشفع ، وأول من تقبل شفاعته يوم القيامة ، وذلك عندما يبعث الله المقام المحمود الذي يحمده أهل ذلك الموقف كلهم .

الشفاعة لغة : اسم من شفع يشفع ضد الوتر^(٣) .

قال تعالى : ﴿ وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ ﴾ (المزمل : ٣٠) .

الشفاعة شرعا : التوسط للتغیر بحلب منفعة أو دفع مضرة .

جلب المنفعة مثل : شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها .

ودفع المضرة مثل : شفاعة النبي ﷺ لمن استحق النار ألا يدخلها^(٤) .

قال تعالى : (عسى أن بعثك ربك مقاما محمودا) .

وذلك المقام المحمود هو الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ كما سيأتي بيانه في البيت التالي .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (أخطبت خفعا لو يعطى أحد قبلي نصرت بالرحمة مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأبى رجل من أمي

(١) الترمذي في المساقب باب فصل النبي ﷺ ، ج ٣٦١٠ وقال حديث حسن وعنه الأباي بقوله حسن أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٣ ص ١٩٠ .

(٢) الترمذي نفس الكتاب والباب ج ٣٦١٥ ، وقال هنا حديث حسن صحيح . وصححه الأباي أنظر صحيح سنن الترمذي نفس الجزء والصحة .

(٣) أنظر لسان العرب ج ٨ ص ١٨٣ .

(٤) راجع في تعريف الشفاعة فنون المقيد على كتاب التوحيد لابن خنيس ج ١ / ص ٣٣٠-٣٣١ ، لوائح الآثار النبوية ج ٩ / ص ٢٠٤

أحرقته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغناكه ولم تعل لأحد من قبلي ، وطان حل نبي يبعثه إلى قومه خاصة وبعثته إلى الناس عامة وأعطيت الشفاعة^(١).

فالشافع هو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره -وهو المشفوع له- ويسمى شفيعا، وإن قبلت شفاعته فهو مشفوع. والمشفوع له هو من تطلب له الشفاعة. والمشفوع إليه هو من تطلب منه الشفاعة ، فإن قبلها فهو مشفع^(٢).

الشرح :

وهو الشفاعة في فصل القضاء وفي فتح الجنان لأهلها إذا ولدوا

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم -رحمه الله- في تفصيل ذلك المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة ، ويحمده عليه كل أهل الجمع فذكر أن من ذلك المقام المحمود الشفاعة في فصل القضاء وهي الشفاعة العظمى التي خص بها رسول الله ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

وذلك حين يتوسط الناس يوم القيامة إلى سيدنا آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بين الخلق ليويجهم من مقامهم ذلك وما هم فيه من الشدة والكره ، فيعذر الجميع عن قبولها حتى يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ فيقول أنا لها أنا لها ويشفع عند ربه لأهل الموقف.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إن الشخص تحنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصفه الأيمن فبينما هو كذلك استغاثوا بأحد ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيدفع ليقضي بين الخلق فيمضي حتى يأخذ بعقبة الباب فهو منتد يبعثه الله مقاما محمودا يحمده كل أهل الجمع)^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إن الناس يصيرون يوم

(١) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ص ٢١١ ح ٥٢١ .

(٢) انظر الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ص ١٤ و ١٥ .

(٣) البخاري في الزكاة باب من سأل الناس تكثرأ ج ٢ / ص ٥٣٦-٥٣٧ ح ١٤٠٥ .

القيامة جنا^(١) حل أمة تنبوع نبيها يقولون يا فلان اخرج لنا يا فلان اخرج لنا حتى تنتهي
الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك هو يوم يبعثه الله المقام المحمود^(٢).

وفي قول الناظم - رحمه الله - (وفي فتح الجنان لأهلها إذا وفدوا) يشير إلى نوع آخر من أنواع
الشفاعة والتي هي من المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة هو الشفاعة في استفتاح
باب الجنة لأهلها .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ (أنا أو شفيع في الجنة لو يصدق نبي
من الأنبياء ما صدقته ، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقني من أمته إلا رجل واحد)^(٣) .
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أتى باب الجنة يسوء القيامة
فانفتح فيقول الداخلون من أمتي ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت لا افتح لأحد قبلك)^(٤) .
فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الرسول ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها .

النــــــــــــــــص :

وفي عصاة أولى التوحيد يخرجهم من الجحيم ويديهم بما سجدوا

المفردات :

يديهم : دري الشي إذا عمه ، وأدراهم أي أعلمهم^(٥) .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى صورة أخرى من صور المقام المحمود الذي
يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة
وهو الشفاعة في عصاة الموحدين وأهل الكبائر منهم ليخرجهم الله تعالى من النار ويدخلهم الجنة
بسبب توحيدهم وبشاركه في هذه الشفاعة غيره كما سيأتي في البيت التالي .

(١) جنا : أي جماعات ، والجنات جمع جنة وهو الشيء المجموع . لسان العرب ج ١٤ ص ١٣٢ .

(٢) السعاري في التفسير سورة بني إسرائيل باب عسى أن يعفك ذلك مقاماً محموداً ج ٤ ص ١٧٤٨ .

(٣) مسلم الإيمان باب أنا أول الناس يشفع في الجنة ص ١١١ ح ١٩٦ .

(٤) مسلم في الإيمان باب أول الناس يشفع يوم القيامة ص ١١١ ح ١٩٧ .

(٥) لسان العرب ج ١٤ ص ٢٥٤ .

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج ، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة ، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ويحجون البيت ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء ، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عالمين بتحريمها ، معتقدين ، مؤمنين بما جاء فيه من الوعيد الشديد ، فقتلوا بتخليدهم في جهنم مع قرعون وهامان وقارون^(١).

من الأدلة على هذا النوع من الشفاعة ما يأتي :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بعد ما عصموا منها شفع فيدخلون الجنة فيصميمهم أهل الجنة الجصميين^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يصلني من هذا الحديث أحد أول منكن، لما رأيته من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالداً عن قلبه)^(٣). فهذه الشفاعة من المقام المحمود ، وهذا يكون المقام المحمود عاماً لجميع الشفاعات التي أوتيتها نبينا محمد ﷺ.

ولكن جمهور المفسرين فسروا المقام المحمود بالشفاعتين السابقتين لاختصاصه ﷺ بها دون غيره من عباد الله المكرمين ، وأما هذه الشفاعة الثالثة فهي وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده ﷺ فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثير من عباد الله المخلصين وهو ﷺ المقدم فيها . ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما شفع فيه رسول الله ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل^(٤).

(١) انظر معارج القبول ج ٢ / ص ٨٩٦ .

(٢) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج ٥ / ص ٢٣٩٩ - ٢٤٠٠ / ح ٦١٩١ .

(٣) البخاري في العلم باب الحرص على الحديث ج ١ / ص ٤٩ ح ٩٩ .

(٤) (١) معارج القبول ج ٢ / ص ٩٠٣ .

النص :

وبعده يشفع الأملاك والشهداء والأنبياء وأتباع لهم سعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى الشفعاء غير الرسول ﷺ يوم القيامة ، فذكر
أن هؤلاء هم :

١ - الملائكة :

قال تعالى : ﴿ وَكَمَرَيْنَ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَقْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] .

والدليل من السنة ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري الطويل مرفوعا وفيه (فيقول الله عز
وجل: شفعت الملائكة ، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين)^(١).

٢ - الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين

والدليل على شفاعتهم الحديث السابق في شفاعة الملائكة، قال شارح الطحاوية بعد أن ذكر
شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته (وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبون والمؤمنون
أيضا)^(٢).

٣ - الشهداء : ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقداد بن معد يكرب
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (للشهداء عند الله منته خصال ، وطهر منها ويشفع
في سبعين إنسانا من أقاربه)^(٣).

وجاء في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (يشفع الشهيد في
سبعين من أهل بيته)^(٤).

(١) الحارثي في تفسير سورة بن إسرائيل باب عسى أن يعطك ربك مقاما محمودا ج ٤ ص ١٧٤٨ ح ٤٤٤١ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٢٩٠ .

(٣) الإمام أحمد ج ٤ / ص ١٣١ ، والترمذي في فضائل الجهاد باب ثواب الشهيد ج ٤ ص ١٨٨ ، وقال هذا حديث حسن
صحيح .

(٤) أبو داود في الجهاد باب الشهيد يشفع ج ٣ / ص ٣٤ . صححه الألباني انظر صحيح سنن أبي داود ج ٢ ص ١٠٣ .

النفس :

فيخرجون فحمما قد امتحشوا من الجحيم قد سودوا وقد حملوا
ليطرحون بنهر يبتنون به تبت الحبوب بسيل جساء يطرد

المفردات :

امتحشوا : امتحش احتراق الجلد وظهور العظم والمراد أحرقتهم النار^(١).

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم الشفعاء بعد الرسول ﷺ ذكر في هذين البيتين أنهم يشفعون في أهل التوحيد الذين دخلوا النار بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ، فيخرجون من النار فحمما قد احترقوا واسودوا وحملوا لحرارة النار ولهيها أعادنا الله منها ، فيلقون في نهر الحياة فيعودون كما كانوا وينبتون كما تبت الحبوب في السيل المنهر المتابع ، ثم يدخلهم الله تعالى الجنة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيقول الله تعالى : أخرجوا من هنا في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة . أو العيا . فينبتون كما تنبت العبة إلى جانب السيل . ألو قروها تحبض تخرج صفراء ملتوية)^(٢).

ولسلم عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأما هم إماتة حتى إذا كانوا فحمما أذن بالشفاعة فحيى بهم ضبائر ضبائر^(٣) ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كأن رسول الله محمد كان بالبادية^(٤) .

(١) لسان العرب ج ٦ / ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٢) المعاري في الإيمان باب تعاضل أهل الإيمان ج ١ / ص ١٦ / ح ٢٢ ، ومسلم في الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج

اللوحدين من النار ص ١٠٢ ح ١٤٨ .

(٣) ضبائر : جماعات متفرقة ، أنظر لسان العرب ج ٤ ص ٤٨٠ .

(٤) مسلم في الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج اللوحدين من النار ص ١٠٣ ح ١٨٥ .

النص :

ثم الشفاعة ملك للإله ولا شريك جل له في ملكه أحد
فليس يشفع إلا من يشاء ولي من شاء حين يشاء الواحد الصمد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الشفاعة ملك لله تعالى دون شريك له في ذلك فهو وحده الذي يملك الشفاعة يوم القيامة عز وجل سبحانه وتعالى وتعظم أن يكون له شريك في هذه الشفاعة .

أما أولئك الأشخاص الذين سبق وأن قلنا إنهم يشفعون يوم القيامة فليس معنى ذلك أنهم يشاركون الله في أمر الشفاعة، بل إنهم لا يشفعون إلا بإرادة الله وحده وبعد إذنه تعالى فالشفاعة ملك لله تعالى يهبها لمن ارتضى من عباده .

أما تلك الآلهة والأصنام التي يعبدونها المشركون ويعتقدون أنها تقرهم إلى الله ، وتنفعهم أو تضرهم ، ومن ذلك أنها تملك لهم الشفاعة من دون الله فقد رد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالِ ذِرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [سب ١٢٢] . وقال تعالى : ﴿ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُواَنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلِ اتَّبِعُوا اللَّهَ بِمَا لَا يَغْلِبُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سج ١٨] .

فهذه الآلهة لا تملك لهم ضرا ولا نفعا من دون الله ، ولا تملك لهم شفاعة عند الله تعالى، بل إن عبادهم لهذه الآلهة تحرم عليهم الشفاعة ، لأن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد خاصة .

قال شيخ الإسلام (فالذي تنال به الشفاعة هي شهادة الحق، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين ، فمن ولي أحد من هؤلاء ودعاه وحج إلى قبره أو موضعه ونذر له وحلف به وقرب له القرابين ليشفع له لم يغن عنه من الله شيئا وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره فإن الشفاعة إنما تكون لأهل توحيد الله وإخلاص القلب والدين له، ومن تولى أحدا من دون الله فهو مشرك، فهذا القول والعبادة التي يقصد به المشركون الشفاعة يحرم عليهم الشفاعة فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين - ليشفعوا لهم - كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بهم الذي به طلبوا شفاعتهم : به حرموا شفاعتهم ، وعوقوا بنقيض

قصدهم لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً^(١).

فالشفاعة ملك لله تعالى ، لا شريك له في ذلك هو يهبها لمن يشاء من عباده .

شروط الشفاعة :

فليس يشفع إلا من يشاء وفي من شاء حين يشاء الواحد الصمد

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى شروط الشفاعة المقبولة يوم القيامة وهي :

١- رضا الله سبحانه وتعالى عن الشافع .

٢- رضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع فيه.

٣- إذن الله تعالى بالشفاعة .

ومن المعلوم أن الله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، ولا يأذن في الشفاعة إلا لهم ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [١٠٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [٢٨] .

وقد جمع الله تعالى هذه الشروط في قوله : ﴿ وَكَرَّمْنَا لَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [الجم: ٢٦] .

فلا بد من رضى الله تعالى عن الشافع والمشفوع فيه ، وإذنه بالشفاعة.

والإذن بالشفاعة يتعلق بالشافع والمشفوع فيه ووقت لشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له بالشفاعة ، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه^(٢).

(١) الفتاوى ج ١٤ / ص ٤١٢ - ٤١٣ .

(٢) انظر فيما سبق : الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ص ١٧ ، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد ج ٢ / ص ٢٧٠ ، ومعارح القبول ج ٢ / ص ٨٨٨ - ٨٨٩ ، البذور السائرة في أمور الآخرة للسبوطي ص ١١٩ - ١٣٠ .

الثـــــــــــــــــ :

ويخرج الله أقواما برحمته بلا شفاعاة لا يحصى لهم عدد
وليس يخلد في نار الجحيم سوى من كان بالكفر عن مولاه يعتمد
يا عظم ما ركبوا يا سوء ما نكبوا عن رهم حججوا عن فضله بعدوا

المفردات :

نكبوا : نكب فلان عن الصواب إذا عدل عنه، والمراد يا سوء ما عدلوا ومالوا إليه من الكفر والصلال^(١).

حججوا : الحجاب الستر^(٢). والمراد أنهم جعلوا بينهم وبين رحمة الله تعالى بهم وفضله عليهم حجابا وسترا بسبب ما وقعوا فيه من الكفر والضلال.

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذه الآيات أن رحمة الله وسعت كل شيء وأن الله تبارك وتعالى بعد أن يأذن للشافعين أن يشفعوا وتنتهي الشفاعاة فإن الله ينظر إلى أهل التوحيد ممن دخلوا النار فيأمر بإخراج من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان من أهل التوحيد فاللهم حرم لحومنا على النار برحمتك وفضلك وإحسانك لأن الخلود في النار إنما هو لأهل الشرك، أما أهل التوحيد فيخرجون من النار مهما عظمت ذنوبهم ، وذلك بالشفاعة المشنة يوم القيامة، ثم برحمة أرحم الراحمين وفضله وكرمه ، أما أهل الشرك فليس لهم شفاعاة ذلك أن الشفاعاة في حقهم منفية، لأن الشفاعاة إنما تكون لأهل التوحيد، أما أهل الشرك فلا تنفعهم الشفاعاة ، وإنما هم خالدون في نار جهنم ، قال تعالى : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿[الفرع ٨٠]﴾.

وقال تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿[الفرع ١٨]﴾.

وقال تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ ﴿وَلَا صَلِيقَ حَمِيمٍ﴾ ﴿[الفرع ١٠٠-١٠١]﴾.

وقد وضع رسول الله ﷺ أن من مات على الكفر فهو في النار لا تناله شفاعاة الشافعين ولا قرابة

(١) انظر لسان العرب ج ١ ص ٧٧٠.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٨ .

المقرين حيث قال ﷺ: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار ، فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار^(٢).

وقول الناظم -رحمه الله- (يا عظم ما ركبوا . . .) يشير فيه على عظم ما فعله هؤلاء الكفار بكفرهم بالله تعالى وانحرافهم عن طريق الحق إلى طريق الضلال، وأن هذا هو السبب في حرمانهم من فضل الله ورحمته ، حيث جعلوا بينهم وبين فضل الله ورحمته سترا وحجابا بسبب كفرهم ، وهو بذلك يشير إلى حرمانهم من الشفاعة بسبب كفرهم لأن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد خاصة.

(١) مسلم كتاب الجنائز ، باب استغفان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ص ٣٧٧ ح ٩٧٩ .

(٢) مسلم في الإيمان باب بيان من مات على الكفر فهو في النار ص ١١٢ ح ٢٠٣ .

المبحث الثامن

باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل

هذا الباب متعلق بما قبله حيث أن النظر إلى الله سبحانه وتعالى ، من الأمور المتعلقة باليوم الآخر
بعد أن ذكر الناظم - رحمه الله - جملة من الأمور المتعلقة بذلك اليوم ذكرها النظر إلى الله عز
وجل حيث أنه أفضل وأعظم ما ينعم به الله تعالى على عباده يوم القيامة .
النص :

والمؤمنون يرون الله خالقهم يوم اللقاء وعده الصدق الذي وعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في
الدار الآخرة وهو أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة عيانا كما يرون الشمس والقمر ليس
دوهما محاب قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة ٢٢٦].

وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [سورة ٢٥: ٢٥].

وقال تعالى : ﴿ وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ [سورة ٢٢: ٢٣].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ عَلَىٰ الْأَرْوَاحِ يَنْظُرُونَ ﴾ [القصص ٢٢ : ٢٣].

تقد استدل أهل السنة والجماعة بهذه الآيات على رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة حيث أنها
واضحة الدلالة على ذلك لا تقل تحريفا ولا تبديلا ولا ينكرها إلا مكابر معاند. وعن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضلّون
ففي رؤية الشمس والقمر إذا كانتا حجابا ؟ قلنا : لا قال : (فإنكم لا تضلّون فهي رؤية
ربكم إلا كما تضلّون في رؤيتهما)^(١).

وعن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا أدخل أهل الجنة الجنة يقول الله
تبارك وتعالى تريدون شيئا أريدكم ؟ فيقولون أله نبينا وبعثنا ؟ أله تحفظنا الجنة
وتنجبنا من النار قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم

(١) البخاري في التوحيد باب (١) جود يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ج ٦ / ص ٢٧٠٦ / ح ٧٠٠١ ومسلم في الإيمان باب
معرفة طريق الرؤية ص ١٠٠ ح ١٨٣ .

عز وجل) ثم تلا هذه الآية (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١).

قال الإمام الطحاوي :

(والرؤية لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق بها كتاب ربنا، ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٠﴾) [المدة ٢١-٢٢] وتفسيره على ما أراد الله وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد ، لا تدخل في ذلك متاولين بأرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم الله عز وجل ورسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) (٢).

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة كما صرحت بذلك الأدلة من القرآن والسنة فقال: (وإنما المهم الذي يجب على كل مسلم اعتقاده أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة ، في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة على ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث، فإنه أخير ﷺ أنا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر والشمس عند الظهيرة لا يصام في رؤيته، ورؤيته سبحانه هي أعلى مراتب الجنة وغاية مطبوب الدين عبدوا الله مخلصين له الدين وإن كانوا في الرؤية على درجات حسب قربهم من الله ومعرفتهم به، والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام فمن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر) (٣).

وقول الناظم -رحمه الله- (يوم اللقاء وعده الصدق الذي وعدوا) يشير به إلى أن رؤية المؤمنين لربهم إما تكون في الدار الآخرة في يوم القيامة وذلك إنفاذاً لوعده الصادق لهم برؤيتهم لسه يوم اللقاء هو يوم القيامة ، قال تعالى : (تحتهم يوم يلقونه سلام)

وقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُم مَّلَاقُةٌ﴾ [البقرة ٢٢٢].

وقال تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مَّلَاقُةُ اللَّهِ﴾ [البقرة ٢٢٩].

(١) مسلم في الإيمان باب إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ص ٩٩ ح ١٨٠ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص / ٢٠٧ .

(٣) انظر الفتاوى ح ٦ / ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

قال شيخ الإسلام : (أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير ، وقالوا إن لقاء الله يتضمن رؤيته تعالى واحتجوا بأيات اللقاء على من أنكسر رؤية الله في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم) (١).

وقال ابن القيم : (وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والممانع اقتضى المعاينة والرؤية) (٢).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة ، أما المخالفون ممن الخوارج والمعتزلة كالجهمية فقد أنكروا الرؤية واستدلوا على ذلك بالكثير من الأدلة العقلية والنقلية نكسي بذكر دليل واحد من كل نوع وترد عليه.

أما دليلهم العقلي فهو :

قولهم بأن القول بجواز الرؤية يلزم أن يكون المرئي جسما والأجسام متماثلة، وهذا تكذيب لقوله تعالى : ﴿ قَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُونَكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [النور: ١١].

الرد عليهم : نقول لهم (إن كان يلزم من جواز رؤية الله تعالى أن يكون جسما فليكن ، لأن لازم قول الله ورسوله حق ولكن لا يلزم أن يكون هذا الجسم كالأجسام المخلوقة كما أنكم أنتم تقولون إن الله ذاتا لا تشبه الذوات فنحن نقول : إذا كان يلزم أن يكون جسما فله جسم لا يشبه الأجسام لأن أجسام المخلوقين حادثة بعد أن لم تكن ، ومكونة من أجزاء لا يقوم بعضها إلا ببعض لكن الخالق عز وجل لا يكون جسما بهذا المعنى أبدا وعند ذلك نقول لهم : هذا الذي ذكرتموه إن كان لازما من النصوص فهو حق وإن لم يكن لازما فلا تلزمونا به ، ويكفي أن نمنع كما مر.

وأما دليلهم النقلي فهو قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

حيث جعلوا هذه الآية دليلا على نفي الرؤية .

الرد عليهم :

إن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات

(١) الفتاوى ج ٦ ص ٤٦٢ .

(٢) انظر حادي الأرواح ص ٢٦٩ .

الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرا وجوديا، كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.. الخ ولهذا لم يمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا، فإن المعلوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكمال بأمر يشترك هو والمعلوم فيه، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به. فقله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [١٠٣]. يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث لا يحاط به ، فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْجُمُوعُ أَنَّ أَصْحَابَ مُوسَىٰ إِنَّمَا لَمُدْرِكُونَ﴾ ٥٠ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٥١ ﴿ [الاعراف: ٦١-٦٢].

فلم يف موسى عليه السلام الرؤية وإنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علما^(١).

النقص :

يروونه في مقام الحشر حين ينسا	ديهم ليتبع الأقوام ما عبدوا
فليتبع المجرم الأنداد تقلعهم	إلى جهنم وردا ماء ما وردوا
والمؤمنون لمولاهم قد انتظروا	إذا تجلى لهم سبحانه سجدوا
إلا المنافق يقي ظهره طبقا	إذ في الحياة إذا قيل اسجدوا مردوا

المفردات :

الأنداد : جمع ند بالكسر ، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أمور ويناديه أي يخالفه، ويريد ما كانوا يتخلون به آلهة من دون الله تعالى^(٢).
مردوا : المارد العاني ، ومرد على الشيء ومرد أي عتا^(٣) وطغا^(٤) .

(١) راجع فيما سبق : حادي الأرواح ص ٢٦٧ - ٢٧٧ ، نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ٥٤٥ - ٥٥٥ ، وج / ٢

/ ص ٣٤٨ - ٣٥٠ مختصر الصولاني المرسلة لابن القيم ج ١ / ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، شرح الطحاوية ص ٢٠٧ - ٢١٨ ،

شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج ١ / ص ٤١٢ - ٤٢٢ ، الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٤٠١ - ٤١٣ .

(٢) انظر لسان العرب ج ٣ / ص ٢٢٠ .

(٣) عتا : أي تكبر وتجبو ، لراجع السابق ج ١ ص ٢٨ .

(٤) المراجع السابق ج ٣ / ص ٤٠٠ ، وتصرف ، وترتيب القاموس المحيط ج ٤ / ص ٢٢٤ .

الشرح :

بعد أن قرر الناظم -رحمه الله- مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة، شرع هنا في ذكر المواطن التي يرى فيها المؤمنون ربهم يوم القيامة ، فذكر أن المؤمنين يرون الله تعالى في مقام الحشر حين ينادي الناس ويأمرهم بأن يتبعوا ما كانوا يعبدون فيتبع الكفار ما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام والأشجار والشمس والقمر فيتساقطون جميعاً في النار كما قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا ۖ ﴾ [سجدة: ١٨٦].

وقال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاةٌ ۖ ءَالِهَةٌ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ ﴾ [سجدة: ٢٢١].

وقال تعالى : ﴿ يَتْلُوهُمْ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ ۖ أَلَمْ نُورِدْكُمْ ۖ ﴾ [سجدة: ٢٢٨].

أما المؤمنون فإنهم ينتظرون إلههم الحق الذي كانوا يعبدون في الدنيا ، وهو الله سبحانه وتعالى في ذلك الموقف فإذا تجلى لهم خروا له سجداً إجلالاً وتعظيماً، إلا المتناقض فإنه لا يستطيع السجود في ذلك الموقف إذ يبقى ظهره طبقاً أي مستويا، فلا يتمكن من السجود ، لأنه كان في الحياة الدنيا إذا أمر بالسجود لله تعالى سجدوا نفاقاً ورياءً تكبراً ونجوراً.

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۖ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۖ ﴾ [الحج: ١٧-١٦].

هذا وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعنى في أكثر من حديث ومن ذلك :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة .. الحديث وفيه (حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقاتهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنما سمعنا منادياً ينادي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما نتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون : أنت رسا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون : الساق يكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله ورياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. . . الحديث (١).

(١) لمعه المزيد من الأحاديث في هذا الباب انظر كتاب الرؤية للدار قطني وحادي الأرواح ص ٢٧٧ / ٣١٨ .

النص :

كذا الزيادة في يوم المزيد إذا على النجائب للرحمن قد وفدوا
فالأنبياء كذا الصديق والشهداء على منابر نور في العلا قعدوا
وغيرهم من أولي التقوى مجالسهم كتيان مسك ألا يا نعمة المهد
من فوقهم أشرف الرحمن جل ونا داهم سلام عليكم كلهم شهـدوا

المفردات : النجائب : جمع نجيبة وهو الفاضل من كل حيوان^(١).

كتيان: جمع كتيب وهي تلال الرمل^(٢)

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى موطن آخر من المواطن التي يرى فيها المؤمنون يوم القيامة هو يوم المزيد مشيراً بذلك إلى قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ لَّحَسَنًا وَزِيَادَةً﴾ [برس: ٢٦٠].

وقوله تعالى (لهم ما يشاءون فيها ولدنيا مزيد) [ق - ٣٥] وقد جاء في تفسير قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى الله تعالى^(٣).
وتفسير قوله تعالى (لهم ما يشاءون فيها ولدنيا مزيد) أي لهم ما تشتهي أنفسهم وتلد أعينهم من فنون النعم وأنواع الخير . ولدنيا مزيد من النعم التي لا تحظر هم على بال ولا مرت لهم في خيال^(٤).

فالؤمنون يرون الله تعالى في ذلك اليوم وهو يوم المزيد عندما يفدون عليه ويتقدمون إليه تحمّلهم النجائب فيجلس الأنبياء والصديقون والشهداء على منابر من نور، ويجلس باقي المؤمنين من أهل التقوى والصلاح على تلال من المسك تكريماً من الله تعالى لهم ، ثم يشرف عليهم الرحمن جل وعلا من فوقهم ، ويناديهم قائلاً لهم سلام عليكم، ويكشف عنه الحجاب فيراه جميع المؤمنين في ذلك الموقف.

قال تعالى : ﴿تَجِيئُهُمْ بِرَبِّهِمْ يُسَلِّمُونَ لِقَائِهِمْ سَلَامٌ﴾ [الأعراب: ٤٤] .

(١) انظر لسان العرب ج ١ / ص ٧٤٨ بتصرف وترتيب القاموس المحيط ج ٤ / ص ٣٢٤ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١ / ص ٧٠٢ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤) انظر صح القدير للشوكاني ج ٥ / ص ٧٨ .

وقال تعالى : ﴿ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ۝١٥٨ ﴾ .

قال ابن القيم : (قد دل القرآن والسنة للتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصاة الإسلام ، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأنصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة فإن كان لما أعير الله رسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة، فلا يمكن أن يرواه إلا من فوقهم لاستحالة أن يرواه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم. . الخ^(١) .

النص :

يرواه جهرة لا يمترون كما للشمس صحوا يرى من ما به رمد

المفردات : لا يمترون : المرية والمربة : الشك والجلد^(٢)

صحوا : الصحو : ذهاب الغيم^(٣)

الشرح :

في هذا البيت يثير الناظم - رحمه الله - إلى حديث رسول الله ﷺ المتقدم في الرؤية والذي يدل على أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة كما يرون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب وكما يرون القمر ليلة البدر ليس دونه سحب.

قال شارح الطحاوية :

(وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله تعالى ، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي .. إلى أن قال (وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا ، لا لإمتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا أحرق الراي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لإمتناع في ذات المرئي بل لعجز الراي فإذا كان في الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطلقوا رؤيته^(٤) .

(١) انظر حادي الأرواح ص ٣١٩ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١٥ ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ج ١٤ ص ٤٥٢ .

(٤) انظر شرح الطحاوية ص ٢٢٠ .

النص :

هناك يذهل كل عن نعيمهم وهذا النعيم فيا تعمى لهم حدودا

المفردات : يذهل : الذهل تركك الشيء ، تنساه على عمد أو يشغلك عنه شغل^(١).
الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية الله لدرجة أنهم يذهلون بهذا النعيم ويشغلون به عن سائر نعم الجنة ، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، فما أفضله من نعيم، وما أعظمها من كرامة ينالها أهل الجنة.
النص :

وذا لهم أبدا في كل جمعهم بشرى وطوبى لمن في وفدهم يفد

المفردات : طوبى : فعلى من الطيب، والمعنى أد العيش الطيب لهم، وطوبى شجرة في الجنة قال تعالى : ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَقَابَرٍ﴾ [الرحم: ٢٩] ^(٢).
الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن المؤمنين يرون الله تعالى في الدار الآخرة في كل يوم جمعة، وهي بشارة عظيمة تدل على طيب عيشهم ومقامهم في الدار الآخرة فيا لبشارة العظيمة ويا للعيش الطيب الكريم لمن يفد من المؤمنين على الله تعالى في ذلك اليوم.
عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في كل يوم جمعة في رجال الحضور وأقربهم منه مجلساً أسرهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم بخدوا)^(٣).

نما سبق نستطيع أن نقول: (أن الإيمان برؤية الله تعالى في الدار الآخرة هو : الاعتقاد الجازم بأن المؤمنين يرون ربهم عياناً في عرصة القيامة وفي الجنة ويكلمهم ويكلمونه).

(١) انظر لسان العرب ج ١١ / ص ٢٥٩ .

(٢) المرجع السابق ج ١ / ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

(٣) رواه الأحرى في الشريعة ص ٦٥٣ ، وذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٠٦ ، وذكره ابن بطلة في الإبانة ج ٣ ص ٤١ ، وقال عنه حسن لعمري وإسناده ضعيف وله شواهد.

ومسألة الرؤية من المسائل التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة وغيرهم وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تنابع القرون، والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة^(١).

هذا وقد ذكر ابن القيم في كتابه حادي الأرواح كلاماً طيباً عن يوم الميزد رأيت من المناسب ذكره في هذا الباب حيث قال (هذا .. وإن سألت عن يوم الميزد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصطفى النقل فيه فاستمع يوم ينادي النادي : يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون سمعاً وطاعة ويتجهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بنجائب قد أعدت لهم فيسترون على ظهورها مسرعين وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعد وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منه أحداً أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة وجلس أدناهم وحشاهم أن يكون فيهم دين على كتابان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم العطايا حتى إذا استقرت بهم بحالهم واطمأننت بهم أما كنهم نادى النادي يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويرزقنا عن النار فينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فلذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه وقد أشرف عليهم من فوقهم فقال يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام فيتحلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم ويقول يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم الميزد فيجتمعون على كلمة واحدة قد رضينا فارض عنا فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم الميزد فسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليك فيكشف لهم الرب جمل جلاله المحجب ويتحلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب ألم تغفر لي ؟

(١) انظر الكواشف، الجلة لمعاني الواسطة ص ٤٠١ .

فيقول بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .

فيا لذة الاستمتاع بتلك المحاضرة وبأقرا عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة وبأذلة الراجعين في الصفقة الخاسرة ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ ﴾ ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ۚ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٢٢-٢٢٥] .^(١)

المبحث التاسع

باب الإيمان بالقدر خيره وشره

الـمـصـ :

كذلك بالقدر المقدر تؤمن من خير وشر وذا في ديننا عمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن السادس من أركان الإيمان ، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره فيقول إنه يجب علينا الإيمان بالقدر الذي قدره الله سبحانه وتعالى لنا وكتبه علينا سواء كان هذا القدر خيرا أم شرا ، إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي .

معنى القضاء والقدر :

القضاء في اللغة : الحكم^(١)

وفي الاصطلاح : إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال .

القدر في اللغة : التقدير^(٢) .

(١) انظر حادي الأرواح ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) لسان العرب ج ٥ ص ١٨٦ .

(٣) المرجع السابق ج ٥ ص ٧٤ .

وفي الاصطلاح : هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد^(١).
فالقضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ولهذا نقول أن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا ومترادفان إن افرقا على حد قول العلماء (هما كلمتان إن اجتمعا افرقتا وإن افرقتا اجتمعتا)^(٢).

الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقدر :

أ / من الكتاب

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝ ﴾ [الأعراب : ٣٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ ﴾ [الهم : ٤٩]

وقال تعالى : ﴿ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۝ ﴾ [الأنعام : ٤٦]

ب / من السنة

قول الرسول ﷺ في حديث جبريل (وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفيه حل خير أحسن علي ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أحابك شيء فلا تقل لو أنني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)^(٤). وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قول النبي ﷺ له (وأعلمه أن ما أحابك له يحن ليخطئك وما أخطأك له يحن ليصيبك)^(٥).

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر .

بيان معنى الخير والشر في القدر :

الشر في القدر ما لا يلائم طبيعة الإنسان بحيث يحدث له به أذية أو ضرر ، الخير ما يلائم طبيعته بحيث يحصل له به خير أو ارتياح وسرور كل ذلك من الله عز وجل .

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ج ١/ص ٤٣٥ ، ٣٤٨ بتصرف.

(٢) انظر شرح الواسطية لأبي عثيمين ج ٢ / ص ٥٩٧ ، والقضاء والقدر لمحمد بن إبراهيم الحمد تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز ص ٢٧-٤٨ .

(٣) مسلم كتاب الإيمان / ص ٨٦ ح ٨.

(٤) مسلم كتاب القدر ، باب الأمر بالقوة وترك العجز ص ١٠٦٩ ح ٢٦٦٤ .

(٥) الترمذي ج ٤/ص ٦٦٧ ح ٢٥١٦ في القيامة ، باب رقم ٥٩ وقال هذا حديث حسن صحيح .

ولكن كيف يقال أن في قدر الله شر وقد قال النبي ﷺ (الشر ليس إليه)؟
فالجواب على ذلك أن يقال :

الشر في قدر الله ليس باعتبار تقدير الله تعالى له ، ولكنه باعتبار المقتدر ذلك أن لدينا قدرا ومقدروا كما أن هناك خلقا ومخلوقا وإرادة ومرادا فباعتبار تقدير الله له ليس بشر بل هو خير حتى وإن كان لا يلائم طبيعة الإنسان ويؤذيه ويضره ولكن باعتبار المقتدر، فنقول المقتدر إما خير وإما شر فالتقدير حمده وشره يراد به المقتدر حمده وشره قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم ٤١].

ففي هذه الآية يبين الله تعالى ما حدث وسببه والغاية منه فالفساد شر وسببه الإنسان والغاية منه ليديقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

فكون الفساد يظهر في البر والبحر فيه حكمة فهو نفسه شر لكن لحكمة عظيمة إما يكون تقديره خيرا كذلك المعاصي والكفر شر وهو من تقدير الله لكن لحكمة عظيمة لولا ذلك لبطلت الشرائع ولولا ذلك لكان خلق ذلك عبثا فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بل كل ما نسب إليه فهو خير والشر إما صار شرا لأنقطاع نسبته وإضافته إليه فلو أضيف إليه لم يكن شرا وهو سبحانه خالق الخير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله وخلقها وفعله وقصاؤه وقدره خير كله.

ولهذا تنزه سبحانه وتعالى عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه ، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللاحقة لها وذلك خير كله والشر وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع في موضعه لم يكن شرا فعلم أن الشر ليس إليه .

والإيمان بالقدر حمده وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور بل المقتدر ينقسم إلى كوني وشرعي فالمقتدر الكوني : إذا قدر الله عليك مكروها فلا بد أن يقع رضيت أم أبيت.

والمقتدر الشرعي : قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله لكن باعتبار الرضاء به إن كان طاعة لله وجب الرضاء به وإن كان معصية وجب سخطه ومعارضته وكراهيته والقضاء عليه كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

وعلى هذا يجب علينا الإيمان بالمقضي كله من حيث كونه قضاء الله عز وجل أما من حيث نسبته إلى غير الله فقد نرضى به وقد لا نرضى فلو وقع الكفر من شخص فلا نرضى بالكفر منه لكن نرضى بأن الله أوقعه^(١).

الشمس :

ولا منافاة بين الشرع والقدر ——— محذور لكن أولوا الأهواء قد مردوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر من الأمور المتعلقة بالقضاء والقدر، وهو أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتنال الشرع وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر وانفكاك أحدهما عن الآخر محال.

فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومعارضته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعدته ووعده وثوابه وعقابه وطعن في حكمته وعدله وانتقادا عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب وخلق الجنة لأولياؤه المصدقين بها وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة لأحكام الحاكمين وأعدل العادلين الحكيم في شرعه العدل في قوله وفعله وحكمه إلى العبث والظلم في ذلك كله.

وكذلك الإقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد من قدرة الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنيين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى المعز ووصفه بما لا يستحق الألوهية ولا يتصف بها مما لا يدي ولا يعيد ولا يفني عنك شيئا تعالى ربنا وتقدس وتنزه جل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا بل الإيمان بالقدر خيره وشره هو نظام التوحيد كما أن الإيمان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتمحيزه عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وأمتثل الشرع كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له: أفلا تتكل على كتابنا وتدع العمل؟ قال (لا ، ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له)^(٢).

(لكن أولوا الأهواء قد مردوا) يقصد به القدرية والجبرية الذين حادوا عن طريق الحق ومسألوا عنه إلى طريق الباطل.

(١) انظر شفاء العليل ج ٢ / ص ٦٣-٢٧٠ شرح الطحاوية ص ٥١٧-٥١٨ شرح الواسطة لاس عيسى ج ٢ ص ٥٩٩-٦٠١.

(٢) تنظر : معارج القبول ج ٣ / ص ٩٥٢-٩٥٣ .

أما القدرية^(١) :

وهم أتباع معبد الجهنني^(٢) لأنه أول من تكلم بالقدر، فقد نفوا القدر وزعموا منافاته للشرع فعطلوا الله تعالى عن علمه وقدرته وجعلوا العبد مستقلاً بأفعاله، خالقاً لها، فهم يقولون إن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره فاثبتوا قدرة الله على أعيان المحلوقين وأوصافهم ونفوا قدرة الله على أفعال المكلفين، وقالوا إنه لم يردها ولم يشأها منهم، وهم الذين أرادوها وشاعوها وفعلوها استقلالاً، وأنكروا أن الله يرض من يشاء ويهدي من يشاء، فسأثبتوا خالقاً مع الله، بل جعلوا كل الخلق خالقين، وهم الذين ورد فيهم الحديث إنهم (محموس هذه الأمة)، ويقال لهم القدرية العامة ومذهبهم باطل لأنه إشراك في الربوبية.

أما الجبرية^(٣) :

فهم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي زعيم المعتزلة فقد أثبتوا القدر واحتجوا به على الشرع ونفوا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله إياها وكلفه بحسبها وزعموا أن الله كلف عباده ما لا يطاق فهم يقولون أن العبد مجبور على فعله وحركاته وأفعاله اضطرابية كحركة المرتعش والعروق النابضة وكحركات الأشجار في مهب الريح وإضافتها إلى الخلق مجاز وإنما الله هو فاعل تلك الأفعال فهي فعله حقيقة لا أفعالهم والعبد ليس له قدره ولا إرادة ولا فعل له البتة. ولا شك في فساد هذا المذهب وبطلانه حيث أن أدلة الكتاب والسنة والعقل متواطئة على رده وبطلانه^(٤).

(١) سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٥.

(٢) معبد الجهنني: هو معبد بن خالد الجهنني القدرى تابعي مبتدع، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة، قتلته الحجاج بن يوسف سنة ٨٠ هـ. انظر تقريب التهديد ج ٢ ص ٥٣٩. والمهروحين لابن حبان ج ٣ ص ٣٥. والتاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ٣٣٩. والحقيقة أن معبد الجهنني هو أول من قال بالقدر، والمعتزلة نسبة إلى واصل بن عطاء، الذي كان يميل إلى رأي معبد الجهنني في مسألة القدر، ولهذا يسمونه أحياناً بالمعتزلة، وأحياناً بالقدرية.

(٣) سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٦.

(٤) انظر أعلام السنة المنشورة ص ١٤١، الكواشف الحبية لمعاني الواسطية ص ٤٥٦-٥٠٠.

النص :

لأن الإيمان بالاقدار مرتبط بالشرع ذا دون هذا ليس يعتقد
إياه نعبد إذعانا لشرعته بالنهي من جرين الأمر نعتقد
ونستعين على كل الأمور به إذ كلها قدر من عنده ترد

المفردات :

إذعانا : الإذعان في النعة الإسراع مع الطاعة ^(١)، والمراد مذعنين مقادين لما يأمر به الشرع
من جرين : الزجر المنع والنهي ، والانتهاز ^(٢)، والمراد متهين عن كل ما لم يمتنع عنه.

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم في البيت السابق حقيقة الارتباط بين القدر والشرع ، وأنه لا منافاة
بينهما ، وذكر المذاهب الضالة في ذلك ، شرع هنا في بيان المذهب الحق وهو مذهب أهل السنة
والجماعة ، وهو الإقرار بأن الإيمان بالقدر مرتبط بامثال الشرع ، وامثال الشرع مرتبط بالإيمان
بالقدر وانفكاك أحدهما عن الآخر محال.

فالْمُؤْمِنُونَ حقاً يعبدون الله تعالى خاضعين لشرعته مؤثرين بأمره ، ومتهين بنهيه ، يفعلون
ما أمرهم به خالفهم ، ويتنهبون عما نهاهم عنه ، وإذا أصابهم مرء شكروا ، وإن أصابهم ضرء
صبروا ، ومستعينين بالله تعالى في سائر أمورهم ، لا يقاومهم التام أن كل ما يحدث في هذا الكون
فهو بقدر الله تعالى .

وهم يعلمون أن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلاً وتركاً لا على القدر ، ويعززون أنفسهم
بالقدر عند المصائب ، ولا يحتجون به على المعاصي والمعائب ، فإذا وفقوا لحسنه عرفوا الحق لأهله
فقــــالوا : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰنَا اللّٰهُ ﴾ [١٢٠: ٥٣]
[٥٣: ٥٣] ولم يقولوا كما قال الفاجر ﴿ اِنَّمَا اَوْفَّقَهُ عَلٰى عِلْمٍ عِنْدِيْ ﴾ [٥٣: ٥٣] . وإذا افتروا سيئة
باعوا بذنبيهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبروان ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَلِنْ لَّمْ نَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴾ [٥٣: ٢٢] .

(١) انظر لسان العرب ج ١٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢١٨ .

لم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر، ويحتجوا به عليه ، ولم يقولوا كما قال إبليس . رب
 بما أغويتني) إذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره ، واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم
 تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١)
 ﴿[البقرة ١٥٦] ، ولم يقولوا كما قال الذين كفروا : ﴿وَقَالُوا لَا خَوْفُ مِنَّا إِذَا ضَعِفَتُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا
 غُرًى ثَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢) ﴿[ال عمران ١٥٦] .

وبعد .. فهذا هو المذهب الحق في قضاء الله وشرعه الذي عليه أهل السنة والجماعة والذي
 ينبغي أن يتبعه كل مسلم^(٣).

النـص :

أحاط علما بما ربي وقدرها دقا وجلا ومن يشقى ومن معدوا

الشرح :

قبل الشروع في شرح هذا البيت ، لابد من الإشارة إلى أن الإيمان بالقدر يقوم على أربع
 أركان أو دعائم تسمى مراتب القدر وأركانه ، وهي المدخل لنهم باب القدر ، ولا يتم الإيمان به
 إلا بتحقيقها كلها، فبعضها مرتبط ببعض ، فمن أقر بها جميعا أكتمل إيمانه بالقدر ، ومن انتقص
 واحدة منها أو أكثر احتل إيمانه وهذه المراتب هي :

- ١ . العلم .
- ٢ . الكتابة .
- ٣ . المشيعة .
- ٤ . الخلق .

وفي هذا البيت يشير الناظم إلى المرتبة الأولى من مراتب القدر وهي مرتبة (العلم) وهو الإيمان بأن
 الله علم بكل شيء جملة وتفصيلا ، أزلا وأبدا ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله ، أو بأفعال

(١) انظر الفتاوى ج ٨ / ص ٢٤٢-٢٤٣ النسخة المهدية شرح الرسالة النصرية للشيخ فالح بن مهدي ص ٣٣٥-٣٣٨ ،
 شرح الواسطية لابن عثيمين ج ٢ ص ٦٢٠-٦٢٤ ، معارج القول ج ٣ / ص ٩٥٢-٩٥٣ ، أعلام السنة المنشورة
 ص ١٤١ .

العباد، فعلمه محيط بما كان وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

يعلم الموجود والمعدوم ، والممكن والمستحيل ، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة، في السموات ولا في الأرض .

قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم فعلم أرزاقهم وأحاطهم ، وأقوالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم ، وأهل الجنة والنار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله ، وكثيره ، وقبليه وظاهره وباطنه ، سره وعلايته ، مبدأه ومنتهاه ، علم كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير ، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب.

كما قال تعالى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [النمل ٦٢]

﴿ عَلِيمٌ الْغَيْبِ لَا يَخْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الحديد ٢٨]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن أبناء المشركين فقال (الله أعلم بما كانوا عاملين)^(١).

وعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به ، فرفع رأسه وقال (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا يا رسول الله : لم نعمل أفلا نتكل؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿ فَسَنِيَرَهُ لِلْإِسْرَى ﴾ [البقرة ٢٧]^(٢).

(١) البخاري كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ح ٦ / ص ٢٣٤٢ / ح ٦٢٢٤ ومسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ص ١٠٦٨ ح ٢٦٦٠ .

(٢) مسلم في القدر باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه ص ١٠٦٢ ح ٢٦٤٧ .

وهذه المرتبة قد اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم واتفق عليها جميع الصحابة ومن تبعهم من هذه الأمة وخالفهم بحوس هذه الأمة القدرية الغلاة^(١).

النص :

من قبل إيجادها حقاً وسطرها
في اللوح جفت بها الأقلام والمدد
كيفية وزمان والمكان فلا
يعدو امرؤ ما قضاه الواحد الصمد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى المرتبة الثانية من مراتب القدر وهي مرتبة (الكتابة) فالله تعالى قد كتب كل ما سبق به علمه من مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ ، كتب كيفية تلك المقادير وزمانها ومكانها ، وليس لأحد من الخلق أن يتجاوز شيئاً مما قضاه الله تعالى وقدره ، وكتب في ذلك اللوح المحفوظ ، فكل ما يقع للخلائق فقد سجله الله تعالى في ذلك الكتاب .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الجم ٢٠] .

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [بر ١٢]

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [سورة ٥١]

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تحتجب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عمره على الماء)^(٢).

وقد أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب ، والتي هي اللوح المحفوظ ، والذكر ، والإمام المبين والكتاب المبين^(٣) . وهذه المرتبة يدخل فيها خمسة تقادير كلها ترجع إلى العلم وهي :

(١) شعاء العليل ج ١ / ص ٩٢٠-٩٢٤ ، القضاء والقدر ص ٦٢-٦٣ الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦١٦ - ٦٢٠ شرح الواسطية ج ٢ ص ٦٠٤-٦٠٢ .

(٢) مسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ص ١٠٦٥ ح ٢٦٥٣ .

(٣) انظر شعاء العليل ج ١ / ص ١١٥ - ١٢٣ ، معارج القبول ج ٣ / ص ٩٢٤-٩٢٨ ، القضاء والقدر ص ٦٣-٦٤ ، شرح الواسطية ج ٢ / ص ٦٠٧-٦١٠ الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٢٠-٦٢٤ .

١- التقدير العام

وهو تقدير الله لجميع الكائنات بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيتته وخلقه لها ، ويدل على هذا التقدير أدلة كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَقْلَمِ أَرْبَ اللَّهِ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [المع. ١٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (حُتِبَ اللهُ فَقَادِرُ الطَّلَاقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ وَحُتِنَ بِمُحَمَّدٍ عَلَى الْمَاءِ) (١).

٢- التقدير البشري (٢)

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه رهم وأشهدهم على أنفسهم بذلك والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف ١٧٢]

وعن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال (أحببنا الأعمال أم قد قضى القضاء؟ قال رسول الله ﷺ (إن الله أخذ طرية أحدهم من ظمورهم ثم أخذهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في حضيض فقال هؤلاء في الجنة هؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار) (٣).

(١) سبق تحريجه ٢٤٣ .

(٢) علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على هذا التقدير قائلا : التقدير البشري فدخل في التقدير العام، ولهذا أعرص عنه أبو العباس ابن تيمية في العقيدة الواسطية ، وأكثر أهل العلم فيما أعلم) انظر الإيمان بالقضاء والقدر ، ص ٦٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في كتابه السنة بتحقيق الألباني ج ١ / ص ٧٣-٧٤ وقال الألباني إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، والسيوطي في الدر المنثور ج ٣ / ص ٦٠٤ وقال أخرجه ابن جرير والآخرى والبراء والطبراني والبيهقي وابن مردويه في الإسماء والصفات .

٣- التقدير العمري

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى غاية أجله وكتابة شقاوته وسعادته والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ: **«إِنْ أَحْصَيْتُمْ يَوْمَكُمْ خَلَقْتُمْ فِيهِ بَلَدًا أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِطَرَفِهِ ثُمَّ يَكُونُ عِلَاقَةً مِثْلَ خَلْقِكُمْ ثُمَّ يَكُونُ مَسْجِدًا مِثْلَ خَلْقِكُمْ ثُمَّ يَرْسُلُ الْمَلَكُ فَيَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيَأْمُرُ بِأَرْبَعِ خَلَمَاتٍ دَرَقَةٍ وَأَمْلَةٍ وَخَفِيِّ (أو سَعِيدٍ)»**^(١).

التقدير السنوي

وذلك في ليلة القدر من كل سنة قال تعالى: **«فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»** [الدحر: ٤٠].
«تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» سَلَّمَ مِي حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ [الدحر: ١٠].
 والذي يكتب في هذه الليلة هو ما يحدث في هذه السنة من موت وحياة وعز وذل ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان^(٢).

التقدير اليومي

ويدل عليه قوله تعالى: **«كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»** [الدحر: ٢٩]. وقيل في تفسير هذه الآية شأنه أن يحز ويدل ويرفع ويخضع ويعطي ويمنع ويغني ويفقر ويضحك ويبكي ويميت ويمحي وإلى غير ذلك^(٣). فالتقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي والحوالي تفصيل من التقدير العمري، والعمرى تفصيل من التقدير البشري، والبشري تفصيل من التقدير العام الأربلي الذي حطه القلم في الإمام المبين والإمام المبين من علم الله وكذلك منتهى المقادير في آخرها إلى علم الله فاتسعت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته، قال تعالى: **«وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى»** [الدحر: ١٢]^(٤).

(١) البخاري، كتاب القدر ج ٦ / ص ٢٤٣٣ / ح ٦٢٢١ مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الادمي ص ١٠٦٠ ح ٢٦٤٣.
 (٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ / ص ١٤٠، وفتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٥٧٢.
 (٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ص ٢٧٥ وفتح القدير ج ٥ / ص ١٣٦.
 (٤) انظر معارج القول ج ٣ ص ٦٢٨ - ٩٤٠ والإيمان بالقضاء ص ٦٩ - ٧١ أعلام السنة المشهورة ١٢٩ - ١٣٣، شرح الرواسية ج ٢ / ٦٠٧ - ٦١١، الكواشف الجلية لمعالي الرواسية ص ٦٢٥ - ٦٢٧.

النص :

بقول كن ما يشا أمضى بقدرته بالخلق والأمر رب العرش مفرد

الشرح :

في هذا البيت يسم الناظم -رحمه الله- إلى المرتبتين الثالثة والرابعة من مراتب القدر وهما مرتبة المشيئة ومرتبة الخلق فمرتبة المشيئة تقتضي الإيمان بمشيئة الله وقدرته الشاملة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته .

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ [التكوير ٢٩]

وقال ﷺ (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن قلب واحد يصرفه حيث يشاء) ^(١).

ومشيئة الله السافدة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان أو سيكون ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [الحق: ٨٢].

وما لم يشأ الله لم يكن لعدم مشيئته تعالى إياه ، وليس لعدم قدرته عليه .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [الاسم ٣٥]

فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده ، لا أنه عاجز عنه ، تعالى الله وتقدس وتنزهه عن ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلْفَةٌ لِّبُعْظِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ قَدِيرًا ﴾

(١) مسلم كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ص ١٠٦٥ ح ٢٦٥٤ .

وإرادة الله تنقسم إلى قسمين :

- ١- إرادة كونية قدرية : وهي مرادفة للمشيفة ، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ، فالمسلم والكافر تحت هذه الإرادة الكونية سواء ، فالتطاعات والمعاصي كلها بمشيئة الرب وإرادته .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدُّ لَهُ ﴾ [الزمر: ١١]

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

- ٢- إرادة شرعية دينية : وتتضمن محبة الرب ورضاه

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

الفرق بين الإرادتين :

- ١- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها ، أما الشرعية فهي التي يحبها ويرضاها ، فالكونية مرادفة للمشيفة ، والشرعية مرادفة للمحبة.

- ٢- الإرادة الكونية مقصودة لغيرها : كخلق إبليس مثلاً وسائر الشرور ، لتحصيل يسيبها محاب كثيرة كالنوبة والمجاهدة والاستغفار . أما الشرعية فمقصودة لذاتها ، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها.

- ٣- الإرادة الكونية لا بد من وقوعها ، فالله إذا أراد شيئاً وقع لا بد ، كإحياء أحد أو إماتته ، أو غير ذلك ، أما الشرعية كالإسلام - مثلاً - فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.

- ٤- الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقها ، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه.

- ٥- الإرادتان تمتعان في حق المطيع ، فالذي أدى الصلاة مثلاً - جمع بينهما ، وذلك أن الصلاة محبوبة لله ، وقد أمر بها ورضيها وأحبها ، فهي شرعية من هذا الوجه ، فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر ، ومعصية العاصي ، فكونهما وقعت فهذا يدل على أن الله شليها ، لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته ، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة المعاصي، فكونها محبوبة لله تعالى فهي شرعية وكونها لم تقع مع أمر الله ومحبه لها ورضاه، هذا دليل على أنها أيضا شرعية فقط، إذا هي مراده محبوبة لم تقع.

٦- الإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعا كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به^(١).

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر عليها خلقه وأدلة العقل والبيان^(٢).

(بالخلق والأمر رب العرش منفرد) :

يشير الناظم هنا إلى المرتبة الرابعة من مراتب القدر وهي مرتبة الخلق :

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، كل متحرك وحركته، كل ساكن ومسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، بل كل ما سواه فهو مخلوق موحد من العدم، كائن بعد أن لم يكن

قال تعالى : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الروم: ١٦]

وقال تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وإلى هذه الآية الأخيرة أشار الناظم في هذا الموضع فوضح أن الله منفرد بالخلق والأمر لا شريك له في ذلك، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القديري .

(١) انظر الفتاوى ج ٨ / ص ٢٩٧-٣٠٣، الإيمان بالقضاء والقدر ص ٩٧-١٠١، وشرح الواسطية ج ٢ / ص ٦١٣-٦١٤

شرح الطحاوية ص ٦٥٦-٦٥٩، أعلام السنة المشهورة ص ١٣٧ شفاء العليل ج ١ / ١٤١ وج ٢ ص ٢٨٧-٢٨٩.

(٢) انظر شفاء العليل ج ١ / ص ١٢٥ بتصرف يسير .

أما حكمه الديني الشرعي، فيعصيه الفجار والنفاق^(١).

قال رسول الله ﷺ (إن الله يصنع لكل حاجته وصنعتة)^(٢).

وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام واتفقت عليها العطر القويمة والعقول السليمة^(٣).

الشرح :

وقدرة العبد حقاً مع مشيئته لكن لما شاء منه الله نعتقد
إذ كان ذاتاً وفعلاً كله عدم إلا إذا جاءه من ربه المدد
من يهده الله فهو المهتدي وكذا من شاء إضلاله أنى له الرشـد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن للعباد قدرة ومشية خاصة بهم ، ولكن علينا أن نعتقد أن هذه القدرة والمشية خاضعة لإرادة الله الكونية القدرية ، وأنه لن يحدث في هذا الكون شيء إلا بمشيئة الله تعالى .

قال تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الصمد: ٢١] .

فإن هذا الإنسان الذي يملك القدرة والمشية الخاصة به ، كان في الأصل عدماً في ذاته وفعله لولا أن الله تعالى خلقه وأوجده من العدم ، فهو ذاته وقوله عدم إلى أن جاءه المدد من الله تعالى ، بأن من عليه بنعمة الخلق والإيجاد ، وكذلك قدرته ومشيته معدومة لولا أن الله تعالى أوجدهما فيه بإرادته الكونية القدرية ، فالهداية والضلال كلها بيد الله تعالى ، فعن أراد الله له الهداية فهو المهتدي ، ومن أراد الله له الضلال فليس له من هاد ، سوى الله يهديه إلى سبيل الرشاد، فالعباد لهم قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيتهم وأقوالهم وأعمالهم ، وهو الذي منحهم إياها ، وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة وبحسبها كلفوا ، وعليها يثابون ، ويعاقبون ، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ، ولم يحملهم إلا طاقتهم ، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة ووضعهم به ، ثم أخير تعالى

(١) انظر شفاء العليل ج ٢ / ص ٢٨٧ .

(٢) البحاري في خلق أعمال العباد والرد على الجهمية وأهل التعطل ص ٢٥ ، باب أعمال العباد .

(٣) انظر شفاء العليل ج ١ / ص ١٤٥-١٥٠ الإيمان بالقضاء والقدر ص ٦٦ ومعارج القبول ج ٣ / ص ٩٤٠ .

أهم لا يقدرّون إلا على ما أقدّره الله عليه ولا يشاعون إلا أن يشاء الله عز وجل ولا يفعلون إلا بحوله وإياهم فاعلين .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٧٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأنعام: ١٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

فكما أن العباد لم يوجدوا أنفسهم ، فإنهم كذلك لم يوجدوا أفعالهم ، فقدرتهم ومشيتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله تعالى ومشيته وأفعاله . وليس مشيتهم إرادتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله بل أفعالهم مخلوقة لله قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وهي من آثار أفعال الله تعالى ، القائمة به اللاحقة به ، المضافة إليه حقيقة . فالله فاعل حقيقة والعبد فاعل حقيقة والله تعالى هـد حقيقة ، والعبد مهتدي حقيقة ، ولهذا أضاف الله كلا الفعلين لمن قام به حقيقة ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ [التكوير: ١٧] . فإضافة الهداية إلى الله حقيقة ، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة ، كما أن إلهادي تعالى ليس هو عين المهتدي فكذلك الهداية هي ليست عين الاهتداء ، وكذلك بضل الله من يشاء حقيقة ، وكذلك العبد يكون ضالا حقيقة ، وهو سبحانه خالق المؤمن وإيمانه ، والكافر وكفره .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَسَبٍ وَمِنْكُمْ كَوَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٢] . أي ، الله هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك كونا لا شرعا ، فلا بد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية فمن يستحق الضلال ، وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزئهم بما أتم الجزاء ، ولهذا قال تعالى : والله بما تعملون بصير . فأضاف الله تعالى الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة ، وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليه حقيقة ، والله تعالى هو الذي جعلهم كذلك ، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيتهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ولهاهم بحسبها .

فالله سبحانه وتعالى في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة ، والعبد فاعل منفع حقيقة ، فمن أضاف الفعل والانفعال إلى المخلوق كلاهما كفر^(١) ومن أضافهما كلاهما إلى الله كفر^(٢) ومن

(١) هذا قول القرطبي ، وقد سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٥ .

(٢) هذا قول الجهمية وقد سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٢ .

أضاف الفعل إلى الله حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة، كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(اعلم أن الرب سبحانه وتعالى فاعل غير منفعل، والعبد فاعل منفعل، وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذي لا يتفعل بوجه). فالجبرية شهدت بكونه منفعلا يجرى عليه الحكم بمنزلة الآلة، والمحل، وجعلوا حركته بمنزلة حركات الأشجار، ولم يجعلوه فاعلا إلا على سبيل المجاز، فقام وقعد وأكل وشرب وصلى وصام، عندهم بمنزلة مرض وألم ومات ونحو ذلك مما هو فيه منفعل محضا. والقدرية شهدت بكونه فاعلا محضا غير منفعل في فعله.

وكل من الطائفتين نظر بعين عوراء، وأهل العلم والاعتدال أعطوا كلا من المقامين حقه ولم يطلوا أحد الأمرين بآخر، فاستقام لهم نظرهم ومناظرهم، واستقر عندهم الشرع والقدر، في نصابه، ومهدوا وقوع الثواب والعقاب على من هو أولى به، فثبتوا نطق العبد بحقيقته، وإنطاق الله له حقيقة.

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدَتْهُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [ص ٢١]. فالإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله، والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره^(٢) ولا بد هنا من الإشارة إلى بعض المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر.

المسألة الأولى :

(إن سق المقادير بالسعادة والشقاوة لا يقتضي ترك الأعمال بل الاجتهاد والحرص) يسبق إلى إلهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة من الأعمال وأن قضاء الله وقدره لا بد من وقوعه فتوسط العمل لا فائدة فيه وهذا فهم غير صحيح .

وقد أحاب ابن القيم رحمه الله بما يدل على إن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجهد والاجتهاد، ولهذا لما سمع أحد الصحابة ذلك قال: ما كنت أشد اجتهدا مني الآن.

(١) انظر أعلام السلف المنشرة : ص ١٣٩-١٤١، معارج القبول : ج ٣/ ص ٩٤٠-٩٤١ لمعة الاعتقاد: بشرح ابن عثيمين ص ٩٦-٩٥ .

(٢) انظر تكملة العليل: ج ١، ص ٣٣٩-٣٤٩ .

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ، ودقة أفهامهم ، وصحة علومهم ، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجرىاته على الخليقة بالأسباب ، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ، ومكنه ، وهين له ، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب ، وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدر أدنى إليه .

وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه ، فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه .

وقد فطر الله تعالى الناس على الحرص على الأسباب التي لها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات ، فهكذا الأسباب التي لها مصالحهم الأخروية في معادهم ، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة ، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسر كلا من خلقه لما خلق له في الدنيا والآخرة ، فهو مهيا له يسر له .

فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها والقيام بها ، منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه .

فالقدر السابق معين على الأعمال وما يحث عليها مقتضى لها ، لا أنه منافٍ لها وصاد عنها ، وهذا موضع مزلة قدم ، من ثبتت قدمه فاز بالنعيم المقيم ، ومن زلت قدمه عنه هوى إلى قرار الحميم ، فالرسول ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبب السعادة ، الإيمان بالقدر ، فإنه نظام التوحيد والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خير وتحمز عن شره ، وذلك نظام الشرع ، فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر ، فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد والقدح بإتيانه في أصل الشرع ، والخلق والأمر^(١) .

قال تعالى : **فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا أَحْكَمْنَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٢٤﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

والرسول ﷺ شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة ومن لم يتسع للأمرين معا فهو عاجز^(٢) .

(١) أنظر شفاء العليل ج ١ ص ٧٦-٩٧ .

(٢) انظر : شفاء العليل: ص ٧٦-٩٧ ، معارج القبول : ج ٣ ص ٩٥٤ .

المسألة الثانية :

أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وترك الواجبات.
ذلك أن الإيمان بالقدر لا يحسم المعاصي حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل المعاصي .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان معقولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يحظر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر).

ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدى عليه ، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض وتناقض القول دليل على فساده ، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية القول^(١).

وإنما يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تلح بالإنسان كال فقر والمرض ونحو ذلك فهذا من تمام الرضا بالله ربا، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب لا المعائب فالسعيد يستغفر من المعائب ، ويصبر على المصائب.

كما قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [مائدة ٥٠] . والشقي يجرع عند المصائب ، يحتج بالقدر على المعائب فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربا ، أما الذنوب فليس لأحد أن يذنب ويحتج بالقدر ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب .

ومن يسوغ له الاحتجاج بالقدر ، التائب من الذنب ، فلو لاه أحد على ذنب تاب منه نساغ له أن يحتج بالقدر ، فيقول : هذا بقضاء الله وقدره، وأنا قد تبت ورجعت إلى الله تعالى^(٢).

المبحث العاشر

مجمال أركان الإسلام

النص :

هذا وقد بنى الإسلام لادار على **حس دعائم فاحفظ إفا العماد**

(١) الفتاوى : ج ٣ ، ص ١٧٩ ، اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية ، ج ٢ ص ٨٤٨ - ٨٤٩ .

(٢) انظر الفتاوى : ج ٨ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ، شرح الواسطية : ج ٢ ، ص ٦٣٠ - ٦٣٥ .

المفردات :

دعائم : مفردها دعامة ، وهي عماد البيت الذي يقوم عليه ^(١).

العمد : عمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به ^(٢).

الشرح :

بعد أن تحدث الناظم في الآيات السابقة عن مرتبة الإيمان ، شرع هنا في الحديث عن مرتبة الإسلام .

الإسلام في اللغة: الانقياد والإذعان والخضوع ^(٣).

وفي الشرع : الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [٢: ١٩٠].

وقال رسول الله ﷺ : (إحدا أمله العبد فعصم إسلامه يحضر الله عنه حل صيلة فحان أرضها ، وفحان بعد ذلك القحاص العينة بعفر أمثالها إلى موعمة خضعه والصينة بمثلها إلا أن يتجاوز الله منها) ^(٤).

فالإسلام قائم على خمس دعائم لا يستقيم ولا يكمل إلا بها، والناظم هنا قد شبه الإسلام بالبناء، وشبه أركانه بدعائم البناء ، وهذا البناء لا يستقيم إلا بوجود هذه الدعائم وإن اختلت إحدى الدعائم أو بعضها اختل البناء ، أما إذا اختلت جميع الدعائم فإن البناء يسقط، وكذلك الأمر بالنسبة للإسلام ، إذا أقيمت دعائمه جميعا فإنه يصح ويكمل، وإن اختل بعضها اختل الإسلام باختلالها ، وإن اختلت جميعا انتفى الإسلام .

والناظم هنا يشير إلى قول الرسول ﷺ : (بني الإسلام على خمس . . . الحديث) ^(٥)

وقول الناظم (فاحفظ إنما العمدة) .

(١) انظر : لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق : ج ٣ ، ص ٣٠٤ .

(٣) انظر حاشية الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب ص ٤٦-٤٧ .

(٤) البخاري كتاب الإيمان باب حسن إسلام المرء ج ١ ، ص ٢٤ / ح ٤١ .

(٥) البخاري في الإيمان باب بني الإسلام على خمس ج ١ ، ص ١٢ حديث رقم "٨" مسلم في الإيمان باب أركان الإسلام

ص ٣٩-٤٠ ح ١٦ .

أي فحافظ على هذه الأركان وأداها كاملة كما أمرك الله بها ، فالإسلام قائم عليها ولا يكمل إلا بها جميعاً لأنها قوامه الذي يقوم عليه .

الشمس :

هي الشهادة فاعلم والصلاة مع الزكاة والصوم ثم الحج فاعملوا

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم في ذكر الدعائم والأركان التي يقوم عليها دين الإسلام وقدم الأهم فالأهم ، وهذه الدعائم تنقسم إلى قسمين : قولية وعملية . فالقولية الشهادتان ، والعملية الباقي . والعملية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

بدنية : وهي الصلاة والصوم . ومالية : وهي الزكاة . وبدنية مالية : وهي الحج . قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)^(١) .

وأول هذه الأركان الشهادتان :

وهما شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والشهادة هي : الاعتراف باللسان ، والاعتقاد بالقلب ، والتصديق بالجوارح .

ولهذا لما قال المنافقون للرسول ﷺ (نشهد أنك لرسول الله) كذبهم الله بقوله : ﴿ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٥]

فلم ينفعهم هذا الإقرار باللسان لأنه خال من الاعتقاد بالقلب ، وخال من التصديق بالعمل ، فلم ينفع ، لأن الشهادة لا تتحقق إلا بعقيدة في القلب واعتراف باللسان وتصديق بالعمل .

وكلمة (لا إله إلا الله) فيها نفى وإثبات .

نفى الألوهية عن كل ما سوى الله .

وإثبات الألوهية لله وحده لا شريك له .

فإنه لا معبود يستحق أن يعبد إلا الله .

(١) سبق تخريجه ص ٢٥٤ .

فنحن نحقق شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والبعد عن كل ما يناقض ذلك قولاً أو عملاً ، أو اعتقاداً .

ونحقق شهادة أن محمداً رسول الله ، بأن نعتقد بقلوبنا ، ونعترف بألسنتنا ، ونطبق ذلك في متابعتنا صلى الله عليه وسلم بممارساتنا ، والعمل بهديه صلى الله عليه وسلم .

فالدخول في الإسلام لا يكون إلا بهاتين الشهادتين ، والخروج منه لا يكون إلا بمناقضتها ، إما بمحور لما دللنا عليه ، وإما باستكبار عما استلزمناه ، ولهذا لم يدع رسول الله ﷺ إلى شيء قبلهما ، ولم يقبل الله ولا رسوله ﷺ شيئاً دونهما ، وبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب له ، وبالشهادة الثانية يعرف كيف يعبد وبأي طريقة يصل إليه .

وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده إذ هداهم إليها ، ولهذا ذكرها الله تعالى في سورة النحل التي هي سورة النعم ، فقدمها أولاً قبل كل نعمة قال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢٠] .

وهي أصل الدين وأساسه ، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها ، مكملات لها ومقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها .

وبالجملة فإن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام ، وهي كلمة التقوى وهي العروة الوثقى ، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [٢٠] .^(١)

المصلاة :

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام .

المصلاة لغة : الدعاء^(٢) .

(١) انظر المدنى المخلص ج١ ، ص ١٢٤-١٣٠ ، معارج القبول ج٢ ، ص ٤٠-٤١ ، القول للمفيد ج١ ، ص ٧٩-٨٣ .

(٢) انظر لسان العرب ج١٤ ص ٤٦٤ .

وشرعا : أقوال وأفعال مخصوصة مفتوحة بالتكبير ، ومختتمة بالتسليم ^(١).

قال تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة ٢٣٨).

وقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِرَأْسِ الصَّلَاةِ فَتُنْتَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (الحجرات ١٥).

وقال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس . . .) ^(٢). وذكر منها الصلاة وقال رسول الله ﷺ : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة وخروجه مناهجه البهاد في سبيل الله) ^(٣) وهي أحد أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وأفضل الأعمال بعدهما ، وهي أول ما يشترطه ﷺ بعد التوحيد، وهي ثانية أركان الإسلام ، في الفريضة، فرضها الله تعالى على رسوله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في السماء، على خلاف سائر الشرائع، فدل ذلك على تأكد وجوبها وقد فرضها الله تعالى خمسين صلاة، ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة . وهي مشتملة على جل أنواع العبادة ، من الاعتقاد بالقلب ، والإنقياد والإحلاص ، والمحبة والخشوع ، والخضوع والمشاهدة ، والمراقبة والإقبال على الله تعالى ، وإسلام الوجه له والصمود إليه ، والإطراح بين يديه ، وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن ، والتسبيح والتحميد ، والتهليل والتكبير ، والأدعية والتعوذ ، والإستغفار والإستغاثة ، والإفتقار إلى الله تعالى والثناء عليه ، والاعتذار من الذنب إليه ، والإقرار بالنعم له، وسائر أنواع الذكر .

وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام ، والاعتدال والحفص وغير ذلك هذا ما تضمنته من الشرائط والفضائل، منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية والمعنوية من الإشرار والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس، وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطي إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات ولهذا قال

(١) انظر : حاشية الخوض المربع: شرح زاد المستقنع : ج ١، ص ٤١٠-٤١١ .

(٢) سنن ترمذي ص ٢٥٤ .

(٣) رواه أحمد : ٥ ، ص ٢٣١-٢٣٧ ، والترمذي ج ٥ ، ص ١١-١٢ ، حديث رقم ٢٦١٢ في الإيمان ، وقال هنا حديث حسن صحيح، وابن ماجه : ج ٢ ، ص ١٣١٤ ، حديث رقم : ٣٩٧٣ في الفتن وصححه الألباني انظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٣٢٩ وصحيح سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٣٥٩ ح ٣٩٧٣

التي ﷺ (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ^(١).

ولا اشتغالها على معاني الإيمان سماها الله تعالى إيماناً ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ
إِيمَانَكُمْ ﴾ [النور ١٤٣].

حكم ترك الصلاة :

ترك الصلاة جحوداً وإنكاراً لها ، كفر وخروج من ملة الإسلام ، بإجماع المسلمين أما من
تركها مع إيمانه بها واعتقاده فرضيتها ، ولكنه تركها تكاسلاً أو تشاغلاً عنها فقد صرح
الأحاديث بكفره ووجوب قتله على اختلاف بين العلماء في ذلك ^(٢).

الزكاة :

هي الركن الثالث من أركان الإسلام .

الزكاة لغة : النماء والزيادة والتطهير ^(٣).

وشرعاً : حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة ، في وقت مخصوص ^(٤).

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ [البقرة ١١٠] . وقال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [البقرة ١٠٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء
الزكاة ، والنصح لكل مسلم ^(٥) . ولما للزكاة من مكانة عظيمة في الإسلام فقد قرنها الله تعالى
بالصلاة ، في اثنين وثمانين آية ، وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة رسوله وأجمعت الأمة على
فرضيتها.

وكانت فريضة الزكاة بمكة في أول أيام الإسلام مطلقة لم يحدد فيها المال وإنما ترك ذلك

(١) حاشية الروض المربع ج ١ ، ص ٤٩ ، انظر معارج القبول ج ٣ / ٦٢١-٦٢٨ .

(٢) معارج القبول : ج ٣ ص ٦٢٦ - ٦٢٨ ، انظر : فقه السنة : ج ١ ص ٨٣ .

(٣) انظر لسان العرب ج ١٤ ص ٣٥٨ .

(٤) انظر فقه السنة : ج ١ ص ٨٣ ، معارج القبول : ج ٣ ص ٦٢٩-٩٣١ .

(٥) البخاري : كتاب الزكاة باب البيعة على إيتاء الزكاة ج ٢ ص ٥٠٧ حديث رقم ١٣٣٦ .

لشعور المسلمين وكرمهم، وفي السنة الثانية من الهجرة - على المشهور - فرض مقدارها في كل نوع من أنواع المال ، وبينت بياناً مفصلاً.

ولأهمية الزكاة في الإسلام فقد حذر الله سبحانه وتعالى من منعها، وأعد العقوبة الشديدة لمن منعها . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبِضْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [النساء: ٣٥] . وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفنت له صفنتان من نار فأحمي عليها في نار جهنم ، فينخوي بها جنبه وجبينه وظهره . فلما برز حذفت له إحدىاه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار . . . الحديث)^(١).

حكم مانعها :

الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة واشتهرت شهرة جعلتها من ضروريات الدين، بحيث لو أنكر وجوبها أحد خرج عن الإسلام، وقتل كفراً إلا إذا كان حديث عهد بالإسلام، فإنه يعذر بجهله بأحكامه .

أما من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها ، فإنه يأثم بامتناعه دون أن يخرج ذلك عن الإسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهراً ويعزره ، ولو امتنع قوم عن أدائها مع اعتقادهم وجوبها وكانت لهم قوة ومنعة فإنهم يقاتلون عليها حتى يعطوها^(٢) .

(١) مسلم في الزكاة ، باب إم ماع الزكاة ص ٣٨٢ ح ٩٨٧ .

(٢) انظر حاشية الروض للمربع : ج ٣ ص ١٦٢-١٦٣ ، وص ٣٩٣ ٣٩٤ ، فقه السنة : ج ٢ ، ص ٢٩٢-٢٩٣ ، معارج

النور : ج ٣ ص ٦٣١ - ٦٣٧ .

الصيام :

هو الركن الرابع .

الصيام لغة : مجرد الإمساك^(١) .

وشرعا إمساك بنية عن أشياء مخصوصة ، في زمن معين من شخص معين .

وهو ركن من أركان الإسلام وفرض من فروضه ، دل عليه الكتاب والسنة . قال

تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]

وقال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس . . .) وذكر منها صيام رمضان . والصيام

وسيلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وترك الشهوات ، والزهد في الدنيا ، والترغيب فيما عند

الله ، ولما فيه من الرحمة والعطف على المساكين .

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد وجوبه ، أما من تركه عمدا مع الإقرار

بحوبه فإنه يقتل ما لم يتب^(٢) .

الحج :

هو الركن الخامس .

الحج لغة : القصد^(٣) .

وشرعا : قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص^(٤) .

وهو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام ، أجمع المسلمون على أنه ركن من أركان الإسلام وفرض

من فروضه . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [ال عمران: ٩٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (مثل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال ،

إيمان بالله ورسوله ، فهل ، ثم ماذا ؟ قال ، جهاد في سبيل الله ، فهل ، ثم ماذا ؟ قال ، حج

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٢) انظر حاشية الروض المربع : ج ٣ ص ٣٤٤-٣٤٦ ، فقه السنة : ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٣ .

(٣) لسان العرب ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٤) انظر حاشية الروض المربع ج ٣ ص ٤٥٨ .

يهود^(١) . ومن الحكم في فرضية الحج والله أعلم (ليشهدوا منافع لهم) سواء كانت منافع دنيوية أو أخروية ، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه وليس لحاجته تعالى إلى المحتاج كما يحتاج المخلوق إلى من يقصده ويعظمه ، فإن الله تعالى غني عن العالمين .

وقد أخرج الحج عن الصلاة والزكاة والصوم ، لأن الصلاة عماد الدين ، ولشدّة الحاجة إليها ، ولتكررها كل يوم خمس مرات . ولكونها أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، ثم الزكاة لكونها قرينة لها في أكثر المواضع من الكتاب والسنة، ولشمولها المكلف وغيره ، ثم الصوم لتكرره كل سنة .

والحج يتكرر كل عام إلا أن الفرق بينه وبين الصيام أن الحج يجب في العمر مرة واحدة ، أما الصيام فإنه يتكرر كل عام ، ويجب في كل عام لذلك قدم على الحج . ولا شك في أن من أنكر وجوب الحج فقد كفر^(٢) .

وقول الناظم "فاعتمدوا"

أي فالتزموا هذه الأركان ، وحافظوا عليها لأنها عماد الدين فإن ضيعتموها فلا إسلام لكم .

النــــص :

وضرورة الدين أعلاها الجهاد حمى لحقه ولأهل الكفر مضطهد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم أركان الإسلام الخمسة شرع هنا في ذكر الجهاد لما له من الأهمية العظيمة في دين الإسلام ، حيث عده بعض العلماء ركبا سادسا .

ولما كانت الصلاة والزكاة والصوم والحج ، تحتاج إلى طمأنينة وظهر يد لإقامتها والتصدي لمن غي عنها ، كان الجهاد لازما ، لذلك ذكره الناظم عقب هذه الأركان . الجهاد لغة : بذل الطاقة والوسع .

وشرعا : بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق . وهو

(١) البخاري كتاب الحج باب الحج المبرور ح ٢ ص ٥٥٣ ح ١٤٧ .

(٢) انظر حاشية الروض المربع : ج ٣ ص ٤٩٨-٥٠٠ ، فقه السنة : ج ١ ص ٥٤٩-٥٥١ .

فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين ، وقد فرضه الله تعالى في السنة الأولى من الهجرة .
والأدلة على فرضيته كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ﴾ [سج: ٢٩] .
وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِنَّمَا اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ ۝ ﴾ [هود: ٩٠] .

وقال رسول الله ﷺ : (امرهم أن يقاتل الناس حتى يعضدوا أن لا إله إلا الله ...
المعديته)^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : (واس الأمر الإسلام ، وبمحوه السلافة وحذوه مناهج الجهاد
ففي سبيل الله)^(٢) . فالجهاد ذروة سنام الإسلام ، وأرفع خصاله ، لأن فيه بذل المهج والنفوس
دفاعاً عن الدين ، وإقامة لشرائعه ، وقاتلاً لأهل الكفر ، وتصدياً لهم ليكون الأمر كله لله .
والجهاد هو الذي يفرق بين الإيمان الحقيقي والإيمان اللدعي ، فمن صدق إيمانه بذل مهجته
رماله لربه ، لعلمه أن في الجهاد خيري الدنيا والآخرة ، وفيه إحدى الحنينين ، إما النصر وإما
الشهادة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهَا أَجْنَةٌ يَقْتُلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ١٧٧] .^(٣)

المبحث الحادي عشر

جامع وصف الإحسان

النص :

هذا والإحسان في سر وفي علن
أن تعبد الله باستحضار رؤيته
أصل ومعناه عن غير السورى يرد
إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

(١) البعاري : في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعملوا سيئهم ج ١ ص ١٧-٢٥ . مسلم : في الإيمان باب
الأمر بقتال الكفار ص ٤٢ ح ٢٠ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٧ .

(٣) تظفر حاشية الروض المربع : ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٨ .

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي مرتبة الإحسان. فيقول : إن الإحسان في السر والعلن أصل من أصول هذا الدين ومرتبة من مراتبه ، بل هو أعلى مراتب دين الإسلام وأعظمها خطراً ، ذلك أن أهلها المودون لها على وجه الكمال هم السابقون بالخيرات ، المستحقون أعلى الدرجات عند الله تعالى .

والإحسان في اللغة هو : إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه .

وفي الشرع : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ^(١).

قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النمل ١٢٨].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [النجم ٣٠]. فالإحسان أصل من أصول الدين ، ومرتبة من مراتبه ، بل هو أعلى مراتب الدين ، وقد ورد معناه عن خير الورى وهو سيدنا محمد ﷺ ، حيث فسر الإحسان تفسيراً جامعاً ، لا يستعييه أحد من المخلوقين ، وذلك لما أعطاه الله إياه من جوامع الكلم ، فقال ﷺ : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ^(٢).

وقول الناظم :

أن تعبد الله باستحضار رؤيته إياك ثم كمن إياه قــــد شهدوا

إشارة إلى هذا المعنى الذي ذكره الرسول ﷺ .

فالإحسان بهذا المعنى يكون على درجتين ، وللمحسنين في الإحسان مقامان متفاوتان :

المقام الأول :

وهو أعلاهما : وهو مقام المشاهدة ، بأن تعبد الله كأنك تراه ، وهو أن يعمل العبد على مقتضى

(١) انظر معارج القبول ج ٢ ص ٦١١ .

(٢) سبق تفريجه ص ٨٩.

مشاهدته لله عز وجل بقلبه، فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربته منه وإقباله عليه، وأنه بين يديه كأنه يراه، أوجب له ذلك الخشية والخوف، والهبة، والتعظيم فعبد الله حق عبادته.

المقام الثاني :

مقام الإخلاص : وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله له، وإطلاعه عليه وقربه منه وذلك بمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى، وإرادته بالمعمل، فيكون بذلك مخلصاً لله تعالى .

وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة للمقام الأول، ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً للأول، فقال: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

والناظم قد ذكر مقام الإخلاص أولاً، ثم ذكر مقام المشاهدة، ذلك أن مقام المشاهدة لا يتحقق إلا بعد تحقق مقام الإخلاص، فإذا استحضر العبد في عبادته لله تعالى رؤية الله تعالى له وقربه منه، وإطلاعه على سره، سهل عليه بعد ذلك الانتقال إلى مقام المشاهدة فعبد الله كأنه يراه بقلبه وهذا أعلى وأعظم مقام للإحسان^(١).

(١) نظر أعلام السنة المنشورة : ص ١٤٦ ، معارج القبول . ح ٣ ص ٩٩٨-١٠٠٣ ، حاشية الأصول الثلاثة ص ٦٤-٦٩ .

المبحث الثاني عشر

"باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها"

بعد أن تحدث الناظم رحمه الله في الأبواب السابقة عن أصول الدين الإسلامي "الإسلام والإيمان والإحسان" شرع في هذا الباب في الحديث عن نواقض هذا الدين، التي تخرج الإنسان من التوحيد إلى الكفر بالله تعالى، فأشار إلى أن الإنسان لا يخرج من الإيمان إلا إذا أنكر وحده ما دخل به فيه، ذلك أن الإنسان يدخل الإيمان بالإقرار والتصديق بالشهادتين، فإن صدر عنه ما ينافي هذا الإقرار فقد خرج من الإيمان إلى الكفر.

ثم أشار بعد ذلك إلى أن المعاصي التي يرتكبها الإنسان لا تخرجه من الإيمان، إلا إذا استحلها. ثم أشار إلى أقسام الكفر الاعتقادي المخرج عن الله ثم أشار إلى الشرك الأصغر الغير مخرج عن الملة وذكر بيان أنواعه، وكفارته، ومتى يصبح هذا الشرك شركاً كما سيأتي بيان ذلك من خلال الشرح.

النــــــــــــــــص :

وليس يخرج من الإسلام داخله إلا بإنكار ما فيه به يرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الإنسان لا يخرج من دين الإسلام إلا إذا أنكر أمراً من الأمور التي جاء بها الإسلام ، ويقصد بذلك الأمور المعلومه من دين الإسلام بالضرورة لأنه عند ذلك يكون مكذباً للرسول ﷺ ، وللقرآن الكريم ، وهذا في حد ذاته كفر بالكتاب والسنة والإجماع .

قال الإمام الطحاوي :

"ولا يخرج العبد من الإيمان ، إلا بمحذور ما أدخله فيه" . فإله تعالى قد جعل للإيمان والإسلام مدخلاً وباباً يدخل منه وهو الإقرار والتصديق بالشهادتين ، فمن دخل في الإسلام من هذا الباب فإنه لا يخرج منه إلا إذا صدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد ينافي هذا الإقرار وهذا التصديق.

والناظم بهذا البيت يشير إلى نواقض الإسلام ، وهي كثيرة متعددة ، قد أوجملها شيخ

عمد ﷺ .

ويقصد الناظم بالمعاصي كبائر الذنوب التي ليست بشرك ، وقد اختلف العلماء في تعريف الكبيرة، إلا أن أجمع تعريف لها هو (أنها كل معصية ترتب عليها حد في الدنيا ، أو وعيد في الآخرة أو ترتب عليها لعنة أو غضب أو نفي إيمان)^(١).

قال الإمام الطحاوي :

(ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه)^(٢).

وقال الإمام النووي :

(وأعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق، من السلف والخلف، أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال، . . . إلى أن قال : وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده الله سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل في المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل)^(٣).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في عصاة الموحدين من أهل الكبائر ، فإنهم يفسقون مرتكب الكبيرة، وهو عندهم كسائر المؤمنين لا يخرج من الإيمان بمعصيته، وحكمه في الدنيا أنه لا يسلب ، اسم الإيمان بالكلية ، بل يقال عنه أنه مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن عاص ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، والحق أنه ليس بكافر عندهم كما هو مذهب الخوارج، ولا في منزلة بسين المنزلتين كما هو مذهب المعتزلة . وأما حكمه في الآخرة فهو تحت مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه وغفر له وأدخله الجنة برحمته وفضله ، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، بعدله وحكمته ثم أدخله الجنة ، والحق أنه لا يخلد في النار حلقا لمذهب المعتزلة والخوارج الذين يحكمون عليه بالخلود في النار^(٤).

(١) انظر شرح الطحاوية : ص ٥٢٥ ، لواع الأنوار البهية : ج ١ ، ص ٣٦٥ .

(٢) انظر شرح الطحاوية : ص ٤٣٢ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ج ١ ، ص ٣٣١ .

(٤) انظر لواع الأنوار البهية : ج ١ ، ص ٣٦٤ ، شرح الطحاوية : ص ٤٣٢ ، معارج القول : ح ٣ / ١٠٣٩ - ١٠٤٠ .

النص :

والكفر إن كان عن جهل الكفور فكـ ذيب ككفر قريش حينما مردوا

الشرح :

بعد أن أشار الناظم إلى نواقض الإسلام وذكر أن أهل المعاصي لا يكفرون إلا باستحلالهم لها : شرع هنا في ذكر أنواع الكفر الاعتقادي المخرج من الملة ، ذلك أن الكفر ينقسم إلى قسمين : كفر اعتقادي منافي لقول القلب وعمله ، ولأحدهما وهو مخرج من الملة .

كفر عملي ، لا ينافي قول القلب ولا عمله ، ولا يستلزم ذلك وهو كفر أصغر ينافي كمال الإيمان ، ولا ينافي مطلقه ، وسوف يأتي الحديث عنه .

وأما أنواع الكفر الاعتقادي فقد أشار الناظم في هذا البيت إلى النوع الأول منها وهو : (كفر الجهل والتكذيب) وهو ما كان ظاهرا وباطنا ، كغالب كفار قريش ، ومن قبلهم من الأمم ، الذين تكبروا وتحبروا عن قبول الحق ، وذلك لجهلهم وسفاهة عقولهم .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْحَقِّ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٠: ٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [١٩: ٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [١٨: ٩٨] .

النص :

أو كان عن علمه فهو الجحود ككفر سار اليهود الأولى بالمصطفى جحدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الثاني من أنواع الكفر ، وهو كفر الجحود . وهو ما كان بكنمان الحق وعدم الإنقياد له ظاهرا ، مع معرفته والعلم به باطنا ، ككفر فرعون وملأه بعبث عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [الزلزال : ١٤].
وككفر اليهود بمحمد ﷺ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة : ٨٩].
وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ قَرَّبْنَا بَيْنَهُمْ لَيُكْتَمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦].
النص :

أو بالإباء مع الإقرار فهو عدا د كالرجيم إذ الأملأك قد سجدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الثالث من أنواع الكفر وهو كفر (العناد والاستكبار) وهو ما كان بعدم الإنقياد للحق مع الإقرار به، ككفر إبليس عندما رفض السجود لسيدنا آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥].

النص :

أو أبطن الكفر بالإسلام مسرّاً فهو التفاف فهذي أربع ترد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الرابع من أنواع الكفر وهو "كفر النفاق" وهو ما كان بعدم تصديق القلب وعمله ، مع الإنقياد ظاهراً رياء الناس ، ككفر ابن سلول وحزبه الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَا لَيْتُمْرَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٨٠-٩٠].

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [البقرة : ١٣].

وقول الناظم : "فهذي أربع ترد" ؟ إشارة إلى أنواع الكفر الأربعة ، التي ذكرها ، فهي ترد وتقع

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى القسم الثاني من أقسام الشرك وهو الشرك الأصغر^(١). فيقول إن من أنواع الشرك الأصغر الرياء الذي يصدر عن بعض الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله، إلا أن بعض أعمالهم قد يخالطه الرياء .

تعريف الرياء لغة : رأيت الرجل مراعاة ورياء، أي أريته أنني على خلاف ما أنا عليه .

وهو مصدر من رأي يرائي مراعاة عمل عملاً ليراه الناس^(٢).

الرياء شرعاً : ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه^(٣).

قال الحافظ بن حجر : وهو مشتق من الرؤية ، والمراد به إظهار العادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها^(٤) ويدخل في الرياء من عمل العمل ليسمعه الناس ، ويقال له مسمع .

قال رسول الله ﷺ : (من سمع سمع الله به ، ومن يراني يراني الله به)^(٥).

والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك الحديث بما عمله . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۖ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

والرياء خلق ذميم وهو من صفات المنافقين .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ﴾ [النساء: ١١٢] .

والرياء من الشرك الأصغر ، وهو وإن لم يكن مخرجاً من الملة، إلا أنه منقصة لثواب العمل، وورعاً أحبط العمل بالكلية إن زاد وغلب.

(١) أما القسم الأول وهو الشرك الأكبر فقد سبق ذكره، والفرق بينهما أن الأكبر مخرج من الملة، والأصغر غير مخرج من الملة ولكنه يقص ثواب العمل، وقد يحبط إن غلب وورد.

(٢) انظر لسد العرب : ج ٤ ، ص ٢٩٦ ، والقول المعيد، ص ٢٧٦ .

(٣) انظر التعريفات للخرجاني : ص ١١٣ .

(٤) انظر فتح الباري : ج ١١ ، ص ٣٣٦ .

(٥) البخاري في الرقاق باب الرياء والسمعة ح/٥ - ٢٣٨٣ - ٢٣٨٤ ، ح ٦١٣٤ ، مسلم في الزهد : باب تحريم الرياء ص

١٩٩٦ ح ١٩٨٧ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال (قال الله تعالى إذا أنقضى الشركاء من الشرك، من يعمل عملاً آخره معي فيه يخبرني تركته وخرجه) (١).

وقول الناظم : كمن يصلي لربي ثم زينها . . . الخ
إشارة إلى قول الرسول ﷺ (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم منكم من المصعب الجمال قالوا بلى ، قال، الشرك الحفي ، يقو الرجل فيصلي ويرين حلاته لما يرى من نظر رجل إليه) (٢)

فالشرك الأصغر قسمان :

- شرك جلي - شرك خفي :

فالجلي : ما كان بالقول مثل : الحلف بغير الله ، أو قول ما شاء الله وشئت ، أو بالفعل مثل الانحناء لغير الله تعظيماً.

والخفي : ما كان في القلب مثل الرياء ، لأنه لا يبين ولا يعلمه إلا الله ، لأنه يعلم السر وأخفى. والعبادة ، في كون صلاة هذا المصلي شرك مع أنه يصلي لله تعالى ، أنه حسن هذه الصلاة وأتم ركوعها وسجودها واطمأن فيها ليراه هذا الرجل، فيمدحه بلسانه أو يعظمه بقلبه وهذا شرك.

(حكم العبادة إذا خالطها الرياء).

(١) أن يكون الباعث على العبادة مراعاة الناس ولم يقصد وجه الله ، فهذا شرك والعبادة حاطة وذلك كحال المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتَى يَرَوْنَ النَّاسَ وَلَا يُذَكِّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سجدة: ١٤٢].

فهذا هو الرياء الخفى وهو لا يكاد يصدر من مؤمن بالله وباليوم الآخر، في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصلوة الواجبة أو الحج، أو غيرهما من الأعمال الظاهرة ، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم في أنه حابط وأن صاحبه يستحق العقوبة من الله تعالى.

(٢) أن يكون أصل العمل لله وشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فعمله باطل مردود عليه كما

(١) مسلم في الزهد باب تحريم الرياء ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥ .

(٢) مسند أحمد ج ٣ ، ص ٣٠ ، وابن ماجه في الزهد ، باب الرياء والسمعة ج ٢ حديث رقم ١٤٠٦ قال في الروايد إسناده حسن ، وأخرجه الحاكم في المستدرج ج ٤ ص ٣٢٩ وصححه .

قال تعالى في الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيри تركته وشركه).

وإن شارك الرياء العبادة في أثنائها، بمعنى أن أصلها كان لله ثم طرأ عليه الرياء، فإن كانت العبادة لا بين أولها على آخرها فأولها صحيح بكل حال والباطل آخرها.

مثال ذلك : رجل عنده ألف ريال أعدها للصدقة، فتصدق بنصفه مخلصاً لله وراعى في الباقي فالنصف الذي أخلص فيه لله يكون صحيحاً، والنصف الذي طرأ على نيته فيه الرياء فهو باطل مردود عليه.

وأما إذا كانت العبادة بين آخرها على أولها فهي على حالين :

١/ أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه بل يعرض عنه ويكرهه فإنه لا يؤثر عليه شيئاً، لقول النبي ﷺ (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تعلم)^(١).

مثال ذلك رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء فصار يدافعه فإن ذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته شيئاً.

٢/ أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه فعند ذلك تبطل جميع العبادة لأن آخرها بني على أولها مرتبط به. مثال ذلك رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء لإحساسه بشخص ينظر إليه فإن اطمأن لذلك ونظر إليه فتبطل صلاته كلها لارتباط بعضها ببعض.

٣/ ما يطرأ بعد الانتهاء من العبادة فإنه لا يؤثر عليها شيئاً إلا إذا كان فيه عنوان كالمن والأذى بالصدقة، فإن هذا العنوان يكون إثمه مقابلاً لأجر الصدقة فيبطلها.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]. هذه صورة الرياء التي تقع في العبادة، ونسأل الله أن يمجنا الوقوع فيها، وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم آمين.

الـــــــص :

كذلك الحلف بالمخلوق من وثن كذا الأمانة والأبناء والولد

(١) البخاري في الإيمان والنور : باب إذا حنت باسمها ، ص ١٢٧٢ حديث رقم ٦٦٦٤ ، ومسلم في الإيمان : باب تجاور الله عن حديث النفس ، ص ٧٦ / ح ١٢٧ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من أنواع الشرك الأصغر الحلف بغير الله ، كالحلف بالأوثان والأصنام "اللات والعزى" وكالحلف بالأمانة، والآباء والأولاد، فإن هذا الحلف شسرك أصغر ذلك أن الحلف لا يكون إلا بالله وحده.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه فقال (إلا إن الله ينهائهم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالماً فليحلف به والله أو ليسمتم) (١).

وعن بريرة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (ليس منا من حلف بالأمانة) (٢) والسر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فمن حلف بغير الله فقد عظم ذلك المحلوف به ، وصرف شيئاً من الأمور الخاصة بالله لغيره، مما يوقعه في الشرك بالله . والقسم بغير الله وإن كان شركاً أصغر إلا أنه يصبح أكبر إن اعتقد الخالف أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة. حكم ما ورد في القرآن من القسم بغير الله :

أما ما ورد في القرآن الكريم من القسم بغير الله كالشمس والقمر والليل والنهار . . . الخ ، فالجواب عن ذلك بما يأتي :

- ١/ إن فيه حذفاً ، والتقدير ورب الشمس والقمر ونحوه .
 - ٢/ أن هذا من فعل الله تعالى ، والله لا يسأل عما يفعل بل له أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته.
 - ٣/ أن القسم بهذه المحبوبات دليل على تعظيمها ورفع شأنها والتضمة لثناء على الله بما تقتضيه من الدلالة على عظيمته .
- أما عن فلا نقسم إلا بالله أو صفاته لأننا منهون عن الحلف بغير الله كما سبق وأن ذكرنا (٣) .

(١) البخاري في الإيمان والخوف ، باب لا تحلفوا بأبائكم ج ٦ ص ٢٤٤٩ ح ٦٢٧٠ مسلم في الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله ص ٦٧٥ ح ١٦٤٦ .

(٢) مسند أحمد ح ٥ ص ٣٥٢ وهو حديث صحيح كما ذكر ذلك الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١ ح ٣٢٥ .

(٣) انظر فتح الباري ج ١١ ص ٥٣١ - ٥٣٦ .

النص :

وبالشهادة فالسأهي يكفر كي يقر في القلب معناها ويرتصد

المفردات :

يرتصد : الراصد بالشيء الرقيب له (١).

والمراد أن يستقر ويثبت التوحيد في قلبه ويراقب فلا ينصرف عنه إلى غيره.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم أن من حلف بغير الله ناسياً ، فإن كفارة ذلك الحلف ، وذلك اليمين غير المتعمد هو الإقرار بشهادة التوحيد المنافية للشرك ليستقر ويثبت معناها في القلب ، ويرتصد أي يراقب ذلك المعنى فلا يحاد عنه إلى غيره ، ذلك أن من حلف بغير الله فقد ضاهى الكفار في حلفهم باللات والعزى ، فعليه أن يتدارك ذلك الحلف الذي أوقعه في مشاهة الكفار بالإقرار بشهادة التوحيد ، حتى لا يقع في الشرك بالله .

والناظم بهذا البيت يشير إلى حديث رسول الله ﷺ (من حلف فقال : باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) (٢).

ذلك أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، فإن كان معتقداً لتعظيمه فهو شرك أكبر ، وإن كان مما يجري على اللسان سهواً دون قصد التعظيم فهو شرك أصغر عليه أن يتوب منه بالإقرار بشهادة التوحيد (٣).

النص :

ولمحو لولا فلان كان كيت وما
وهكذا كل لفظ فيه تسوية
شاء الإله وشئت الكل متقصد
بالله جمل ولكسن ليس يعتقد

(١) انظر القاموس المحيط : ج ١ ص ٢٩٤ . لسان العرب : ج ٣ ص ١٧٧ .

(٢) البخاري كتاب الإيمان والنذور باب لا يحلف باللات والعزى وبالطوائع ج ٦ / ص ٤٥٠ ، / حديث ٦٢٧٤ .

(٣) انظر فتح المجد ص ٣٤٥ - ٣٥٠ ، القول للمفيد ص ٣٨٤ - ٤٠٢ ، معارج القبول ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، الدين الخالص ج ١

ص ٢٤ ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى بعض الألفاظ الشركية التي يقع فيها بعض الناس، وهي من الشرك الأصغر، وقد تصل إلى الأكبر.

ومن هذه الألفاظ : لولا فلان ، وما شاء الله وشئت.

وأي لفظ من الألفاظ التي فيها تسوية بين الخالق والمخلوق، مثل مالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومك ، وأنا متوكل على الله وعليك .

فهذه الألفاظ إن حرت على اللسان من غير قصد ولا اعتقاد للتسوية بين الخالق والمخلوق فهي شرك أصغر كما أشار الناظم إلى ذلك ، أما إذا اعتقد قائلها التسوية بين الخالق والمخلوق فهي شرك أكبر .

والدليل على ذلك ما ثبت عن الرسول ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال له ما شاء الله وشئت فقال : أ جعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده^(١).

(١) مسند أحمد ج ٥ ، ص ٢٢ ورواه السائي وصححه أنظر فتح المجد ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

والمسبب في نهي الرسول ﷺ هذا الرجل عن مثل هذا الكلام ، أن هذا الكلام فيه تسوية بين مشيئة الله ومشية الرسول ﷺ وهذا شرك ، ذلك أن مشيئة الله تعالى سابقة لمشيئة خلقه ومختلفة عنهم والتسوية بينهما من الشرك بالله تعالى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

النص :

ولانضاء التساوي جاز ثم مكافؤ الوائين نصاً وأهل العلم ما انتقلوا

الشرح :

في هذا البيت يشير النظام إلى البديل عن تلك الألفاظ حتى لا يقع قائلها في الشرك .

وذلك البديل هو استبدال حرف الواو بـ (ثم) .

فبدل أن نقول ما شاء الله وشئت ، ونقع في الشرك بالله ، نقول : (ما شاء الله ثم شئت) .

وهكذا سائر الألفاظ السابقة ، ذلك أن الواو تدل على التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه ، أما ثم فهي تدل على الترتيب والتعقيب ، فاستخدامها في مثل هذه العبارة (ما شاء الله ثم شئت) يدل على الترتيب بين مشيئة الخالق ومشية المخلوق .

فمشيئة الخالق متقدمة على مشيئة المخلوق .

والناظم بهذا البيت يشير إلى قول الرسول ﷺ (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) (١) .

فاستبدال الواو بـ "ثم" في مثل هذه الألفاظ ثابت بنص رسول الله ﷺ وبإجماع أهل العلم ، ذلك أنهم لم ينتقدوا على أحد تلفظه بمثل هذه الألفاظ ، لورود النص بها عن رسول الله ﷺ .

وهذا هو اللفظ الجائز ، وإن كان الأفضل منه أن تقول ما شاء الله وحده ، لأنه أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك .

والبصير العاقل يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال ، في مقام التوحيد والإخلاص .

(١) مسند أحمد ج ٥ ، ص ٣٨ ، وأبو داود ، حديث رقم ٤٩٨٠ ورواه النسائي وصححه أنظر فتح المجد ص ٣٥٢ .

وقد ورد النص بذلك عن رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس السابق الذكر^(١).

النص :

والكفر والظلم فاعلم والفسوق كذا الـ نفاق كل على نوعين قد يرد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم بعض أنواع الشرك الأصغر ، شرع هنا في بيان أن كلا من : الكفر والظلم والفسوق والنفاق ، ترد في الشرع على نوعين متغايرين ، وإن اتحد اللفظ فيهما والمعنى ، ذلك أن منهما ما يكون كفراً منافياً للإيمان بالكلية ، ومخرجاً من الملة ، ومنها ما يكون أصغر ، دون ذلك ومنافياً لكمال الإيمان ، ولكنه لا يخرج عن الملة.

النص :

للكفر بالله معلوم وسمى بالـ كفر القتال لذي الإسلام يعتمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن الكفر منه ما هو أكبر يخرج عن الملة ، وهو الكفر الاعتقادي الذي سبق وأن ذكرنا أنواعه ، ومنه ما هو كفر دون ذلك ، وهو الكفر العملي العبري يخرج عن الملة ، وهو كل معصية أطلق عليها الشارع إسم الكفر مع بقاء إسم الإيمان على من يفعمها.

ومن ذلك قتال المسلمين بعضهم لبعض ، كقول الرسول ﷺ (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٢).

وقوله ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)^(٣).

(١) انظر : فتح المجيد ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، القول المفيد ج ٢ ، ص ٤٠٨-٤٢١ ، معارج القبول ج ١ ، ص ٤٠٠-٤٠١ ،

فتح الباري ج ١١ : ص ٥٣٩-٥٤١ ، الدين الخالص ج ١ : ص ٢٢٤-٢٢٥ وج ٢ ، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) البخاري كتاب الفس باب لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج ٦ ، ص ٢٥٩٢-٢٥٩٣ / حديث رقم

٦٦٦٦ وسلم في الإيمان باب لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج ١ ، ص ٥٧-٥٨ ، حديث رقم

٦٥ .

(٣) البخاري في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ج ١ ، ص ٢٦-٢٧ ، حديث رقم ٤٨ وفي الفس باب لا ترجعوا

بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج ٦ / ص ٢٥٩٢ ، وسلم في الإيمان باب قول الرسول ﷺ سباب المسلم

فسوق وقتاله كفر ص ٥٧ ، حديث ٦٤ .

فقد أطلق النبي ﷺ على قتال المسلمين بعضهم لبعض الكفر، وسمى من يفعل ذلك كافراً مع أن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [المحرات ٩٠-١٠٠] .

فقد أثبت الله تعالى لهم الإيمان وأخوة الإيمان ولم ينهها عنهم ، فدل ذلك على أن هذا الكفر العملي دون ذلك الكفر الاعتقادي المخرج من الملة .

الـمـصـص :

والظلم للشرك وصف ثم أطلق في نظام الخلق منه الغش والحسد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الظلم ما هو شرك مخرج من الملة، من ذلك ظلم الإنسان لنفسه بالشرك بالله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يس ١٠٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [هـ ١٣] .

ومن النوع الثاني ما يقع في الطلاق من العدوان ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُحْسِبُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوهُنَّ بِمَا يَفْعَلَنَّ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَنَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة ٢٣٦] .

ذلك أن الرجل كان يطلق زوجته فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضارراً لكي لا تذهب إلى غيره ثم يطلقها مرة أخرى، فتعتد ، فإذا شارفت على انتهاء العدة طلقها مرة أخرى لتطول عليها العدة، فنهاهم الله تعالى عن ذلك وتوعدهم عليه فقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة ٢٣٦] .

فهو هنا قد ظلم نفسه بمخالفته لأمر الله، لا بوقوعه في الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله فدل ذلك على أن الظلم نوعان : ظلم دون ظلم^(١) .

ومن أنواع الظلم الأصغر أيضاً ما يقع بين الناس من الغش والحسد ، في تعاملهم مع بعضهم البعض ، فإن هذا أيضاً يعتبر ظلماً، ذلك أن الإنسان يظلم نفسه بوقوعه فيما حرمه الله عليه ،

(١) تفسير ابن كثير ج ١ / ص ٢٨٨ .

ولا شك أن هذا الظلم دون الظلم الأكبر الذي هو للشرك بالله تعالى .

النص :

والفسق في وصف إبليس اللعين أي وقاذف ما عن الإسلام يصعد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الفسوق ما هو أكبر مخرج من الملة، ومنه ما هو أصغر دون ذلك.

فمثال الفسوق الأكبر حال المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بأفهم فاسقون، قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ١٥].

ذلك أنهم فسقوا فسوقاً أكبر ، وهو الكفر المخرج من الملة، لأنهم لم يقبلوا الإيمان ، ولم يؤمنوا بالله تعالى ، بل أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وذلك فسوق أكبر استحقوا به الخروج من ملة الإسلام. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [البقره: ٢٠] . ذلك أن إبليس وقع بإبائه واستكباره عن الإيمان في الكفر الأكبر المخرج من الملة فاستحق أن يصفه الله بالفسوق وهو الفسوق الأكبر المخرج من الملة .

أما الفسوق الأصغر فمثاله القذف الذي لا يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام وإنما يوقعه في الفسوق الأصغر. قال تعالى في القذف : ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ١٤] . فوصفهم الله تعالى بالفسوق نتيجة لوقوعهم في القذف الذي حرمه الله ، فاستحقوا بذلك ما وصفهم الله به من الفسوق، ولكن هذا الفسوق دون ذلك الفسوق الأكبر السابق الذكر، فدل ذلك على أن الفسوق نوعان فسوق دون فسوق .

النص :

كلذا النفاق أي في الكفر أقبحه وجاء في وصف ذي خلف لما يعبد

أو خاصصوا فجروا أو علمدوا غمدوا والحاتنين ومن إن حدثوا فعدوا

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى أن من النفاق ما هو أكبر مخرج عن الملة ، ومنه ما هو أصغر دون ذلك .

فمن النفاق الأكبر المخرج عن الملة حال المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بأنهم في الدرك الأسفل من النار ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [النساء: ١٠٠].

فهؤلاء المنافقون أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فاستحقوا بذلك الوقوع في الشرك الأكبر المخرج من الملة .

ومثال الفسوق الأصغر ما ذكره رسول الله ﷺ من صفات المنافقين ، ذلك أنهم إذا وعدوا أحلفوا ، وإذا حدثوا كذبوا ، وإذا ائتمنوا خانوا الأمانة وأفسدوا الأسرار ، وإذا خاصموا فحروا .

فهذه الصفات من أتصف بواحدة منها فقد اتصف بصفة من صفات النفاق ، ومن اتصف بها جميعاً كان منافقاً خالصاً ، إلا أن هذا النفاق تفاق أصغر دون ذلك النفاق الأكبر المخرج من الملة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان) (١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعيها ، إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) (٢) .

هذه الصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ هي التي ذكرها الناظم مثلاً للنفاق الأصغر المعرّج من الملة (٣) .

(١) البعاري كتاب الإيمان باب علامة المنافقين ج ١ ص ٢١ / ح ٣٣ ، ومسلم كتاب الإيمان باب حصال المنافق ص ٥٦ ح ٥٩ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة عند البعاري ، ح ٣٤ ، ومسلم ص ٥٥-٥٦ كتاب الإيمان باب حصال المنافق ص ٥٨ ح ٥٨ .

(٣) انظر فيما سبق أعلام السنة المشورة ص ١٤٨-١٥٣ ، ومعارف القول ح ٣ / ص ١٠١٩ - ١٠٢٠ .

المبحث الرابع عشر

(باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي)

سبق وأن بينا حكم عصاة الموحدين من أهل الكيثار ، وبيننا أنهم لا يسلبون الإيمان على الإطلاق ، ولا يعطونه على الإطلاق ، وإنما هم مؤمنون بعصاه أو مؤمنون ناقصوا الإيمان أو فساق بكبيرهم ، مؤمنون بآلئهم وأنهم لا يخذلون في النار مهما عظمت ذنوبهم خلافاً للخوارج والمعتزلة كما سبق وأن بينا .

وفي الآيات التالية بين الناظم معنى النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي .

النص :

وحيث ما نفى الإيمان في أثر	عن عصى من التوحيد قد عقدوا
فالمسحل أو المقصود فارقه	إيمانه حالة العصيان يصطعد
أو المراد به نفي الكمال وعن	تفسيرها بعض أهل العلم قد قصدوا
تكون أزهب أما أن تكفره	فقد ردنا على القرآن إذ نجد
أن أثبت الله للجاني الأخوة والإ	يمان ما قال فيه كافر وعدو

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم إلى معنى النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي من أهل التوحيد ، ومن هذه النصوص قال الرسول ﷺ (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)^(١) .

فما معنى نفي الإيمان عن كل من الزاني والسارق وشارب الخمر الوارد في هذا الحديث هل هو من باب نفي الإيمان بالكلية ؟ أم ماذا ؟ ذلك ما يوضحه لنا الناظم حيث يقول إن نفي الإيمان عن هؤلاء العصاة في مثل هذا الحديث يكون بحسب ما يعتقد هذه المعاصي .

فإن كان هذا الزاني أو الشارب أو السارق ، مستحلاً لهذه المعاصي ، فهو كافر كفاً أكبر محرراً من الملة ، وفي هذه الحالة يبقى عنه مطلق الإيمان بالكلية بل إنه يكفر وإن لم يفعلها مادام قصد

(١) لبحاري كتاب الأشربة ج ٥ ، ص ٢١٢٠ ، حديث ٥٢٥٦ .

استحلها.

أما إذا كان غير مستحل لها فإنه عند ذلك لا يخرج عن التوحيد وبذلك لا ينمي عنه الإيمان بالكلية وإنما يكون نفي الإيمان الوارد بالنص وما شابهه له معيان :

(١) أن يكون معنى ذلك أن الإيمان فارق حال ارتكابه تلك المعاصي ثم يعود إليه بعد ذلك .

(٢) أو أن يكون المراد بذلك نفي كمال الإيمان لا نفي مطلقه، ثم يقول الناظم إن أهل العلم قد ذهبوا إلى هذين المعنيين.

وإن تفسير هذه النصوص بهذا المعنى أفضل وأعظم من أن تكفر هؤلاء العصاة كما فعل الخوارج لأننا إن كفرناهم فإننا عند ذلك نرد على القرآن الكريم ونغالطه، والعباد بالله.

ذلك إننا نجد في القرآن الكريم أن الله تعالى قد أثبت للحياة من أهل التوحيد والإيمان أحرة الإيمان ولم يقل عنهم أنهم كمار أو أعداء لنا.

كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الممت ٩-١٠].

وقال تعالى في آية القصاص :

﴿ فَمَنْ عَفِيَ غَمِيٌّ لَهُ مِنْ أَحِبِّهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالسَّمْعِ وَالْأَذْنِ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ﴾ [النور ١٧٨]

ففي هاتين الآيتين أثبت الله تعالى للقاتل الإيمان وأخوة الإيمان ولم ينفها عنه مع أن الرسول ﷺ يقول (مبادئ المعلم فصول وفتاواه) ^(١) ويقول أيضاً (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ^(٢)

فقد عد الرسول ﷺ القاتل كافراً ، إلا أن هذا الكفر كفر أصغر دون ذلك الكفر الاعتقادي المخرج من الملة ، لذلك أثبت الله تعالى للقاتل الإيمان وأخوة الإيمان ، ولم ينفها عنه أو يعتبره عدواً للمسلمين فدل ذلك على أنه كفر أصغر لا يخرج من الإيمان إذ لو كان أكبر لما أثبت الله له الإيمان وأخوة الإيمان.

(١) سبق ترجمته ص ٢٧٨ .

(٢) سبق ترجمته ص ٢٧٨ .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت وإن زنى ، وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق ، ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة رغم أنف أبي ذر)^(١).

فهذا الحديث يدل على أن حديث (لا يزني الزاني . . . الخ) لا ينفي عن السارق والزاني والشارب مطلق الإيمان بالكلية مع التوحيد، لأنه لو أراد ذلك لم يخبر بأن من مات على التوحيد دخل الجنة وإن فعل تلك المعاصي .

وإنما أراد بذلك نقص إيمانه ونفي كماله، أو مفارقه له حال اقترافه لتلك المعاصي ، ولم يرد تكفيره ونفي مطلق الإيمان عنه .

قال الإمام النووي رحمه الله بعد أن ذكر حديث "لا يزني الزاني" هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

ثم ذكر بعض الأقوال في معنى نفي الإيمان الوارد في هذا الحديث ومنها :

(١) أن معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به الله أولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال: زان، وسارق ، وفاجر ، وفاسق .

(٢) أن معناه ينزع منه نور الإيمان .

(٣) أن معناه ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى .

(٤) ثم ذكر أن من العلماء من قال أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاءت ولا يحاض في معناها^(٢).

(١) لبحاري في السلس باب الثياب البيض ج ٥ ص ٢١٩٣ حديث ٥٤٨٩ ، ومسلم في الإيمان من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ص ٦٤ ، حديث ٩٤ .

(٢) نظر مسلم شرح النووي ج ١ ص ٤٠١ تصرف

انظر فيما سبق أعلام السنة المشورة ص ١٤٩-١٥١ فتح الباري ج ١٢ ص ٥٩-٦٠ انكشاف الخلية لمعدن الواسطية ص ٦٧٢ - ٦٧٤ .

المبحث الخامس عشر

(باب التوبة وشروطها)

النص :

وتقبل التوبة اعلم قبل حشجة الـ صدور من كل ذنب ناله أحد
شروطها يا أخي الإللاع مع ندم ولا يعود له بل عنه يتعمد
وإن يكن فيه حق لآدمي فتحلـ بل حيث أمكن ويعرض له القود

المفردات :

القود : القصاص^(١).

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم إلى ما يكفر جميع الذنوب سواء كانت شركاً أكبر أو أصغر، وسواء كانت كائناً أو صفائراً، ألا هو التوبة النصوح.

تعريف التوبة :

لغة : أصل التوبة لغة الرجوع^(٢).

وشرعاً : الرجوع عن الذنب^(٣).

قال الإمام السفاريني :

فهو الرجوع عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه ، ويعزم على أن لا يعود إليه ، ويرضى الآدمي عن ظلامته إن تعلقت^(٤).

وقد أمر الله تعالى بالتوبة النصوح من سائر الذنوب ، ودعا إليها جميع عباده.

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَرْفَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

(١) لسان العرب ج ٣ ، ص ٣٧٢ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٣ .

(٣) انظر شرح النووي لمسلم ج ١٧ ، ص ٦٥-٦٦ .

(٤) لومع الأمور البهية ج ١ ص ٣٧١ .

أَلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَجْزِلَ لَكُمْ جَنَّتَ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المع: ٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (الله أخذ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فإنه علقته عنه وألقىها في ماء، وجاءت فجرة فأسجدت لها، فأصبح في ظلها قد أس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ يطعمها مما في ظهره، قال من هذه الفرج: اللهم أنت عبد عبيدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرج) (١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) (٢).

وقد أشار الناظم بقوله (قبل حشرجة الصدور) إلى شرط زمان قبول التوبة، في حق كل فرد من العباد، وهو أن تكون هذه التوبة قبل حشرجة الروح في الصدر ساعة الاحتضار وهو ما يعرف بالعرقة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ آلْسَاءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَوْبُوا مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٤﴾ وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ آلْسَاءَاتٍ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلْسَاءَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ كَفَارًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٤-٥٥]

أما بالنسبة لشرط زمان قبول التوبة في حق عمر الدنيا فقد سبق وأن ذكرنا أنها تنقضي بطلوع الشمس من مغربها.

ثم أشار الناظم بعد ذلك إلى شروط كيفية التوبة وهي كالتالي:

(١) البخاري باب التوبة ح ٢٣٢٤ - ٢٣٢٥ حديث رقم ٤٩٤٩، ومسلم في التوبة باب احص على التوبة ص ١٠٩٩ ح ٢٧٤٧.

(٢) مسلم في التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ص ١١٠٤ حديث ٢٧٥٩.

(١) الإقلاع عن الذنب

(٢) الندم على ما فات .

(٣) العزم على أن لا يعود فيه .

هذا إذا لم يكن في الذنب الذي يريد الإنسان التوبة منه حق لآدمي ، فإن كان فيه حق لآدمي فهناك شرط رابع وأشار إليه الناظم أيضاً وهو :

(٤) التحلل من صاحب ذلك الحق إن أمكنه ذلك ، لقول رسول الله ﷺ (من حانته بمنحه مظلمة لأخيه فليبتغله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم) ^(١).

وقول الناظم (وليعرض له القود)

أي وليعرض عليه أخذ القصاص منه في الدنيا قبل الآخرة ^(٢).

(١) البحاري في المظالم : باب من كانت له مظلمة عبد الرجل ح ٢ / ص ٨٦٥ / ح ٢٣١٧ وفي الرقائق : باب القصاص يوم

القيامة ج ٥ / ٢٣٩٤ / ح ٦١٦٨ .

(٢) انظر : لوامع الأبوار البهية : ح ١ ، ص ٣٧١-٣٧٤ : ح ٣ ، ص ١٠٤٠ - ١٠٤٧ ، أعلام السنة ، ص ١٦٥-١٦٧

القول المفيد : ح ٢ ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

المبحث السادس عشر

(حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء بالأنواء والعين)

النص :

والسحر حق وقوعاً باطل عملاً
ولمنه حرز ومنه النفث والعقد
وحكمه الكفر في نص الكتاب أئسى
وحد فاعله بالليف يختص

المفردات :

الحرز: الموضع الحصين ، ويقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازاً إذا حفظته وضمته إليك،
وصته عن الأخذ^(١).

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم رحمه الله إلى عمل من الأعمال التي يفعلها بعض الناس وهي
من الكفر بالله تعالى ، ومن هذه الأعمال السحر .

تعريف السحر في اللغة :

هو عمل تقرب فيه إلى الشيطان ، ومعونة منه ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر^(٢).
أو هو كل ما خفي ولطف سببه.

السحر في الشرع :

ينقسم السحر في الشرع إلى قسمين :

القسم الأول : عقد ورقي أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما
يريد به ضرر المسحور.

القسم الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله وهو ما يسمى عندهم

(١) لسان العرب ج ٥ / ص ٣٣٣ .

(٢) المراجع السابق ج ٤ / ص ٣٤٨ .

بالصرف والعطف^(١).

أدلة وقوع السحر :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفْتَوَا سَاحَرُوا عُثَيْرَ النَّاسِ وَاسْتَرْمَوْهُمْ وَجَاءَ بِسِحْرِ عَجَبٍ ۖ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاجِدًا وَلَا يُمْلِكُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۖ ﴾ [الأنعام: ١١٧].

ثانياً : من السنة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (صعد رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني (زيق) يقال له لبيد بن الأعصم، قالته حتى لحان رسول الله ﷺ يذول إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله)^(٢).

وقول النازم رحمه الله (والسحر حق وقوعاً)

يريد به الإشارة إلى أن السحر موجود متحقق الوقوع، وأنه حقيقة لا خيال كما يزعم من أنكر حديث عائشة وزعم أنه يطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ .

قال الإمام النووي : (قال الإمام المازري رحمه الله مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطنة، لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له . . . الخ)^(٣).

١- قال الإمام ابن حجر رحمه الله لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أم لا ؟ من قال إنه تخيل فقط منع ذلك ومن قال إن له حقيقة اختلفا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج ويكون نوعاً من الأعراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجهاد حيواناً مثلاً وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الأول وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم

(١) انظر القول المفيد ج ٢ / ص ٥٠ ، والدين الخالص للسيد محمد صديق البخاري ج ٢ / ص ٢٣٠ .

(٢) مسلم في السلام باب السحر / ص ٩٠٠ ح ٢١٨٩ .

(٣) انظر شرح النووي لمسلم ج ١٤ / ص ٤٢٤ ، ومعارح القول ج ١ / ص ٤٤٤ .

وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل خلاف . . إلخ (١).

وقول الناظم رحمه الله : (باطل عملا) فيه إشارة إلى بطلان السحر ، وأنه من كبائر الذنوب ، وأنه كسر بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال الإمام النووي: (عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرا ومنه ما لا يكون كفرا بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستيب منه ولا يقتل وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزز) (٢).

مما سبق يتضح لنا أن السحر حقيقة واقعة وله تأثير فسه من يمرض ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ولكن تأثيره إنما بقضاء الله وقدره والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضراً وإنما يؤثر بقضاء الله وقدره وخلقته وتكوينه لأنه تعالى خالق الخير والشر والسحر من الشرور ولهذا قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وهو القضاء الكوني القدري فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعاً.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله (قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة وجمهير العلماء بعدهم رواية ودراسة فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذ به للأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها وأما قتل الأعيان كقتل الجملاد حيواناً وقتل الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحاناً وابتلاء وفتنة لعباده ، ولكن الذي أحمرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخيل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات ، فؤمن بالخير ونصدقه ولا نتعدها ولا نبذل قولاً غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا يعلم (٣).

(١) انظر فتح الباري ج ١٠ ص ٢٢٢ .

(٢) معارج القبول ج ١ ص ٤٢٢ .

(٣) معارج القبول ج ١ ص ٤٤٢ .

أنواعه الواردة في النص :

أشار الناظم بقوله (فمنه حرز ومنه النفث والعقد) إلى بعض أنواع السحر وهي :
 ١. الحرز : وهو عبارة عن كتابات وطلاسم غير مفهومة يعلقها الناس في صدورهم أو يحفظونها معهم أينما ذهبوا معتقدين أنها تذهب عنهم الشر وهو نوع من أنواع السحر وفيه تعلق بغير الله تعالى .

٢. النفث في العقد :

والنفث أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق والنفث شبيه بالنفخ وقيل هو التفل بعينه^(١).

والسحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط أي ربطوها ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد كل ما يريدون من السحر.

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [سجدة: ١٨].

وقول الناظم (وحكمه الكفر في نص الكتاب أي) فيه إشارة إلى أن السحر كفر بالله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقول الناظم (وحد فاعله بالسيف يختص) فيه إشارة إلى حد الساحر وهو القتل بالسيف وذلك جزاء لما ارتكبه من الكفر بالله تعالى .

حد الساحر:

قال الشيخ ابن عثيمين : (وأما قتل الساحر فإن كان سحره كفراً قُتل قتل ردة إلا أن يترب على القول بقبول توبته وهو الصحيح وإن كان سحره دون الكفر قُتل قتل الصائل أي قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض)^(٢) فحد الساحر إذن القتل سواء كان سحره كفراً أو ردة .

النص :

ثم الكهانة كفر والتطير والتنجس ————— يسم والنوء من فيه يعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن كلاً من الكهانة وهي : إدعاء علم الغيب

(١) انظر القول المفيد ج ٢ ص ٥٦ ، ٩٣-٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٥-١٣٩ والدين الخالص ج ٢ ص ٢٤١-٢٤٦ .

(٢) القول المفيد ج ٢ ص ١٦ وانظر معارج القبول ج ٢ ص ٤٤٩ والدين الخالص ج ٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٧ .

عن طريق الاتصال بالشياطين ، والتطير وهو : التشاؤم بمسوم أو مرئي أو معلوم ، والتنجيم وهو : تعلم علم النجوم ، واعتقاد تأثيرها ، وادعاء علم الغيب عن طريقها ، والنوء وهو واحد الأنواء ، وهي منازل القمر ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، كل منزلة لها نجم تنور مدار السنة ، وقد كان العرب يتفاعلون ببعض هذه النجوم ويتشائمون ببعضها الآخر .

فكل هذه الأمور كفر بالله تعالى ، إذا ادعى الإنسان علم الغيب بها ، أو اعتقد أن تأثيرها بدون إرادة الله تعالى ^(١) .

والتمايم عبارة عن شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين ، فهذه التمايم فيها نوع من الشرك والتعلق بغير الله شرك .

والتولة شيء يضعونه يزعمون أنه يحب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته وهي أيضا شرك . قال رسول الله ﷺ (إن الرقيي والتمايم والقولة هرك) ^(٢) .

فدل هذا الحديث على تحريم سائر التعاليم من غير الكتاب والسنة ، أما ما كان من الكتاب والسنة فقد اختلف فيه العلماء كما سبق وأن ذكرنا .

قال الشيخ ابن عثيمين : (إذا كان المعلق من القرآن والأدعية المباحة ، والأذكار السوارة ، فهذه المسألة اختلف فيها السلف رحمهم الله ، فمنهم من رخص في ذلك لعموم قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

ولم يذكر الوسيلة التي يتوصل بها إلى الاستشفاء ، بهذا القرآن ، فدل على أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة ، كما لو كان القرآن دواء حسيا . ومنهم من منع ذلك وقال : لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء به ، لأن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة وهي القراءة به ، بمعنى أنك تقرأ على المريض به ، فلا تتجاوزها ، فلو جعلنا الاستشفاء بالقرآن على صفة لم تسرد فمعنى ذلك أننا فعلنا سببا غير مشروع .

ولولا الشعور النفسي بأن تعليق القرآن سبب للشفاء لكان انتفاء السبب على هذه الصورة أمرا ظاهرا ، فإن التعليق ليس له علاقة بالمرض ، بخلاف النفث على مكان الألم فإنه يتأثر بذلك .

(١) انظر القول المفيد ج ٢ ص ٥٦-٦٥ ، ٩٣-٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٥-١٣٩ والذبي الخالص ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤-١١٦ .

(٢) أحمد ح ١ ص ٣٨١ وأبو داود في الطب باب تعليق التمايم ج ٥ ص ٢١٢ وابن ماجه في الطب باب تعليق التمايم ج ٢ ص ١١٦٦ والحاكم في الرقي والتمايم ج ٤ ص ٤١٨ وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ووافقه النووي .

ولهذا نقول الأقرب أن يقال : (أنه لا ينبغي أن تعلق الآيات للإستشفاء بها ، لاسيما وأن هذا المعلق قد يفعل أشياء تنافي قدسية القرآن، كالفية مثلاً ودخول بيت الخلاء، وأيضاً إذا علق وشعر أن به شفاء استغنى به عن القراءة المشروعة) (١).

الـــــــمس :

والعين حق وبالقدور لورثها وليخلص عائل منها لمن يجد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن العين حق، ولها تأثير على الإنسان ولكن تأثيرها لا يكون بذاتها ، وإنما بتقدير الله تعالى ، ثم يوضح الناظم العلاج من العين وهو اغتسال العائن وغسل الإنسان الذي وقعت عليه العين بذلك الماء فإنه يبرأ بإذن الله . قال رسول الله ﷺ : (العين حق) (٢).

وقد ذكر النبي ﷺ علاج العين بغسل العائن واغتسال المريض بذلك الماء ومن ذلك: عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف (أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج وساروا معه نحو مساء حتى إذا كانوا بشعب الحرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف -وكان أبيض حسن الجسم والجلد- فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : ما رأيت كالיום ولا جلد محباه ، فلبط -أي صرع وزنا ومعنى- سهل فأتى رسول الله ﷺ فقال: هل تهيمون به من أحد ؟ قالوا عامر بن ربيعة، فدعا عامراً فتميط عليه ، فقال : علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ، ثم قال اغتسل له (٣) . الحديث) فدل هذا الحديث على أن اغتسال العائن لمن وقعت عليه العين أمر مشروع.

(١) انظر القول المفيد ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) رواه البحاري في كتاب الطب ج ٥ ص ٢١٦٧ ح ٥٤٠٨ .

(٣) مالك في الموطأ ج ٢ ص ٩٣٩ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٤٨٦ ورواه بن ماجة وصححه الألباني أنظر صحيح سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٦٥ .

المبحث السابع عشر (باب حكم الرقي والتعاليق)

النص :

ثم الرقي إن تكن بالوحي دون نص - عرف ولا صرف قلب ليس ينتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الرقي وهي القراءة على المريض حادثة ولا شيء فيها، ولكن بشروط ثلاثة وهي :

- ١ - أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .
- ٢ - أن تكون بالكلام العربي أو بما يعرف معناه .
- ٣ - أن يعتقد الإنسان أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما بتقدير الله لها^(١).

النص :

وللصحابة خلف في تعليق آيات الكتاب وورد للنبي يرد
والمنع أولى فأما ما عداه فلا خلاف في منعه إذ فيه مستند

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الصحابة اختلفوا في تعليق شيء من آيات القرآن الكريم ، أو ورد النبي ﷺ فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منعه ، ويقول بأن المنع هو الأولى.

أما ما عدا ذلك من الرقي الغير مفهومة والطلاسم والسحر فلا خلاف بينهم في منعه ، لورود الدليل على ذلك .

قال رسول الله ﷺ : (إن الرقي والتعاضد والتولع شرك)^(٢).

والمراد بالرقي : الرقي غير المشروعة من الكلام الغير مفهوم والطلاسم، فهي التي توقع في الشرك.

(١) القول المفيد ج ٢ ص ٦ ، انظر معارج القول ج ٢ / ١٤٩ والدين الخالص ج ٢ ص ٢٣٥-٢٣٧ .

(٢) سبق تحريجه ص ٢٩٢ .

المبحث الثامن عشر (باب الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم)

النص :

تم الخلافة من بعد النبي هو الـ صديق أسعد من بالمصطفى سعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(١) وقد ثبتت خلافة أبي بكر الصديق بالنص حيث أن الرسول ﷺ أمره أن يصلي بالناس في مرضه الذي مات منه وتولى أمر الصلاة بالناس من شئون الخلافة. ويقول أسعد من سعد بصحبة النبي ﷺ وذلك أنه أول من أسلم من الرجال، وناصر الرسول ﷺ وآزره في دعوته ، وكان رفيق دربه في الهجرة وأحب الناس إليه من الرجال. وفضائل أبي بكر رضي الله عنه كثيرة لا تحصى ، وقد قال الله تعالى عنه : ﴿ثَانِيِ الْاَنبِيَاءِ اِيْمَانًا بِالْغَايَةِ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ اُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى : ﴿وَسَيَجْنِبُهَا الْاَنتَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَمَ ۝ اِلَّا اَتَيْنَاهُا وَجْهَ رَبِّهِ الْاَعْلَى ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝﴾ [البقرة: ١٧-٢١].

وعن أنس رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قلته للنبي ﷺ وأنا في الغار، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لحسبنا فقال ما ظنك يا أبا بكر بأثنين الله

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مرة التميمي أبو بكر بن أبي قحافة ، ولد بعد الفيل بستين وأربعة أشهر ، وكان من رؤساء قريش في الجاهلية ، وله أمر الديارات ، فلما جاء الإسلام كان أول من أسلم من الرجال وهاجر مع رسول الله ﷺ وشهد معه بدرًا وللمخاض كلها وكان من أعلم الناس وأزهد الناس وأتقاهم لله حاكم في سبيل الله بنفسه وماله، وتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ إجماعاً ، وتولى رضي الله عنه بعد الرسول ﷺ بستين في المدينة ، سنة ثلاث عشر لسمع لو ثمان لبال يقين من جهاد الأمرة ، وعمره ثلاث وستون سنة ، وفق مع رسول الله ﷺ . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٥-٢٢١ والإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٣٤٤-٣٤١ .

قائمه) (١) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا في زمن النبي ﷺ لا تعدل بأبي بكر أحدا ، ثم عمر ، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم) (٢).

وقول الرسول ﷺ (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) (٣) الحديث والأدلة على فضله رضي الله عنه وأرضاه أكثر من أن تحصى في هذا المقام ، وقد ثبتت خلافته رضي الله عنه بالإجماع ، ومن الأدلة على ذلك أن الرسول ﷺ عند مرضه أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : مرض النبي ﷺ فاتخذ مرضه فقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت عائشة إنه رجل رقيق . إذا قام مقامك لو يحتج أن يصلي بالناس . قال (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فعادته . فقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس . فإنكم حواجبه يومئذ) (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليهما حلوا فنزعت منهما ما شاء الله ثم أخذنا ابن أبي قحافة فنزج عنهما جنوباً أو جنوبين وهي نزعة ضعفه والله يغفر له ضعفه ثم استألفته فخرنا فأخذنا ابن الخطاب فقلناه أر محمدياً عن الناس ينزج منكم حتى خرب الناس بعطن) (٥).

وقد كانت مدة خلافته رضي الله عنه وأرضاه قصيرة لم تتجاوز العامين ولكنه استطاع خلالها أن يوطد أركان الدولة الإسلامية ويقضي على المرتدين . وقد أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه . وطلب من الصحابة إمضاءها حيث اختار لهم من يعلم فيه الصلاح والكفاءة للخلافة فأمضوا وصيته رضي الله عنهم أجمعين .

-
- (١) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين والأنصار ج ٣ ص ١٣٣٧ ح ٣٤٥٣ .
 (٢) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عثمان رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٢ ح ٣٤٩٤ .
 (٣) البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ج ٣ ص ١٣٤٠ ح ٣٤٦٤ ومسلم في الفضائل باب فضائل أبي بكر الصديق ص ٩٧١ ح ٢٣٨٢ .
 (٤) البخاري في الجملة والإمامة باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ج ١ ص ٢٤٠ ح ٦٤٦ ومسلم في الصلاة باب استحلاف الإمام إذا عرض له عمر من مرض وسفر وعمرهما من يصلي بالناس ص ١٧٩ ح ٤١٨ .
 (٥) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين والأنصار ج ٣ ص ٣٤٥٣ ومسلم في الفضائل باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٩٧٤ ح ٢٣٩٢ .

النص :

وبعده عمر الفاروق ذاك أبو حفص له العبد والأعوان قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين بعد أبي بكر هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(١).

وقد ذكر الناظم في هذا البيت لقبه الفاروق ، وكنيته أبو حفص، ووضح أن الكل قد شهدوا له بالفضل سواء كانوا من أعدائه أو من أنصاره ، وذلك لما له من عظيم الفضل والمكانة عند الله وعند الناس.

فضله :

إن فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر من أن تحصى حيث أعز الله به الإسلام ونصر به الأمة ، وقد ذكر رسول الله ﷺ له كثيراً من الفضائل ومن ذلك :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : (بينما أنا بانه هروبة - يعني- اللين حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو في أطافري ثم ناولت عمر فقالوا يا رسول الله فما أولته ؟ قال : (العلم) ^(٢)).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (بينما أنا بانه رأيته الناس يحرضوا علي وعلى من معه فمضوا ما يبلغ التحدي. ومنها ما يبلغ حدون ذلك).

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العري بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين ، ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وكان عدو بني الرسول ﷺ شديداً على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرحاً لهم من بعد الضيق، شهد مع رسول الله ﷺ بدرأ وغيرها من المشاهد ، وتولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولقب بأمر المؤمنين، تولى شهيداً في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، قتله أبو لؤلؤة الهومي وجمعه أملاك ثلاث وستون سنة، ودفن مع صاحبه رضي الله عنه وأرضاه ، انظر أسد الغابة ج ٣ / ص ٦٤٢ - ٦٧٨ ، والإصابة ج ٢ ص ٥١٨.

(٢) البحاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٤٦ ح ٣٤٧٨ وسلم في الفضائل باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٩٧٤ ح ٢٣٩١ .

ومرض علي بن عمر بن الخطاب وعليه قميص اجتره . قالوا فما أولته يا رسول الله قال :
الدين^(١) .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على فضله رضي الله عنه وأرضاه .

خلافته :

تولى الخلافة رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ذلك أن أبا بكر كان
قد أوصى بالخلافة من بعده له ، لما يعلمه من فضله وقوته في الحق ، وقدرته على تولي هذا الأمر .

افتتح الله على يده البلاد ، وانتشر الإسلام في كثير من البلدان ، كالأشام ومصر والعراق وبلاد
فارس وغيرها . وقد كانت خلافته عزاً للإسلام والمسلمين . واستمرت خلافته عشر سنين وستة
أشهر ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الراجح ، وقد أوصى بأمر الاستخلاف إلى ستة
ليختاروا واحداً منهم وهم : عثمان ، وعلي ، والزبير ، وطلحة ، وسعد وعبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنهم جميعاً . وقد تمت البيعة من بعده لعثمان بن عفان رضي الله عنه .

الخصائص :

كذلك عثمان^(٢) ذو النورين ثالثهم بظلمه باء أهل البقي إذ قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن خليفة المؤمنين الثالث هو عثمان بن عفان

(١) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٤٩ ح ١٣٥٠ .

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، أمير المؤمنين وله بعد الفيل بأربع سنين على
الصحيح . كان من السابقين للإسلام وزوجه النبي ﷺ ابنة ربيعة ولما ماتت زوجته أم كئوس ، فلقب بني
النورين روى كثير من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وكان شديد الحياء والحلم تابع عنه الرسول ﷺ في بيعة
الرضوان ، شهد له بالجنة على ما يرى نصبه ، وقد جمع القرآن ، مات شهيداً سنة خمس وثلاثين على الصحيح للشهور ،
وكانت خلافته اثني عشر سنة إلا اثني عشر يوماً . انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٤٧٩-٤٩٢ ، والإصابة ج ٢ ص ٤٦٢ -
٤٦٣ .

رضي الله عنه . الذي مات شهيداً عندما قتل أهل البقي والضلال مقتلوه ظمأً وعدواناً . وقد ثبت خلافته بالإجماع .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه، فدخل عثمان فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تمش ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تمش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوى ثيابك، فقال ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟^(١) .

ومن ذلك أيضاً أن الرسول ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال :
يما رسول الله ﷺ في حائط من حوائط المدينة . . . الحديث ، وفيه ثم استفتح رجل آخر فجلس النبي ﷺ فقال : افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان ففتحت وبشرته بالجنة وقلت الذي قال، فقال اللهم صبرا أو الله المستعان^(٢) .

النــــــــــــــــص :

كذا علي أبو السبطين رابعهم بالخلق معتضد للكفر مضطهد

الشرح :

في هذا البيت يشتم الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين الرابع هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣) وكنيته أبو السبطين، وهما إبنه الحسن والحسين رضي الله عنهما ويصفه رضي

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عثمان رضي الله عنه ص ٩٧٧ ح ٢٤٠١ .

(٢) رواه مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عثمان رضي الله عنه ص ٩٧٧ ح ٢٤٠٣ .

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي ولد قبل الهجرة بعشر سنين ، ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنة عاتكة ، هو أول الصبيان إسلاماً في قول كثير من العلماء ، هاجر إلى المدينة وشهد مع الرسول ﷺ بدرًا وأحداً والمشاهد كلها ، إلا نبوك فإن الرسول ﷺ حلفه في أمه ، أعطاه الرسول ﷺ اللواء في مواطن كثيرة ، وأخاه الرسول ﷺ مرتين ، كان من الصحابة المكثرين من رواية الحديث ، وهو رابع الخلفاء الراشدين ، مات شهيداً ، قتلته عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين للهجرة وعمره سبع وخمسون أو ثمان وخمسون وقد استمرت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين وتسعة أشهر ، رضي الله عنه وأرضاه . انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٥٨٨ - ٦٢٢ والإصابة ج ٢ ص ٧٠٥ - ٧١٠ .

الله عنه بأنه متمسك بالحق مضطهد للكفر مبتعد عنه.

ولعلي من الفضائل ما لا يحصى وهي موجودة في كتب السير والتاريخ ، ومن تلك الفضائل أن الرسول ﷺ جعله منه بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعده ، فمن بعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : خلفه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في منزلة تبوك . فقال : يا رسول الله تفضلني في النماء والسيان ؟ فقال (أما ترخي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى خير أنه لا نبي بعدي) (١).

وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه يحب الله ورسوله حيث قال : (لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ، أو قال يحب الله ورسوله ، يفتح الله عليه ، فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي ، فأعطاه الرسول ﷺ الراية ففتح الله عليه) (٢).

النص :

لهؤلاء بلا شك خلافتهم بمقتضى النص والإجماع منقاد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء الخلفاء الأربعة قد ثبتت خلافتهم بمقتضى النص والإجماع ، والنص الذي يشير إليه الناظم - رحمه الله - هو النص العام ، كقول النبي ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) . أما النص من الرسول ﷺ على خلافة أحد بعينه بعده مباشرة فلم تثبت ، والنصوص في خلافة أبي بكر رضي الله عنه إشارة إلى أنه هو الأولى ، وأما عمر فكانت الوصية من أبي بكر له ، وأمضاها الصحابة ، وعثمان كان من ضمن من أوصى لهم عمر بالخلافة واختاره الصحابة ، وعلي أيضا كانت خلافته في الفترة ، وهي داخلة في

(١) البحاري في فضائل الصحابة باب منقلب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ٣ ح ٣٥٠٣ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ص ١٧٩ ح ٢٤٠٢ .

(٢) البحاري في فضائل الصحابة باب منقلب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ح ٣٤٩٩ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص ٩٨٠ ح ٢٤٠٧ .

عموم قول الرسول ﷺ : (الخلافة بعدي ثلاثون عاما)^(١) فخلافة هؤلاء الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ثابتة بمقتضى نص الرسول ﷺ العام ، وباتفاق الصحابة رضي الله عنهم وإجماعهم .

والناظم بهذا البيت يرد على كل من تسول له نفسه بالتشكيك في أمر الخلافة ، أو أن أحد الخلفاء الراشدين أخذها دون استحقاق ، وفيه أيضا رد على الشيعة الذين يزعمون أن علي بن أبي طالب هو أولى الناس بالخلافة وأن الرسول ﷺ أوصى بها له ، كما اخترع ذلك عبد الله بن سبأ ، وما إلى ذلك من افتراءاتهم التي سبق وأن ذكرت .

النــــــــص :

وأهل بيت النبي والصحب قاطبة عنهم نذب وحسب القوم نعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في أهل بيت النبي وفي الصحابة جميعا ، وهو محبتهم والتقرب إلى الله بهذه المحبة ، والدفاع عنهم ضد كل من يتعدى عليهم أو يذكرهم بسوء وقد ذكر الله تعالى فضل أهل بيت النبي ﷺ في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَقْلَ الْيَتِيمِ وَيُطَهِّرَ صَفْوَةً تَطْهِيرًا ﴾ [المرباب: ٢٢] . وقال تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ أَشْهَدُ لَهُمْ ﴾ [المرباب: ٦] .

وقد أوصى الرسول ﷺ بأهل بيته خيرا فقال في حديث طويل (وأهل بيتي ، أطهرهم الله في أهل بيتي ، أطهرهم الله في أهل بيتي ، أطهرهم الله في أهل بيتي . . . الحديث)^(٢) .

(١) تخريج حديث الخلافة والحكم عليه: عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك قال سفينة أمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين رضي الله عنهم) أخرجه الترمذي وحسنه ج ٤ ص ٥٠٣ ح ٢٢٢٦ وأحمد في المسند ج ٥ ص ٢٢٠ وابن حبان في الصحيح ج ١٥ ص ٣٥ ح ٦٦٥٧ والطبراني في الكبير ج ١ ص ٥٥ ح ١٣ وابن أبي عاصم في السنة ج ٢ ص ٥٦٣ ح ١١٨١ وعلق الألباني عليه بقوله (حديث صحيح) (٢) البحاري في فضائل الصحابة باب مناقب علي رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ح ٣٤٩٩ ومسلم في المصنوع باب فستل علي رضي الله عنه ص ٩٨٠ ح ٢٤٠٨ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط مرحل^(١) من شعر أسود. فبأه العيص بن عيلي فأدخله . ثم جاء العيصين فدخل معه . ثم جاءت فاطمة فأدخلها . ثم جاء عيلي فأدخله ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٢).

^(١) مرط مرحل: الثوب المنقوش لسان العرب ج ١١ ص ٢٧٨.

^(٢) مسلم في المعامل باب فضائل أهل البيت ص ٩٨٦ ح ٢٤٢٥.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى مذهب أهل السنة والجماعة فيما وقسع بين الصحابة رضي الله عنهم من الفتنة بسبب مقتل عثمان رضي الله عنه واختلافهم في أخذ الثأر من قاتليه، فيقول إن المذهب الحق في هذه الفتنة هو التوقف والسكوت حيث أن كلا الفريقين يجتهد ، سواء كان علي وأنصاره، أو معاوية وأنصاره رضي الله عنهم أجمعين والمجتهد كما نعلم أنه إن أصاب فله أجران أجر إصابته وأجر اجتهداه وإن أخطأ فله أجر اجتهداه. وكلا الفريقين كان يجتهداً فله أجر سواء أصاب في اجتهداه أم أخطأ .

قال الإمام النووي : (وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ، ولم يخرج شيء من ذلك أحد منهم عن العدالة لأنهم يجتهدون يختلفون في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدعاء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم) . . . إلى أن قال : (وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم)^(١).

النصر :

والنصر أن أبا السبطين كان هو الغد ——— سبق من رد هذا قوله لنصر

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- في هذا البيت يتحدث عن الفتنة التي وقعت بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وقد بينا مذهب أهل السنة والجماعة في تلك الفتنة وهو السكوت عنها وأن الجميع مجتهدون، والناظم هنا مع تقريره لهذا المذهب فهو يبين أن الحق والنصر كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن رد هذا القول فكلامه كذب مفترى ، وكأنه بذلك يشير إلى حديث الرسول ﷺ (وبيع عمار تقتله الفئة الباغية . عمار يحموه إلى الله وهو يحمونه إلى النار)^(٢).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) البخاري في المجاهد باب سبغ الفبار عن الناس في سبيل الله ج ٣ ص ١٠٣٥ ح ٢٦٥٧ .

وذلك أن عماراً رضي الله عنه قتل أثناء قتاله مع علي رضي الله عنه وذلك في معركة صفين^(١).

قال الإمام بن حجر :

(وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتناع قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... الآية) ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية ، وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بقاءً ، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يلزم واحد من هؤلاء ، بل يقولون اجتهدوا فأخطئوا)^(٢).

النص :

بإلرافضة سحقا لناصره لبعاً لما رقه ضلوا وما رشدا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى بعض الفرق التي ضلت في شأن الخلافة ومحبة آل البيت والصحابة رضي الله عنهم.

فيذكر من هذه الفرق الرافضة وهي إحدى فرق الشيعة ، وقد ضلوا في شأن الخلافة حيث زعموا أن الخلافة من حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ورفضوا خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وزعموا أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه ولكن الصحابة حرفوا وصيته ﷺ - وحاشاهم أن يفعلوا ذلك - فهؤلاء الرافضة غالوا في علي رضي الله عنه لدرجة أن بعضهم أهوه ، كما غالوا في آل البيت وزعموا أنهم يتدينون بحبهم لهم ، وفي المقابل ناصبوا الصحابة العداء وخاصة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتعرضوا لهم بالسب والإيذاء رغم هي النبي ﷺ عن سب أحد من أصحابه^(٣).

(١) انظر الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

(٢) انظر فتح الباري ج ١٣ ص ٦٦ .

(٣) معرفة المزيد من افتراءات الرافض انظر : منهاج السنة النبوية وصب المناب على من سب الأصحاب لهمود شكري الأوسي ، والصواعق المحرقة على أهل الرض والضلال والزندقة لابن حمر الميمني .

ثم ذكر الناظم - رحمه الله - فرقة النواصب والمارقة وهما من فرق الخوارج^(١)، الذين خرجوا على علي رضي الله عنه عند قبوله التحكيم ، وناصبوه العناء حتى قتلوه.

وهم يعترفون بخلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولكنهم لا يعترفون بخلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما وناصبوهم العناء . والناظم رحمه الله في هذا البيت بين ما هم عليه من الهلاك والخسران نتيجة لانحرافهم عن المنهج الحق ، منهج أهل السنة والجماعة.

المبحث التاسع عشر

(باب وجوب طاعة أولي الأمر)

النــــــــــــــــص :

ثم الأئمة في المعروف طاعتهم مفروضة وف بالعهد الذي عقبلوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى وجوب طاعة أولي الأمر كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك حيث قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) النساء : ٥٩.

وقال ﷺ : (اسمعوا وأطيعوا ولو امتنعتم لم يلحقكم عيب مني) ^(٢) حان راسه (بهية)^(٣). وقد اختلف العلماء في تفسير أولي الأمر على أربعة أقوال :

- ١ - أقم الأمراء .
- ٢ - أقم العلماء .
- ٣ - أقم أصحاب النبي ﷺ .
- ٤ - أقم أبو بكر وعمر .

(١) انظر فرق معاصرة وموقف الإسلام منها لغالب بن علي عواحي ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) البيهقي في الجهاد والإمامة باب إمعة العبد والولي ج ١ ص ٢٤٦ ح ٦٦١ .

المسلمون على أئمة الجور أنت بنتائج عكسية، وقد عير عن هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من فساد إزالتها) (١).

والنهي عن الخروج على أئمة الجور أمر متفق عليه عند أهل السنة والجماعة ، قال شيخ الإسلام: والمشهور من مذهب أهل السنة ، أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتلهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفسادين بالترام أدناهما (٢).

الشرح :

أما إذا أظهروا الكفر البواح فقاموا تلوا أئمة كفر حيثما وجلوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه يجوز الخروج على الأئمة في حالة واحدة وهي حالة إظهارهم للكفر الصريح البين، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، والأدلة على ذلك كثيرة منها حديث عبادة بن الصامت السابق ذكره (٣).

والذي يأمرنا فيه الرسول ﷺ بعدم الخروج على الأئمة إلا إذا أظهروا الكفر الواضح البين. ومن المعروف أن أول الشروط المعتبرة في الإمام كونه مسلماً ، إذ لا يمكن أن تحقق أهداف الدين إلا على يد من يؤمن به ، فإذا كان الإمام كافراً كان الدين في أعظم خطر، فيجب على الأمة عند ذلك تغيير الإمام بالقوة ، وعلى هذا إجماع الأمة وفي هذا المعنى يقول الحافظ بن حجر: (إنه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك ، فمن قوى على ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم ، ومن عجز وجبت عليه المحرة من تلك الأرض (٤).

(١) انظر منهاج السنة ج ٢ ص ٣٩١ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصحة .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠٧ .

(٤) فتح الباري ج ١٣ ص ١٢٣ .

وقال أيضا في شرحه لحديث عبادة بن الصامت (وإذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا يجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث (١)).

المبحث العشرون

(باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

النص:

ثم النصيحة قل فرض بكل معا ليها هي الدين فاعلم إذ هي العمدة
لله والرسول والقـرآن ثم ولا ة الأمر ثم عموم المسلمين هـدوا

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى وجوب النصيحة ويقرر أنها من أعمدة الدين الإسلامي، وهي إنما تكون لله وللرسول وللقرآن ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما أخبر الرسول ﷺ بذلك، كما في حديث عيم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة) قلنا لمن؟ قال (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٢).

ومن النصيحة لله الإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفاته الكمال والجلال كلها، وتنزيهه عن جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبعض فيه، ومن النصيحة لكتابه الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته والتصديق بما فيه، والوقوف عند أحكامه، والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه، ومن النصيحة لرسوله تصديقه، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصبرته حيا وميتا، ومعاداة من عاداه، وموالة من ولاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء سنته، ونشرها والدفاع عنها، وتعلمها وتعليمها، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٧.

(٢) مسلم في الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ص ٥٤ ح ٥٥.

ومن النصيحة لأئمة المسلمين، معاوتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم وتنبههم به حق، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم، وتآلف قلوب الناس لطاعتهم، ونحو ذلك.

ومن النصيحة لعامة المسلمين وهم من عدا ولاية الأمر، فأرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، ومتر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ونحو ذلك.^(١)

(١) انظر: مسلم شرح النووي ج ١ ص ٣٩٦ - ٣٩٨.

النص :

والأمر بالمعروف مع علم به ولعقـــــو خذ وأعرض عن الجهال يتدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى ضرورة الأمر بالمعروف ، مع اشتراط العلم به وضرورة العفو والتسامح والإعراض عن الجهال والسفهاء ، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأمر ١٩٩] .

النص :

كذلك النهي عن نكر ومووده قسول ومخطا إذا لم تستطعه يد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى ضرورة النهي عن المنكر ، فإذا رأى الإنسان منكراً وجب عليه أن يغير ذلك المنكر بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أصعب الإيمان ، وهو بذلك يشير إلى قول الرسول ﷺ : (من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(١) .

المبحث الحادي والعشرون

(باب الشرع وأصول الفقه)

النص :

والشرع ما أذن الله العظيم به من الكتاب وآثار النبي ترد

الشرح :

بعد أن انتهى الناظم -رحمه الله- من سرد عقيدته مستنداً عليها من الكتاب والسنة أراد في هذا البيت وما بعده ختم كلامه بالحديث عن الشرع وبيان أحكامه ، والمناسبة بينهما -أي بين العقيدة والشرع- هي أن العقيدة الصحيحة هي الأصل الذي بدأ به الرسول ﷺ دعوته ، وهذا الأصل هو الذي تبنى عليه أحكام الشرع وذلك بعد صلاح القلوب ، فالأحكام لا يمكن أن تؤخذ

(١) سلم في الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ص ٥١ ح ٤٩ .

إلا بطريق شرعي، فكان الناظم رحمه الله يريد أن يقول هنا أن ما ذكرته آنفاً من عقائد هي التي تبنى عليها الأحكام الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة ، ثم يبدأ الناظم -رحمه الله- في سرد مقالته فيقول :

(والشرع ما أذن الله العظيم به . . .) أي أن الشرع هو ما أنزل الله تعالى وحده وأذن به للناس ليعبدوه به ، فليس هناك من يأذن بالدين غير الله تعالى، كما ليس لأحد غيره أن يأذن بالأحكام قليلاً كان أو كثيراً إذ التشريع من حق الله وحده ، قال تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف ١٠٠، ١٠١.

حتى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يلفون إلا ما أذن الله لهم به ، والأدلة القرآنية على ذلك كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سج ١٧٨].

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النحل ٦٤]. وهذا الشرع الذي أذن الله به لعباده - وهو أحكام الإسلام المختلفة- أتى لهم بطريقتين، الأولى طريق الإنلاغ لهم بكلام الله تعالى ، وهذا الكلام هو القرآن الكريم، أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ وأمره بتبليغه للناس والطريق الثاني هو السنة النبوية وذلك أن الله تعالى بعد أن أنزل كتابه على نبيه ﷺ أمره ببيان هذا الكتاب فقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل ١٤]. وبيان النبي ﷺ يكون في تقييد مطلقه وتفصيل مجمله وتخصيص عامه ونحو ذلك ولولا بيان النبي ﷺ للقرآن لما أدرك المكلفون بشرائع الإسلام كثيراً من أمور الدين كأداء الصلاة والحج والزكاة وسائر الأحكام التي وردت محملة في التنزيل .

ومن هنا يتضح لنا مراد الناظم -رحمه الله- من هذا البيت ، فهو يقرر أن الشرع هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعلى هذا الذي ذكره الناظم إجماع الأمة ^(١).

(١) انظر أصول الفقه للإمام محمد أبو رهرة ، ص ١٠١ .

النص :

فما روى العدل محفوظاً ومتصلاً عن مثله صح مرهوعاً به السند

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه ليس كل ما روي عن النبي ﷺ مقبولاً عند العلماء، إذ قد يكون الحديث مكنوباً على النبي صلى الله عليه وسلم بفعل الزنادقة والمبتدعة وأهل الأهواء، الذين يضعون الأحاديث ليروجوها بدعهم وضلالهم، أو قد يكون الحديث معلولاً لسوء حفظ الراوي أو لوجه، أو لاختلاطه إلى غير هذه الآفات التي تعترى الرواة، فلمعرفة سنة النبي ﷺ وتميز صحيحها من سقيمها لا بد من الوثوق والتثبت من صحة نسبة الحديث للنبي ﷺ بالشروط والضوابط التي قررها العلماء والمحدثون، وأهم هذه الضوابط هي التي ذكرها الناظم في هذا البيت، من عدالة الرواة واتصال السند حتى يصل بالحديث إلى النبي ﷺ من غير علة قادحة كما هو مقرر في علم أصول الحديث^(١).

النص :

والقول والفعل والتقرير حيث أتى عن الرسول فله التشريع يعتمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أقسام السنة الثلاثة وهي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، فالقول هو ما تكلم به النبي ﷺ من شيء أو بيان أو موعظة، كقوله ﷺ، (إنما الأعمال بالنيات)^(٢).

والفعل هو ما فعله النبي ﷺ وحفظه عنه أصحابه كصفة حجه وصلاته ومناجه وقيامه وغيره، والتقرير هو ما رآه النبي ﷺ وسكت عنه ولم يخبره فكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة (القول، والفعل، والتقرير) حجة في التشريع إذا صحت نسبتها للنبي ﷺ.

(١) انظر أنظر أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ص ٩٩، وتيسر مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص ٣٤-٣٥.

(٢) البخاري في بدء الوصي باب كيف كان بدء الوصي ج ١ ص ٣ ح ١. ومسلم في الإمارة باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ص ٧٩٢ ح ١٩٠٧.

النص :

إلا إذا جاء برهان يخصه بالمصطفى أو بشخص فيه ينفرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا ثبتت السة في أي قسم من هذه الأقسام الثلاثة فهي تشريع عام لجميع أفراد الأمة إلا أن يرد نص يخص هذه السنة للنبي ﷺ دون أمته أو لأحد بعينه من الصحابة دون بقية المسلمين، ومثال اختصاصه ﷺ بشيء دون أمته أنه جاز له أن ينكح أكثر من أربع وهو العدد الذي لا يجوز أن يزيد عليه المسلمون، ومثال اختصاص أحد من الصحابة بشيء دون بقية المسلمين ، ما رواه الرءاء بن عازب رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ في يوم نحر ، فقال : (لا يطعمن أحدكم حتى يحلبي ، قال ، فقاه خالي فقال : يا رسول الله هذا يوم الفجر فيه مفروء ، وإنني محجلة نصبي لأطعم أهل داربي أو جيرانبي . قال فأمعد ذبيحاً آخر قال يا رسول الله محدي عناق لبن وهي خير من شاتي لعم أفاذبيها ؟ قال نعم وهي خير نصيحتك ولا تجزي جطمة بعدك)^(١).

النص :

والأصل في الأمر فاعلم للوجوب فلا يصار للندب إذا صارف يرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا جاء أمر من الشارع سبحانه وتعالى فهو للوجوب ، لأن الأمر وضع أصلاً له ، ومثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] . فهذه الآية وأشباهاها تقتضي الوجوب ، فإذا جاء في الأمر قرينة واضحة تصرفه عن الوجوب إلى الندب صرفاه إليه كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ [النور: ١٠٢] .

(١) الرمذي في الأضاحي باب ما جاء في الذبح بعد الصلاة ح ١٥٠٨ ، وقال (هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم وأن لا يصحى بالمصر حتى يصلي الإمام).

وإن لم تكن هناك قرينة تصرف الأمر عن الوجوب بقي على الوجه الذي وضع له وليس قول الناظم - رحمه الله - فلا يصار للندب - حصر للوجوه التي ينصرف الأمر إليها ، إذ أن الوجوه التي تصرف إليها صيغة الأمر غير الوجوب والندب كثيرة منها ^(١) :
 الإرشاد للأوفى كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَأَ بِمَقْصُودٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .
 والإباحة كقوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنَّا أَمْسِكُنْ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .
 والإكرام كقوله تعالى : ﴿ أَدْخُلُوها بِسَلَامَةٍ أَمِينٍ ﴾ [الحجر: ٤٦] .
 والامتنان كقوله تعالى : ﴿ حَكَلُوا مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] .
 والإهانة كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ إِنَّكَ أَنْتَ الْفَرِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الاحزاب: ٤٩] .
 والتسوية كقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ [الطور: ١٧٠] .
 والتعجب كقوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم: ٣٨] .
 والتكوين وكمال القدرة كقوله تعالى : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] .
 والاحتقار كقوله تعالى : ﴿ أَلْفَوْا مَا أَنْشَأَ مِثْلُثْقُونِ ﴾ [يس: ٨٠] .
 والإخبار كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٨٧] .
 والتهديد كقوله تعالى : ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [نور: ٤٠] .
 والتعجيز كقوله تعالى : ﴿ فَاتَّبُوا بِرُورَةً مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] .
 والتسخير كقوله تعالى : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] .
 النقص :

والنهي للحظر إذ لا نص يصرفه إلى الكراهة هذا الحق يعتد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الحال مع النهي كالحال مع الأمر ، فإذا جاء نهي فهو للحظر والتحريم كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّئْيَ ﴾ [سورة: ٣٢] . فهذه الآية وأمثالها تقتضي التحريم ، فإن جاء في النهي قرينة واضحة تصرفه عن التحريم إلى الكراهة صرفاه كقوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا الصَّبِيحَ ﴾ [النساء: ٩] . وإن لم تكن هناك قرينة تصرف النهي عن الحظر بقي على الوجه الذي

(١) انظر الأحكام في أصول الأحكام للأمامي ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦١ .

وضع له، وليس قول الماظم - رحمه الله - (يصرفه إلى الكراهة) حصراً للوجوه التي ينصرف النهي إليها إذ أن الوجوه التي تصرف إليها صيغة النهي - غير الخطر والكراهة متعددة منها (١):

التحقيق كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُواْ غَيْبَكُمْ﴾ [١٣١: ٥] .

وبيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً﴾ [ابراهيم: ١٤٧] .

والياس كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَبِرُواْ آيَاتِى﴾ [النجم: ٧٠] .

والإرشاد كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [الاسراء: ١٠١] .

النص :

ومستوى الطرفين ادع المباح فلا يسلام في فعله أو تركه أحد

الشرح :

يتحدث الماظم - رحمه الله - عن ايجاب فيقول : (ومستوى الطرفين ادع المباح) والمباح هو: (ما حرم الشارع المكلف بين فعله وتركه ، ولا مدح ولا ذم على الفعل والترك) ويقال له الحلال (٢).

وتعرف الإباحة بأمور منها :

١- النص من الشارع بحل الشيء ، كقوله تعالى: ﴿آيَاتِى لَكُمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَخُذُواْ الْكِتَابَ حَلْ لَكُمْ وَطَعَانَكُمْ حَلْ لَكُمْ﴾ [الاسراء: ٥٠] .

٢- النص من الشارع على نفي الإثم أو الجناح أو الحرج، فمن الأول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ﴾ غير باع ولا عاد فلا إثم عليه [البقرة: ١٧٣] .

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ جُلْبَةٍ أَلَسْتُمْ أَوْ أَتَمَّنْتُمْ فَمَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] .

ومن الثالث قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْسُكُواْ مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨١] .

(١) نظر الإحكام ج ٢ ص ٢٠٨-٢١٦ والوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ .

٣- التعبير بصيغة الأمر مع وجود قرية صارفة عن الوجوب إلى الإباحة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُلَلْتُمْ فَاصْطَلُوا﴾ [سورة ٥]. أي إذا حللتكم من إحرام الحج فالصيد مباح لكم.

٤- استصحاب الإباحة الأصلية للأشياء ، بناء على أن الأصل فيها الإباحة^(١).

النــــــــــــــــص :

وما به ينتفي حكمه فمانعه وعكسه سبب يدريه بمجهد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى المانع والسبب فيقول أن المانع هو ما رتب الشارع على وجوده عدم وجود الحكم أو عدم السبب أي بطلانه (وهو بوعان) ١- مانع للحكم ٢- مانع للسبب .

وأما السبب فهو عكس المانع هو : (كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم، وعدمه علامة على عدمه) كالزنا لوجوب الحد، والجنون لوجوب الحجر، فإذا انتفى الزنا والجنون انتفى الحد، والحجر^(٢).

النــــــــــــــــص :

والشرط ما رتب الأجزاء وصحته عليه أو نقي حكم حين يفقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الشرط ، فيقول إن الشرط هو (الأمر الذي يتوقف عليه وجود الحكم ، ويلزم من عدمه عدم الحكم ، ولا يلزم من وجوده وجود الحكم)^(٣).

والفرق بين الشرط والسبب هو أن الشرط إذا وجد لا يستلزم وجوده وجود الحكم ، فلا يلزم من وجود الوضوء الذي هو شرط الصلاة وجوبها ، ولا يلزم من وجود الشاهدين وجود عقد النكاح ووجودهما شرط لصحته ، ولكن لا تصح الصلاة من غير وضوء ولا يصح النكاح من

(١) الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣ وأصول الفقه ٥٧ .

(٣) الوجيز في أصول الفقه ص ٥٥ وأصول الفقه ص ٥١-٥٤ .

غير شاهدين ، وأما السبب فإنه يلزم من وجوده وجود الحكم إلا إذا كان مانع ، فإذا كان وقت الصلاة فقد وجبت الصلاة ، وإذا كان رمضان فقد وجب الصوم^(١).

النص :

ونافذ وبه اعتد الصحيح كما نقضه باطل ليست له عمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى الصحة والبطان ، فأفعال المكلفين إذا وقعت مستوية أركانها وشروطها حكم الشارع بصحتها ، وإذا لم تقع على هذا الوجه حكم الشارع بعدم صحتها أي بطلانها.

ومعنى صحتها : أنها تترتب عليها آثارها الشرعية فإذا كانت من العبادات برئت ذمة المكلف منها كالصلاة المستوفية لأركانها وشروطها. وإذا كانت من المعاملات كعقود البيع والإجارة والنكاح تترتب على كل عقد الآثار المقررة له شرعا .

ومعنى بطلانها : عدم تترتب الآثار الشرعية عليها ، لأن الآثار الشرعية تترتب على ما استوفى الأركان التي طلبها الشارع ، فإن كانت هذه الأفعال من العبادات لم تترأ ذمة المكلف منها وإن كانت من العقود والتصرفات لم يترتب عليها ما يترتب على الصحة من آثار شرعية^(٢). وقصد الناظم من هذا البيت أن الصحيح ما كان نافذا ويعتد به شرعا ، والباطل عكسه ونقيضه وهو ما لا يكون نافذا ولا يعتد به شرعا.

النص :

ثم الوسيلة تعطى حكم غايتها فرضا وندبا وحظرا عنه يبعد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الوسائل حكمها حكم الغايات ، فما يتوصل به إلى الفرض فهو فرض وما يتوصل به إلى المنسوب فهو مندوب ، وما يتوصل به إلى المحظور فهو محظور ، فالغاية في الشريعة لا تمر الوسيلة ، بل تدور الوسيلة مع الغاية فرضا وندبا وحظرا ومثال الأول : إقامة العدل وهو فرض ووسيلته تعيين القضاة فهو فرض مثله ، ومثال

(١) أصول الفقه ص ٥٥ والرحيز في أصول الفقه ص ٥٩-٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ وأصول الفقه ص ٥٩-٦٢ .

الثاني : التصديق على الفقراء فهو مندوب ووسيلته السعي لذلك فهو مندوب مثله، ومثال الثالث : أكل أموال الناس بالباطل فهو حرام ووسيلته الغش مثلاً فهو حرام مثله.

النص :

والرخصة الإذن في أصل لمعذرة وضحا عزمة بالأصل تعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى كل من الرخصة والعزيمة ، فيقول إن الرخصة هي (الإذن في أصل لمعذرة) وهو ما يتفق مع تعريف الأصوليين لها وهو : (إن الرخصة اسم لما أباحه الشارع عند الضرورة تحقيقاً عن المكلفين، ودفعاً للحرَج عنهم) ومثال ذلك رخصة الإفطار في شهر رمضان للمسافر والمريض.

والعزيمة ضد ذلك وهي : (اسم لما طلبه الشارع أو أباحه على وجه العموم) فالعزيمة اسم لما هو أصل من الأحكام دون تعلق بالعوارض^(١).

النص :

والأصل أن نصوص الشرع محكمة إلا إذا جاء بنقل الأصل مستند

الشرح :

في الحديث يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الأصل في النصوص أنها محكمة فلا يجوز العدول عن هذا الكلام إلى النسخ إلا إذا ثبت النسخ بنص آخر ثابت من الكتاب أو السنة. والمحكم هو : (اللفظ الذي ظهرت دلالاته بنفسه على معناه، ظهوراً قوياً، ولا يقبل التأويل ولا النسخ) .

فهو لا يحتتمل التأويل لأن وضوح دلالاته بلغت حداً ينتفي معها أي احتمال للتأويل، وهو لا يقبل النسخ لأنه يدل على حكم أصلي لا يقبل بطبيعة التبديل والتغيير، أو يقبله بطبيعته ولكن اقترن به ما ينفي احتمال نسخة^(٢).

(١) الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ج ١ ص ١٧٦-١٩٧ والرجز ص ٤٠٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٦ .

النص :

وأي نص أتى مثل معارضه وأمكن الجمع فهو الحق معتمد

الشرح :

في هذا الحديث يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا كان هناك نصان متعارضان من حيث الظاهر فينبغي الجمع بينهما ما أمكن ذلك حتى لا نرد واحداً منها ذلك أن تصور الشريعة لا تتعارض في ذاتها، ومادامت سليمة في أصلها وفهمها ، وذلك لوحدة الشارع الذي قررها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومثال ذلك : الحديث الصحيح : (لا عدوى)^(١) وقد عارضه من حديث الظاهر أحاديث أخرى كقوله ﷺ (لا يورد ممرض على مصح)^(٢) وله أيضاً (فر من المخذوم كما تفر من الأسد)^(٣) والجمع بينهما ممكن إذ أن المراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبيعته نقياً لما كانت الجاهلية تعتقده من أن الأمراض تعدي بطبيعتها ، من غير إضافة إلى الله ، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المخذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي ، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أخرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها ، ففي هيئه إثبات للأسباب ، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل ، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً ، وإن شاء أبناها فأثرت .

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأقوال أخرى كثيرة^(٤).

(١) البخاري في الطب باب لا سفر ج ٥ ص ٢١٦١ ح ٥٣٨٧ ، ومسلم في السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صر ، ص ٩١٢-٩١٣ ح ٢٢٢٠ .

(٢) البخاري في الطب باب لا هامة ج ٥ ص ١١٧٧ ح ٥٤٣٧ .

(٣) البخاري في الطب باب المخذوم ج ٥ ص ٢١٥٨ - ٢١٥٩ ح ٥٣٨٠ .

(٤) اسطر فتح الباري ج ١٠ ص ١٥٨-١٦٣ .

النص :

وحيث لا ودریت الآخر أفض به نسخاً لحكم الذي من قبله يرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا لم يمكن الجمع بين النصين المتعارضين من حيث الظاهر ، وعلم النص المتأخر منهما ، كان النص المتقدم منهما منسوخاً بالنص المتأخر.

والنسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه ، ويسمى هذا الدليل بالناسخ ويسمى الحكم الأول بالمنسوخ.

وقد وقع النسخ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومن هذه المواضع نسخ التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة إلى التوجه إلى البيت الحرام وذلك بقوله تعالى : **وَقَدْ تَرَمَّيْنَا قُلُوبَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** [البقرة: ١٤٤].

النص :

أولا فرجیح می تابد قرائن سر جیح علیها احتوی متن أو السند

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إذا لم يتبين لنا النص المتقدم من النص المتأخر ، فعند ذلك لا مناص من ترجيح نص على آخر والترجيح إنما يكون بقرائن في المتن والسند يعرفها أهل العلم ، ومثال ذلك ما رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم^(١) وخالفه ما رواه مسلم حديث ميمونة رضي الله عنها أن الرسول تزوجها وهو حلال^(٢) فقد رأى العلماء تقدم حديث ميمونة وقالوا بأن المرء أدري بحاله من غيره.

النص :

والمطلق أحل على لمعوى مقبده وخص ما عم بالتخصيص إذا تجدد

(١) البخاري في الإحصار وجزء الصيد باب تزويج المحرم ج ٢ ص ٦٥٨ ح ١٧٤٠ .

(٢) مسلم في النكاح باب تحريم بكاح المحرم وكراهية مسطته ص ٥٥٦ ح ١٤١١ .

الشرح :

وفي هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن المطلق يجب حمله على المقيد. والمطلق هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه^(١).

والمقيد : هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه مع تقييده بوصف من الأوصاف^(٢).
وقد اتفق الفقهاء على أنه إذا اتحد الحكم والموضوع فإن المطلق يحمل على المقيد كما في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [نساء: ٣].

فإن الدم هنا ذكر مطبقا فيحمل هذا المطلق على المقيد في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (النساء: ١٥).

فإن الموضوع هنا هو الدم والحكم هو التحريم فيحمل المطلق هنا على المقيد هنا ويكون المحرم هو الدم المسفوح أما الكبد والطحال وهما غير مسفوح فإن التحريم لا يشملها^(٣).

(وخص ما عم بالتخصيص إذ تجددوا)

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا الشطر إلى أن العام يختص إذ وجد له مخصص .

والعام :

هو اللفظ الواحد الدال على مسميين فصاعدا مطبقا معا^(٤).

والخاص :

هو اللفظ الذي وضع لمعنى واحد على سبيل الإنفراد أي اللفظ الذي يدل على معنى واحد، سواء كان ذلك المعنى جنسا كحيوان ، أم نوعا كإنسان ، وكرجل ، أم كان شخصا كريد وإبراهيم، فمادام المسمى واحدا فهو الخاص^(٥).

(١) الإحكام في أصول الأحكام الآمدي ج ٣ ص ٥ .

(٢) الوجيز في أصول الفقه ص ٢٨٤ .

(٣) أصول الفقه ص ١٥١-١٥٢ ، الإحكام ج ٣ ص ٥-١٠ ، والوجيز ص ٢٨٨-٢٩١ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام الآمدي ج ٢ / ص ٢١٨ ، وأصول الفقه ص ١٤٠ .

(٥) الإحكام ج ٢ / ص ٢١٩ ، وأصول الفقه ص ١٤٠-١٤١ .

ومثال تخصيص العام قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ [البقرة: ٢٢١]

فهو عام في النهي عن نكاح جميع المشركات خصصه قوله تعالى :

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٠]

ولا شك أن الكتابيات من جملة المشركات لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٠].

النص :

والحظر قدم على داعي إباحته كذا على النفي فالإثبات معتضد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا تعارض أمر محظور وأمر مباح فإننا نقدم
المحظور على المباح .

فإذا جاء حديثان متعارضان أحدهما يحظر والثاني يبيح، فإننا نقدم الحظر على الإباحة من باب
الاحتياط، وكذلك الأمر عند تعارض النفي مع الإثبات، فإذا جاء نص ينفي وآخر يثبت قدمنا
المثبت على النافي احتياطاً.

النص :

كذا الصريح على المفهوم فالنص به وهكذا فاعتبر إن أنت متقن

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الحكم الذي دل عليه صريح النص أولى

بالتقدم من الحكم الذي دل عليه مفهوم النص .

النص :

وأي فرع أتت في الأصل عاتيه أو كان أولى بها فالحكم يطرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن كل حكم جاء معللاً بعله فهذا الحكم يطرد في كل ما وجد فيه تلك العلة ، مثل : الخمر ، فهي محرمة وعلتها الإسكار وعلى ذلك فكل ما أسكر حرام لوجود العلة ، والقاعدة الأصولية إن العلة تدور مع المعلول جوداً وعدم^(١).

النص :

ولا تقدم أقوال الرجال على نص الشريعة كالفالين إذ جعلوا

الشرح :

يختتم الناظم -رحمه الله- هنا منظومته ، ويرى أن يجعل آخرها وصية للقارئ ، فينصحه بعدم تقدم أقوال الرجال على النصوص الشرعية الثابتة ولا يفعل كما فعل المبتدعة الغالون ، وهذا الذي قاله الناظم -رحمه الله- قد وقع فيه كثير من أهل الأهواء والفرق الضالة ، فكم من نص صريح تخطوه إلى أقوال أئمتهم الضالين دون نظر أو تأمل ، ومن ذلك أن الله تعالى قد مدح أصحاب نبينا محمد ﷺ في محكم التنزيل فقال عنهم : ﴿شَحَّذْ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج ١٢٩] وقال عنهم أيضاً : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البقرة ١٠٠].

فجاء الرافضة وكفروا هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بمجرد أقوال جموعها من أسلافهم تدعي أن الصحابة خانوا وصية النبي ﷺ في أمامة علي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ مباشرة ، وغيروها لأبي بكر رضي الله عنهما فكفروا بذلك الصحابة فأبي ضلال أكبر من هذا حين قدموا أقوال أئمتهم المتهافنة على نصوص الكتاب الصريحة ؟؟.

وهذا الذي فعله المبتدعة في تقدم أقوالهم على النصوص الصريحة ليس قاصراً على فرقة دون فرقة ولا جماعة دون جماعة ، بل هو عام في جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام من رافضة وخوارج وجهمية ومعتزلة ومن سلك مسلكهم وإن لم يتسم بأسمائهم وغيرهم ، في القدم والحديث ، ولم

(١) أصول الفقه ص ٢٠٢-٢١٥ .

يسلم من هذا القلو إلا أهل السنة الذين أتبعوا ولم يتدعوا، وهم الذين بقوا على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة والعبادة والسلوك والتهج، كما أحرم عنهم النبي ﷺ وسأهم الفرقة الناجية.

الفصل :

ولا تقلد وكن في الحق متبعاً
إذ لأئمة بالتقليد ما أذنوا
ولكن بفهم القوم إن هم
إن اتباعك فللعلم هو الرشيد
لكن رد المورد العذب الذي وردوا
بصائرهم ما ينحل متعقد

النص :

إجماعهم حجة قطعاً وخلفهموا
لم يعد الحق فليعلمه مجتهد
إردد أقاويلهم نحو النصوص فما
يوافق النص فهو الحق معتضد
ما لم تجد فيه نصاً لستم الخلفوا
إذ هم بنص رسول الله قد رشدوا

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى حجة أقوال الصحابة ، فيقول إن إجماع الصحابة حجة قطعية ، أما إذا اختلف صحابيان فيرد قول كل منهما إلى نصوص القرآن والسنة ، فما كان موافقاً لهما فهو الحق ، فإن لم نجد نصاً في ذلك فملينا بسنة الخلفاء الراشدين لأن الرسول ﷺ أمرنا بذلك حيث قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الممضيين من بعدي تمسكوا بها وتمسكوا عليها بالنواصي) (١).

النص :

فالتابعون بإحسان فتابعهم
من الأئمة للحق المبين هدوا
كالسبعة الأنجم الزهر الذين يرى
إجماعهم مالك كالنص يعتمد
وابن المبارك والبصري هو الحسن ال
مرضئ حقاً وحماداً هموا حمدوا
كذلك مفيان مع مفيان ثم لقي الأ
وزاع فأعلم ومن أقرانهم عدد
ثم الأئمة نعمان ومالكهم
والشافعي أحمد في ديننا عمد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم -رحمه الله- الصحابة في الآيات السابقة شرع في هذه الآيات في ذكر التابعين وأتباعهم ، فيذكر منهم الأنجم الزهر يعني بهم فقهاء المدينة السبعة وهم :

(١) أبو داود في كتاب السنة ح ٤٦٠٧ - وابن ماجه في المقدمة ح ٤٢ وصححه الألباني أنظر صحيح سنن ابن ماجه ح ١ ص ١٣ ومشكاة المصابيح ج ١ ص ٥٨ ح ١٦٥.

سعيد بن المسيب^(١) وخارجة بن زيد^(٢) والقاسم بن محمد^(٣) وأبو بكر بن عبد الرحمن^(٤) وعروة بن الزبير^(٥) وعبيد الله بن عبد الله^(٦) وسليمان بن يسار^(٧) وهؤلاء السبعة يرى مالک إجماعهم حجة كالنصر. ويذكر الناطم -رحمه الله- أيضاً الإمام عبد الله بن المبارك^(٨)، والحسن البصري^(٩)،

(١) هو أبو محمد سعيد المسيب بن حزن القرشي المعزومي ، ولد في خلافة عمر وسمع عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وعائشة وكثيراً من الصحابة ، روى عنه خلق كثير ، توفي سنة أربع وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٢١٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥١ .

(٢) هو أبو زيد خارجة بن زيد الأنصاري ، تابعي حليل وفقه كبير ، لم يكن بالكثير في الحديث ، روى عن أبيه وعمه يزيد وأسامة بن زيد وغيرهم ، توفي سنة مائة من الهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥٨ .

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد في خلافة علي وتربى في حجر عمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وتفقّه منها وروى عنها ، قال مالك عنه : كان من فقهاء هذه الأمة ، توفي سنة سبع ومائة بقديد . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٥ / ص ٥٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٩٦ .

(٤) هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المعزومي ، من فقهاء التابعين ويقال له رهب فريش ، وكان صريحاً ولد في خلافة عمر رضي الله عنه ، وروى عن أبيه وعمر بن ياسر ، وعائشة ، وأبو هريرة رضي الله عنهم وغيرهم توفي سنة أربع وتسعين بالمدينة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤١٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥٩ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عروة بن الزبير بن العزم بن حويلد القرشي ، عالم المدينة وفقهها ، ولد سنة ثلاث وعشرين ، روى عن أمه أسماء وخالاته عائشة ، ومما تفقّه ، توفي سنة ثلاث وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤٢١ ، وحلية الأولياء ج ٢ / ص ١٦٧ .

(٦) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الغفلي المدني ، مفتي المدينة وعالمها ، ولد في خلافة عمر أو بعدها بقليل روى عن عائشة ، وفاطمة بنت قيس ، وأبي هريرة وغيرهم ، كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث والعلم بالشعر ، وقد ذهب بصره ، توفي سنة ثمان وتسعين ، انظر : سير أعلام النبلاء ج ١ / ص ١١٦ ، وحلية الأولياء ج ٢ / ص ١٨٨ .

(٧) هو أبو أيوب سليمان بن يسار ، ولد في خلافة عثمان ، روى عن زيد بن ثابت ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وآخرين توفي سنة سبع ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤٤٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥٨ .

(٨) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحظلي مولاهم التركي ثم للرومي ، أحد أئمة الأسنة ومجتهدين ، وحفظتها وعلمائها ، وجرادها ، ولد سنة ١١٨ هـ ، وروى عن الأكابر ، وصنف المصنفات الجليلة منها كتاب الترمذ والجهاد ، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . انظر : تاريخ بغداد ج ١٠ / ص ١٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ / ص ٣٧٨ .

(٩) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار ، مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، سبب أمه من ميسان وهي حامل به ، فولدته بالمدينة لستين بقيناً من خلافة عمر ، رأى عثمان وطلحة والبراء ، وروى عن خلق من الصحابة والتابعين ، توفي سنة عشر ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٥٦٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٦٦ .

وحامد بن سلمه^(١) ، وسفيان بن عينة^(٢) ، وسفيان الثوري^(٣) ، والأوزاعي^(٤) ، ثم ذكر أصحاب المذاهب الأربعة المشهورين وهم أبو حنيفة العمان^(٥) ، ومالك بن أنس^(٦) ، وعمر بن إدريس الشافعي^(٧) ، وأحمد بن حنبل رحم الله الجميع^(٨).

النص :

وغيرهم من أولي الفتوى الذين هم
أولئك القوم يحى القلب إن ذكروا
بهائر بضياء الوحي تنقد
ويذكر الله إن ذكروا
أئمة النقل والخصير ليس لهم
موى الكتاب ونهر المصطفى مند

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم - رحمه الله - الأئمة الأعلام المشهورين شرع هنا في ذكر بقية العلماء إجمالا من أئمة الحديث والتفسير الذين تحيي القلوب بذكرهم ويذكر الله حين يذكرون وما ذلك إلا لصلاحهم وورعهم وتقواهم فالناظم رحمه الله يثني عليهم وينوه بصلاحهم ويشيد بالدور الذي قاموا به في حفظ الدين ومنهجهم في إتباع الكتاب والسنة.

النص :

أخبار ملته أنصار مته
أعلامها نشروا أحكامها نصرورا
لا يعدلون بما قاله أحد
أعدائها كسروا نقابها نقلوا

(١) هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار المصري، روى عن ابن أبي مليكة، وثابت البناني، وأبى عمرو الجبلي وغيرهم، توفي سنة ١٦٧ هـ، وهو في الصلاة. انظر: سيرة أعلام النبلاء ج ٧/ ص ٤٤٤، وحلية الأولياء ج ٦/ ص ٢٤٩، وتذكرة الحفاظ ج ١/ ص ١٠٢.

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عينة بن أبي حمزة، الحنظلي الكوفي ثم المدني، من أئمة الحفاظ، ولد سنة ١٠٧ هـ روى عن عمرو بن دينار وغيره وروى عن أسلم وغيرهم، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر سيرة أعلام النبلاء ج ٨/ ص ٤٥٤، وتاريخ بغداد ج ٩/ ص ١٧٤، وحلية الأولياء ج ٧/ ص ٢٧٠.

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن مسروق بن حبيب ثوري الكوفي شيخ الإسلام وإمام الحفاظ وفقهاء وفرة، ولد سنة ٩٧ هـ، روى عن مسند شيخه، تفق العلماء على أنه أمير المؤمنين في الحديث وتوفي سنة ست وعشرين ومائة. انظر: سيرة أعلام النبلاء ج ٧/ ص ٢٢٩ وحلية الأولياء ج ٦/ ص ٣٥٦ وتاريخ بغداد ج ١/ ص ١٧٨.

(٤) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، فقيه الشام وحافظها، ولد في حياة الصحابة سنة ٨٨ هـ، روى عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن شبيب، ومكحول، وقلادة وهوهم، توفي سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: سيرة أعلام النبلاء ج ٧/ ص ١٠٧، وحلية الأولياء ج ٦/ ص ١٣٥، وتذكرة الحفاظ ج ١/ ص ١٧٨.

(٥) أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب المشهور توفي ١٥٠ هـ. انظر تهذيب التهذيب ج ١٠/ ص ٤٠١.

(٦) سبق للحديث عنه في المقدمة ص ٦٧.

(٧) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور توفي عام ٢٠٤ هـ المرجع السابق ج ٩/ ص ٢٢٥.

(٨) هو الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة صاحب المذهب المعروف توفي سنة ٢٤١ هـ. انظر سيرة أعلام النبلاء ج ١١/ ص ١٧٧.

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى صفات أئمة الحق وجهودهم في حفظ الدين ونشر العقيدة، فيقول إنهم علماء الدين، وأبصار السنة، وإنهم يعظمون سنة الرسول ﷺ ولا يعدلون بها قول أي أحد من الخلق، وأنهم قاموا بنشر هذه السنة، ونصروا أحكامها، ودافعوا عنها حين تصدوا لأعدائها ووقفوا في وجوههم وردوا أقواهم المخالفة لهذه السنة، وقاموا أيضاً بنقد الرجال الذين نقدوا هذه السنة حتى بينوا صحتها من ضعفها وذلك بنقد الرجال ومعرفة أحوالهم من العدالة والصدق، وال ضبط، والحفظ وغير ذلك .

النص :

هم الرجوم لسراق الحديث كما لكل مسترق شهب السما رصد

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- في هذا البيت يتحدث عن صفات هؤلاء الأئمة الأعلام وجهودهم في حفظ السنة فيقول إنهم قد نقوا الكذب والتحريف عن السنة النبوية المطهرة، وذلك بنقد الأسانيد ومحميص الرواة، فميزوا للناس ما صح عن النبي ﷺ عن ما أدخله البوضاعون من أحاديث محتلفة مكذوبة عليه، فهؤلاء الأئمة كانوا للبوضاعين بمثابة الشهب الناقصة التي تنع الشياطين فتحرقها قبل استراق السمع.

النص :

بدور تم سوى أن البلور لها غيوبة أبداً والنقص مصدر
وهم مدى الدهر مازالت مآثرهم في جدة وانجلاء منذ ما وسدوا

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- هنا يذكر صفات هؤلاء الأئمة العظام فيقول إنهم كالبلور في ليلة تمامها إلا أنهم فاقوا البلور بدعوتهم، ففي الوقت الذي نرى فيه البلور تنقص أشكالها وتعيب من وقت لآخر، يجد أكثر هؤلاء الأئمة في تجدد دائم وظهور مستمر لم تغب ذكراهم منذ موقع إلى اليوم .

النص :

أنتك الملاء العر الآلي ملأوا الأقطار علما وغير النص ما اعتقدوا
كل له قدم في الدين راسخة وكلهم في بيان الحق مجتهد
فإن أصاب له أجران قد كملا والأجر مع خطئه والعفو متعد

الشرح :

لا يزال الناظم - رحمه الله - في هذه الأبيات يتحدث عن هؤلاء الأعلام فيقول إنهم ملأوا أقطار الدنيا علما وفقها، وكل منهم راسخ في دينه حريص على إتباع النص فيما يقول، مجتهد في علمه ، فإن أصاب فله أجران تامان، وإن أخطأ فله أجر واحد وهو موعود بالعفو عن هذا الخطأ، لقوله ﷺ : (إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَمَعَ ثَمَّ أَصَابَ لَهُ أَجْرَانِ . وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَمَعَ فَأَخْطَأَ لَهُ أَجْرٌ) ^(١) وإنما كان للمصيب أجران لأن له أجر في الاجتهاد وإعمال الفكر، وأجر في إصابته للحق، وأما المخطئ فله أجر واحد وهو أجر الاجتهاد وإعمال الفكر.

والعفو من الله سبحانه وتعالى عن الخطأ كما وعد الله سبحانه وتعالى

قال ﷺ (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِي عَنْ أَمْتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ) ^(٢)

النص :

والحق ليس بقرد قط منحصرًا إلا الرسول هو المعصوم لا أحد
صلى عليه إله العرش فاطره مسلما ما بأقلام جرى المدد
والآل والصحب ثم التابعين لهم والحمد لله لا يحصى له عدد

الشرح :

(١) البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، ج ٦ / ص ٢٦٧١ /

ج ٦٩١٩ ، ومسلم في الأفضية باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ص ٧١٣ ح ١٧١٦

(٢) شق تحريجه ص ١٣٦ .

في هذه الآيات الثلاثة وهي الأخيرة في هذه الجوهرة يشير المؤلف إلى أن الحق لا يعرف بالرجال وإن الكمال لله وحده والحق ليس معصوماً في أحد من البشر إلا سيد البشر الرسول ﷺ هو المعصوم بعصمة الله من الخطأ والزلل لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحى وكذلك رسل الله كلهم معصومون بعصمة الله .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ أَعْلَمْ حَيْثُ يَجْمَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الهمم ١٢٤] .

ثم كما بدأها ختمها بالصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله بعدد ما سطرت الأقلام وجرى المداد وكذلك آل النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم ثم أئنا على الله سبحانه بما هو أهلـه على . كمال هذه المنظومة وتقدم في خطبة المؤلف شرحاً مفصلاً لذلك فليرجع إليه من شاء .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فإنني أحمد الله تعالى الذي وفقني لإكمال هذا البحث، الذي تناولت فيه : (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة) للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي دراسة وتحقيقاً وشرحاً .

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج ومنها .

١ - عظم قدرة الله سبحانه وتعالى حيث جعل الأيوين الأمينين حافظاً من الحفاظ وعالمنا من علماء الدنيا هو الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

٢ - فضل الله سبحانه وتعالى على الشيخ حافظ حيث منحه حافظه قوية ، وذكاءً نادراً مما جعله يتفوق على أقرانه فيصبح معلماً لهم في فترة وجيزة ، بعد أن كان متعلماً معهم ، بل ويؤلف الكتب العلمية العظيمة، التي يستعصي على الكثير من أهل العلم تأليف مثلها، وذلك بفضل الله يؤتيه من يشاء .

٣ - سعة علم الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى - وإطلاعه وتبحره في شتى العلوم، ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته نظماً ونثراً .

٤ - دور الشيخ حافظ رحمه الله في تأصيل العقيدة السلفية في منطقة الجنوب هو وشيحه عبد الله القرعاوي حيث أن هما أكبر الأثر - بعد الله تعالى - في إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والتوحيد وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإلى جانب هذه النتائج فإنه لا يفوتني أن أقدم بعض الوصايا والمقترحات التي أرى أنها نافعة في هذا المجال ومنها :

١ - أن تقوم جامعات المملكة العربية السعودية بتحقيق ودراسة مؤلفات الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله المطبوعة منها والمخطوطة حيث لا يزال قسم منها في أدراج بعض المكاتب مخطوطاً لم يطبع بعد، لأن في الإعتناء بها وطبعها إحياء لثراث عظيم اشتمل على الكثير من الموضوعات العلمية .

٢- أرى أنه لا غنى لطالب العلم في الدراسات العليا وغيرها من مؤلفات الشيخ حافظ بصفة عامة وكتب العقيدة بصفة خاصة ، لما اشتملت عليه من فوائد حمة وعلم غزير ، ومنهج سليم مستمد من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد/ وما صح من سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم لتلك النصوص ولذلك فلاي أرى أن تقرر تلك المؤلفات للتدريس في الجامعات والدراسات العليا وخاصة كتب العقيدة.

٣- أرى أن تقوم الرئاسة العامة لتعليم البنات بفتح قسم خاص للدراسات العليا في منطقة جازان بجميع فروعها وأقسامها العلمية والأدبية تسهيلاً للطالبات الراغبات في مواصلة الدراسات العليا من عناء السفر والمشقة التي يواجهنها ومن عدم وجود محرم لمرافقتهن إلى اساطق الأخرى لاسيما وأن سفر المرأة بمفردها أمر محظور لا تقره الشريعة الإسلامية الغراء وذلك سوف يشجع الطالبات على مواصلة الدراسة العليا دون عناء أو مشقة ، مع العلم بحاجة المنطقة لمثل هذه الدراسة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

لمهرس الآيات القرآنية

مرتباً حسب السور

الصفحة	الآية	السورة
١١٥، ٤٦	(٢)	سورة الفاتحة
٢٦٩، ١١٩	(٨)	سورة البقرة
٢٦٩، ١١٩	(٩)	
١١٩	(١٠)	
٨١	(١٦)	
٨٠	(١٨)	
١٢٦	(٢١)	
١٢٦	(٢٢)	
٣١٥، ١٦٢	(٢٣)	
١٦٢	(٢٤)	
٢٦٩	(٣٤)	
٣١٤	(٤٣)	
١٦٣	(٥٣)	
٣١٥	(٦٥)	
١٤٩	(٦٦)	
٢٦٩	(٨٩)	
١٣٣	(٩٧)	
١٣٣	(٩٨)	
٢٩١، ٢٩٠	(١٠٢)	
٣١٥	(١١٧)	
٧٩	(١١٨)	
١٤٠	(١٣٦)	
٢٥٨	(١٤٣)	
٣٢١	(١٤٤)	
٢٦٩	(١٤٦)	
١٢٢، ١٢٠	(١٦٥)	
٣١٦	(١٧٣)	
٢٨٣	(١٧٨)	

الصفحة	الآية	السورة
٢٦٠	(١٨٣)	
٢٤٧	(١٨٥)	
١٠٨	(١٨٦)	
٢٦٢	(١٩٠)	
٢٥٢	(٢١٣)	
٣٢٣	(٢٢١)	
١٦٣	(٢٢٢)	
٢٢٧	(٢٢٣)	
٢٧٩	(٢٣١)	
٣١٦	(٢٣٥)	
٢٥٧ ، ٨٥	(٢٣٨)	
٢٢٧	(٢٤٩)	
١٦١ ، ١٤٣ ، ٨٧	(٢٥٣)	
٩٨ ، ٩٤ ، ٥٣	(٢٥٥)	
٢٧٣ ، ١٦٩	(٢٦٤)	
١٢٨	(٢٧٠)	
١٦٠	(٢٧٢)	
٣١٥	(٢٨٢)	
١٥٩	(٢٨٥)	
٩٤	(٦)	سورة آل عمران
١٤٢	(٧)	
١٢٠	(٣١)	
١٢٠	(٣٢)	
٩٥	(٣٥)	
١٥٠	(٤٥)	
١٥١	(٤٧)	
١٦٤	(٤٩)	
١٥١	(٥٩)	
١٦٢	(٧٦)	
٢٦٠	(٩٧)	
١	(١٠٢)	

المسورة	الآية	الصفحة
	(١٣١)	٢١٠
	(١٣٣)	٢٠٩
	(١٥٦)	٢٤١
	(١٧٣)	٨٦
	(١٨٥)	٢١٢ ، ١٤٨
سورة النساء	(١)	١
	(١٧)	٢٨٦
	(١٨)	٢٨٦
	(٤٨)	١٢٣
	(٥٨)	١٥٠ ، ٩٤
	(٥٩)	٣٠٦
	(٦٤)	٣١٢
	(٨٣)	٣٢٥
	(١١٦)	١٢٣
	(١٢٥)	١١٨
	(١٣٦)	١٤١ ، ٨٧
	(١٤٢)	٢٧٢ ، ٢٧١
	(١٤٥)	٢٨١ ، ٢٧٧
	(١٥٠)	١٥٩
	(١٥١)	١٥٩
	(١٥٢)	١٥٩
	(١٥٧)	١٨٦ ، ١٨٣
	(١٥٨)	١٨٦ ، ١٨٣
	(١٥٩)	١٨٩
	(١٦٣)	١٤٢
	(١٦٤)	١٦٣ ، ١٤٣
	(١٦٨)	٢١١
	(١٦٩)	٢١١
	(١٧١)	١٥٠
	(١٧٢)	١٣٢
سورة المائدة	(٢)	٣١٧

الصفحة	الآية	السورة
٣٢٢	(٣)	
٣١٥	(٤)	
٣١٦	(٥)	
٢٤٧ ، ٢٤٣	(٦)	
٦٣	(١٧)	
١٢٠	(٥٤)	
٥٠	(٦٦)	
١٤٨	(١١٦)	
١٤٨	(١)	سورة الأنعام
١٣٦	(٣)	
٩٧	(١٨)	
١٤٨	(١٩)	
٢٤٦	(٣٥)	
٨٤	(٥٢)	
١٢٦	(٦١)	
٥٣	(٦٤)	
٨٤	(٧٣)	
١٤٩ ، ١٤٦	(١٠٠)	
٢٢٨ ، ٢٢٥	(١٠٣)	
٩٦	(١١٥)	
٣٣٢	(١٢٤)	
٢٤٧	(١٢٥)	
٣١٥	(١٤٢)	
٣٢٢	(١٤٥)	
١٧٥	(١٥٨)	
١٢٨	(١٦٢)	
١٢٨	(١٦٣)	
٢٤٠	(٢٣)	سورة الأعراف
٢٤٠	(٤٣)	
٢٤٨ ، ١٥٠ ، ١٠١ ، ٩١	(٥٤)	
١٢٤	(٥٥)	

الصفحة	الآية	السورة
١٢٤	(٥٦)	
٢٨٩	(١١٦)	
١٦٣ ، ١٤١	(١٤٤)	
١٤١	(١٤٥)	
١٤٤	(١٤٨)	
٢٤٤	(١٧٢)	
٢٥٠	(١٧٨)	
١١٤ ، ١٠٩	(١٨٠)	
١٦٩	(١٨٧)	
١٤٨	(١٨٩)	
٣١١	(١٩٩)	
١٢٢ ، ١١٩	(٣٨)	سورة الأنفال
٢٣٦	(٤٢)	
١٣٧	(٥٠)	
١٤٣	(٦)	سورة التوبة
٣٢٣	(٣٠)	
٢٥٩	(٣٤)	
١٠٨	(٤٠)	
٢٤٣	(٥١)	
٢٨٠	(٦٧)	
٣١٥	(٨٢)	
٣٢٤ ، ٢١٠	(١٠٠)	
٢٥٨	(١٠٣)	
٢٦٢	(١١١)	
٣٢٥	(١٢٢)	
٨٧	(١٢٤)	
١٢٥	(٧)	سورة يوسى
١٢٥	(٨)	
٤٦	(١٠)	
٢٢٢	(١٨)	
٢٢٦	(٢٦)	

الصفحة	الأية	السورة
٩١	(٣١)	
٨٩	(٣٢)	
٣٠٩	(٨٠)	
١١٥	(١٠٣)	
٢٧٥ ، ١٢٧ ، ١٢٢	(١٠٦)	
١٢٧ ، ١٢٢	(١٠٧)	
٢٠٢	(٥٨)	سورة هود
٢٠٢	(٦٦)	
٢٠٢	(٩٤)	
٢٣٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥	(٩٨)	
٩٤	(٣٩)	سورة يوسف
٣٠٦	(٤٠)	
٣٠٦	(٦٧)	
٩٨	(٢)	سورة الرعد
١٥٦	(٧)	
١٣٤ ، ٩٢	(١٠)	
٢٤٣ ، ١٣٤	(١١)	
٢٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ٩٤	(١٦)	
١٣٦	(٢٣)	
٧٤	(٢٨)	
٢٢٩	(٢٩)	
١٤٦	(٣٣)	
١٦٩	(٢٧)	سورة إبراهيم
٤٦	(٣٤)	
٩٢ ، ٤٦	(٣٩)	
٣١٠	(٤٢)	
٢٠٥	(٤٢)	سورة الحجر
٢٠٥	(٤٣)	
٢٠٥	(٤٤)	
٢٠٥	(٤٥)	
٣٠٩ ، ٢٠٥	(٤٦)	

الصفحة	الآية	السورة
٢١٠	(٤٨)	
٥٠	(٢٥)	سورة النحل
١٣٧	(٢٨ - ٣٢)	
١٥٨	(٣٦)	
٣٢٥	(٤٣)	
٣١٢	(٤٤)	
٥٠	(٥٩)	
٥٩	(٨٢)	
٩٦	(٩٠)	
١٤٥، ١٣٤	(١٠٢)	
٢٦٣، ١٠٨	(١٢٨)	
١٣١	(٢٣)	سورة الإسراء
٣١٥، ٧٥	(٣٢)	
١١٤	(٣٦)	
١٦١	(٥٥)	
٢٩٢	(٨٢)	
٩٢	(١٠٢)	
١٠٩	(١١٠)	
٢٥٠	(١٧)	سورة الكهف
٢٦٣	(٣٠)	
٢٨٠	(٥٠)	
١٩٠	(٩٢ - ٩٩)	
١٨٩	(٩٩)	
٢٠٢	(١٠٥)	
١٤٣، ٤٧	(١٠٩)	
٢٧١، ١٢٤	(١١٠)	
١٥٤	(٥٢)	سورة مريم
٢٠٥، ٢٠٤	(٧١)	
٢٠٥	(٧٢)	
٨٦	(٧٦)	
٢٣٠	(٨٦)	

الآية	الصفحة	السورة
(٥)	١٠١	سورة طه
(١٠ - ١٣)	٦٣	
(٤١)	١٤٨	
(٤٦)	١٠٨	
(٦٩)	٢٨٩	
(٧٤)	١١١	
(٨٩)	١٤٤	
(٩٤)	٧٧	
(١٠٩)	٢٢٣	
(١١٠)	٩٩	
(١١١)	٩٤	
(١٣١)	٣١٦	
(٢)	١٤٩، ٧٦	سورة الأنبياء
(١٩)	١٣٣	
(٢٠)	١٣٣	
(٢٥)	١٦٥، ٩١	
(٢٦)	١٣٢	
(٢٧)	١٣٢	
(٢٨)	٢٢٣	
(٤٢)	١٣٧، ١٣٥	
(٤٧)	١٩٩، ١٩٨	
(٧٣)	١٤٩	
(٩٦)	١٩٠	
(٩٩)	٢٣٠	
(٣١)	١٢٣	سورة الحج
(٣٩)	٢٦٢	
(٧٠)	٢٤٤، ٢٤٣	
(٨٦)	١٠٥	سورة المؤمنون
(٨٨)	٩١	
(٤)	٢٨٠	سورة النور
(٣٣)	٣١٤	

الصفحة	الآية	السورة
١٥٩	(٥٤)	
٣١٦	(٦١)	
٢١٠	(١١)	سورة الفرقان
٩٤	(٥٨)	
١٠١	(٥٩)	
١٤٩ ، ١٤٦	(٥)	سورة الشعراء
٢٢٩	(٦١)	
٢٢٩	(٦٢)	
١٣٤	(١٩٥ - ١٩٣)	
٩٥	(٢٢٠ - ٢١٨)	
٢٦٩ ، ٩٢	(١٤)	سورة النمل
١٤٧	(٢٣)	
١٧٨	(٨٢)	
١٩٧	(٨٧)	
١١٩ ، ١١٦	(٨٩)	
٥٦	(١٥)	سورة القصص
١٥١	(٣٠)	
٩٢	(٣٨)	
١٦٣	(٤٣)	
٨٤	(٥٣)	
١٦٠	(٥٦)	
١٥٤ ، ١٥١	(٦٢)	
١٥٤	(٦٥)	
٢٤٦	(٦٨)	
١٥٤	(٧٤)	
٢٤٠	(٧٨)	
٢١٣ ، ٢١٢ ، ٩٤ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨	(٨٨)	
١١٩	(١)	سورة العنكبوت
١١٩	(٢)	
١١٩	(٣)	
٢٥٧	(٤٥)	

الصفحة	الآية	السورة
٢٦٨	(٦٨)	
٢٣٧ ، ٢٣٣	(٤١)	سورة الروم
٧٦	(٧)	سورة لقمان
٢٧٩ ، ١٢٩	(١٣)	
١١٨	(٢٢)	
٤٧	(٢٧)	
١٠١	(٤)	سورة السجدة
١٣٧ ، ١٣٥	(١١)	
١٤٥	(١٣)	
٣٠١	(٦)	سورة الأحزاب
١٦١	(٧)	
٣٠١	(٣٣)	
٢٢٦ ، ١٥٠	(٣٨)	
١٦٦	(٤٠)	
١٦٩	(٦٣)	
١	(٧٠)	
١	(٧١)	
٢٤٢ ، ٥٣	(٣)	سورة مـبـا
١٤٥	(٦)	
٢٢٢	(٢٢)	
١٦٧	(٢٨)	
١٣٣	(١)	سورة فاطر
١٣٠ ، ١٢٦	(٢)	
٢٤٨	(٣)	
١	(٢٨)	
٨٥	(٢٩)	
٨٨	(٣٢)	
٥٣	(٣٨)	
٢٤٦	(٤٤)	
١٢٥	(١١)	سورة يس
٢٤٣	(١٢)	

السورة	الآية	الصفحة
	(٥١)	١٩٧
سورة الصافات	(٢٢)	١١٨
	(٢٣)	١١٨
	(٢٤)	١١٨
	(٤٠)	١١٩
	(٤٣)	١١٩
	(٨٣)	٥٦
	(١٥١)	١٣٣
	(١٦٦)	١٣٣
سورة ص	(٥)	١٢٣
	(٦٥)	٩٩
	(٨٦)	١٩٣
سورة الزمر	(١)	١٤٥
	(٣)	١٣٠، ١٢٣، ١١٩
	(٤)	٩٩، ٩٦
	(٩)	١١٧، ٨٥، ١
	(١٤)	٨٤
	(٣٣)	٢٩٥، ٨٦، ٨٤
	(٣٤)	٨٤
	(٥٣)	٢٨٥
	(٥٤)	٢٨٥
	(٦٥)	١٢٣
	(٦٦)	١٢٣
	(٧١)	١٣٩
	(٧٣)	١٣٨
	(٧٤)	٤٦
سورة غافر	(٧)	١٣٥
	(١٧)	١٩٨
	(١٨)	٢٢٤
	(١٩)	٩٥
	(٤٥)	١٧٢

الصفحة	الآية	السورة
٢١٠، ١٧٢	(٤٦)	
٢٥٣	(٥٥)	
١٢٤	(٦٠)	
٢٦٨	(٧٠)	
٣١٢، ١٦٠، ١٥٩	(٧٨)	
١٧٥	(٨٥)	
٢٥١	(٢١)	سورة فصلت
٣١٥	(٤٠)	
٢٢٨، ١١٤، ٩٩، ٩٤، ٥٤	(١١)	سورة الشورى
١٦١	(١٣)	
١٤٢، ٨٤	(١٥)	
١٤١	(٥١)	
١٦٠	(٥٢)	
١٤٨	(٣)	سورة الزخرف
٩٢	(٩)	
١١٨	(٢٣)	
١١٨	(٢٥)	
١٣٦	(٨٠)	
١١٧، ٨٤	(٨٦)	
١٤٥	(٤)	سورة الدخان
١٩٢	(١٠)	
١٩٢	(١١)	
٣١٥	(٤٩)	
٨٤	(١٣)	سورة الأحقاف
١٤٧	(٢٥)	
١١٧	(١٩)	سورة محمد
١٢٥	(١١)	سورة الفتح
٣٠٣	(١٨)	
٣٢٤	(٢٩)	
٢٨٣، ٢٧٩	(٩)	سورة الحجرات
٢٨٣، ٢٧٩	(١٠)	

الصفحة	الآية	السورة
١١٧	(١٥)	
١٣٦	(١٧)	سورة ق
١٣٦	(١٨)	
١٢٣	(٢٤)	
١٢٣	(٢٥)	
١٢٥	(٣٢)	
١٢٥	(٣٣)	
٢٢٦	(٣٥)	
١٣٥	(٤)	الطور
٣١٥	(١٦)	
١٣٤	(٤)	سورة النجم
١٣٤	(٥)	
١٣٤	(٦)	
١٣٤	(٧)	
١٣٤	(٨)	
١٣٤	(٩)	
١٣٤	(١٣)	
١٣٤	(١٤)	
١٣٤	(١٥)	
٢٢٠	(٢٦)	
٢٣٦	(٤٩)	سورة القمر
٢١٣، ١٧٠	(٢٦)	سورة الرحمن
١٧٠	(٢٧)	
١٤٥	(٢٩)	
١٣٨	(٨٣)	سورة الواقعة
١٣٨	(٩٦)	
١٠٨، ١٠٧، ١٠١	(٤)	سورة الحديد
٢٠٩	(٢١)	
٩٥	(١)	سورة المجادلة
٨٨، ١	(١١)	
٢٤٢	(٢٢)	سورة الحشر

السورة	الآية	الصفحة
سورة الجمعة	(٩)	٣١٥
سورة المائدة	(١)	٢٨١
	(٣)	٢٦٩
	(٤)	٨١
سورة التوبة	(٢)	٢٥٠
سورة الطلاق	(٥)	١٥٠
	(١٢)	١١١
سورة التحريم	(٦)	٢٠٨، ٢٠٤، ١٣٩
	(٧)	٣١٦
	(٨)	٢٨٦، ٢٠٨
	(١١)	٢١٢
سورة المائدة	(١٦)	١٠٢
	(١٧)	١٠٢
سورة القلم	(٤٢)	٢٣٠
	(٤٣)	٢٣٠
سورة الحاقة	(١٧)	١٣٥
	(١٩)	١٩٩
	(٢٠)	١٩٩
	(٢١)	١٩٩
	(٢٢)	١٩٩
	(٢٥)	١٩٩
	(٢٩)	١٩٩
	(٤٠)	١٥١
سورة الجن	(١)	١٦٧
	(٢)	١٦٧
سورة النذر	(٢٥)	١٤٦
	(٢٦)	١٤٦
	(٣١)	١٤٠
	(٤٨)	٢٢٤
سورة القيامة	(٢٢)	٢٣٥، ٢٢٧، ٢٢٦
	(٢٣)	٢٣٥، ٢٢٧، ٢٢٦

السورة	الآية	الصفحة
	(٢٥)	٢٣٥
سورة الإنسان	(٧)	١٢٨
	(٣٠)	٢٥٠
سورة النازعات	(١٥-١٦)	١٥٤
سورة عبس	(١٥)	١٣٢
	(١٦)	١٣٢
سورة التكويد	(١٩)	١٥١
	(٢٩)	٢٤٩
سورة الانفطار	(١٠)	١٣٦
	(١١)	١٣٦
	(١٢)	١٣٦
سورة المطففين	(٢٢)	٢٢٦
	(٢٣)	٢٢٦
سورة البروج	(٩)	٩٥
سورة الأعلى	(١)	٩٩
سورة الفجر	(٣)	٢١٦
سورة الليل	(٥)	٢٤٢
	(٦)	٢٤٢
	(٧)	٢٤٢
	(١٧)	٢٩٥
	(٢١)	٢٩٥
سورة العلق	(١)	١
سورة القدر	(٤)	٢٤٥
	(٥)	٢٤٥
سورة البينة	(٥)	١١٩
سورة القارعة	(٦-١١)	٢٠٠، ١٩٩
سورة الحمزة	(٨)	٧٧
سورة الفيل	(٥)	١٤٩
سورة الكوثر	(١)	٢١٣، ١٢٨
	(٢)	٢١٣، ١٢٨
	(٣)	٢١٣

الصفحة	الآية	السورة
٩٩	(٦-١)	سورة الكافرون
٩٩، ٩٧	(٤-١)	سورة الإخلاص
٢٩١	(٤)	سورة الفلق

فهرس الأحاديث
مرتباً حسب الحروف الهجائية

الصفحة	الحديث
٢١٨	أتى باب الجنة.
٨٥	أمركم بالإيمان .
٢٨١	آية المنافق .
١٧٥	أندري أين تنهب .
٢٧٦	اجعلني لله داء .
١٣٥	أذن لي أن أحدث .
٢١٩، ٢١٩	أسعد الناس بشفاعتي .
١١٨	أشهد أن لا إله إلا الله
٢١٦	أعطيت حساً .
٢٩٩	الفتح وبشره .
١٢٠	أفلح إن صدق .
١٨١	ألا أحدنكم حديثاً عن الدجال .
٢٧٢	ألا أخبركم بما هو أخوف
٢٩٩	ألا أستحي
٢٧٤	ألا إن الله ينهاكم .
٢٤٢	الله أعلم بما كانوا عاملين .
١٠٩	اللهم إني عبدك .
١٣٥	اللهم رب جبريل
٤٧	اللهم ربنا لك الحمد .
٢٠٩، ٢٠٥	اللهم لك الحمد أنت نور السماوات
١٢٥، ١٢٢	اللهم رحمتك أرجو .
٢٢١، ٢١٨	أما أهل النار .
٣٠٠، ٢٩٦	أما ترضى
٨٤، ٨٢	أمرت أن أقاتل الناس .
٢١٥، ٢١٤	أنا أول شفيح.
٢١٦، ١٦١	أنا سيد ولد آدم .

الصفحة	الحديث
١٤٤	احج آدم وموسى
١٢٩	أن لا تدع .
١٧٣، ١٣٨	إذا ألقوا المؤمن .
٣٣١	إذا حكم الحاكم .
١٢٦، ١٢٤	إذا سألت فسال الله .
٢١١	إذا صار أهل الجنة إلى الجنة .
٢٢٥	استأذنت ربي .
٣٠٦	اسمعوا وأطيعوا .
٢١٠	اطلعت في الجنة .
٢٢٥	إن أبي وأباك في النار .
٢٤٥	إن أحدكم يجمع خلقه .
١٩٨	إن أفضل أيامكم .
١٣٦	إن الرجل ليتكلم
٢١٧	إن الشمس تدنو يوم القيامة .
١٣٨، ١٣٥	إن العبد إذا وضع .
٢١٧	إن الناس يصيرون .
١٦٢	إن الله يتخذني خليلاً .
٢٤٤	إن الله أخذ ذرية آدم .
١٦١	إن الله اصطفى .
٢٧٣، ١٣٦	إن الله تجاوز .
١١٩	إن الله حرم على النار .
٤٧	إن الله ليرضى .
١٨٣	إن الله ليس بأعور .
١٢٥	إن الله تعالى خلق الرحمة .
١٩٥	إن الله تعالى يبعث .
١٩٠	إن الله تعالى يوحى .
٢٨٦، ١٧٦	إن الله عز وجل يسطر .
٢٠١	إن الله عز وجل يستخلص .

الصفحة	الحديث
١٤٩	إن الله يحدث لشيء .
٢٤٩	إن الله يصنع كل صانع .
١٧٧	إن أول الآيات خروجا .
٢١٥	إن حوضي أبعد من أيلة .
٢١٤	إن قلدر حوضي .
٢٤٦	إن قلوب بني آدم .
٢١٤	إن لكل نبي حوضا .
١٠٩	إن لله تسعة وتسعين اسما .
١٦٦	إن لي أسماء .
٨٥	إنما الأعمال بالنيات .
١٦٧، ١٦٤	إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي .
١٢٨	إنه لا يرد شيئا .
٢٠٢	إنه ليأتي الرجل العظيم .
١٩١	إن ياجوج وماجوج .
١٤٠	إني أرى ما لا ترون .
٨٥	الإيمان بضع وسبعون شعبة .
١٧٤	بادروا بالأعمال ستا .
٨٢	بدأ الإسلام غريبا .
٨٤	بلى والذي نفسي بيده .
١٩٨	بين النفتين .
٢٩٦	بينما أنا نائم رأيتني على قلب .
٢٩٧، ٨٨	بينما أنا نائم رأيت الناس .
٢٩٧	بينما أنا نائم شربت .
٨٩	بينما نحن عند رسول الله .
٦٦	تركتم فيكم أمرين .
١٧٨، ١٧٥	ثلاث إذا خرجن .
١٢١	ثلاث من كن فيه .
٢٠٤	ثم يؤتى بالجسر .

الصفحة	الحديث
١٠٠	جاء رجل من اليهود .
٧٧	عائلوا المشركين .
١٣٣	خلقت الملائكة .
٣٠٣	عبر أمي القرن الذي بعثت فيهم .
١٨٣	الدجال ممسوح العين
٧٨	دعاة على أبواب جهنم .
١٠٢	الراحمون يرحمهم الرحمن
٢٧٨	سباب المسلم فسوق .
٣٠٧، ٣٠٢	ستكون أمراء .
١٩٦	الصور قرن ينفخ فيه .
٣٠٠	عليكم بسقي .
٣٢٠	فر من الجنوم .
١٨١	فبأني على قوم .
١٨٦	فيبث الله عيسى بن مريم .
٢١٠	قال الله تعالى أعددت لعبادي .
١١٩، ٨٥	قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء .
٢٤٣	كتب الله مقادير الخلائق .
١٧١	قد سألت الله لأجل مضروبة .
٤٦	كل أمر ذي بال .
١٩٩	كلمتان خفيهتان .
١٢٣	كم إله تعبد .
١٩٧، ١٣٤	كيف أعم .
١٩٠	لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب .
٢٨٣	لا ترجعوا بعدي كفارا
٣٠٣	لا تسبوا أصحابي .
١٦١، ٩٧	لا تفضلوني على موسى .
١٧٥	لا تقوم الساعة .
٣٠٠	لأعطين الراية .

الصفحة	الحديث
٣٢٠	لا صدوى .
٣١٤	لا ينبغي أحدكم حتى يصلي .
٢٨٢	لا يزني الزاني حين يزني .
٣٢٠	لا يورد ممرض على مصح .
١٢١	لا يؤمن أحدكم .
١٢٨	لئن الله من ذبح لغير الله .
١٠٢	لقد حكمت فيهم .
٢١٢	لقيت إبراهيم .
٢٢٠	لشهاد عند ربه .
٢٨٦	لله أشد فرحا بتوبة عبده .
١٦٢	لو كنت متخذا خليلا .
١٢٤	ليس شيء أكرم على الله .
٢٧٤	ليس منا من حلف بالأمانة .
٤٧	ما أنعم الله على عبد .
١٣٩	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله .
١٨١	ما بين خلق آدم .
١٧٤	ما تذكرون .
٨٧	ما رأيت من ناقصات عقل ودين .
١٢٠	ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله .
٢٥٩	ما من صاحب ذهب ولا فضة .
٢٤٢	ما منكم من نفس .
١٨٣	ما من نبي إلا وقد أنذر أمته .
١١٩	مثل ما بعثني الله به .
٢٩٦	مروا بها بكر فليصل بالناس .
٧٥	من تشبه بقوم فهو منهم .
١٠٣	من تصدق بعدل ثمرة .
١٨٥	من حفظ عشر آيات .
٣١١ ، ٨٨	من رأى منكم منكرا .

الصفحة	الحديث
٢٧٥	من حلف فقال باللات والعزى .
٢٧١	من سمع سمع الله به .
٢٠٩	من شهد أن لا إله إلا الله .
٨٨	من عادى لي وليا .
٢١٢	من قال سبحان الله وبحمده .
٢٨٧	من كانت عنده مظلمة .
١١٨	من لقيت من وراء هذا الحائط .
١١٧	من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله .
١٢٤	من مات لا يشرك بالله شيئا .
١٢٨	من نثر أن يطع الله فليطعه .
٢٣٦	المؤمن القوي خير
١٥٣	هذا باب من السماء فتح .
١٩٣	هل تهتمون به من أحد .
٢٠٦	هم في الظلمة دون الجسر .
٢٠٥	والذي نفسي بيده لا يلج .
١٦٨	والذي نفسي بيده لا يسمع بي .
١٨٧	والذي نفسي بيده لو سكن .
٣٠١	وأهل بقي .
٢٣٦	وتؤمن بالقدر غير وشره .
٢٣٦	واعلم أن ما أصابك .
١٠٠	وإذا سألتكم الله فسألوه الفردوس .
١٦٧	وإنه سيكون من أمي .
١٠٤	وقد تركت فيكم .
٣٠٤	ويح عمار تقتله الفئة الباغية .
٢٠٤	ويضرب الصراط .
١٦٩	وبلك وما أعددت لها .
١٨١	فيأتي على قوم
٨٢	بأي على الناس زمان .

الصفحة	الحديث
١٢٤	يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد .
١٠٣	يعاقبون فيكم ملائكة .
٨٤	يخرج من النار .
٢١٩	يخرج قوم من النار
٢٢١	يدخل أهل الجنة الجنة .
٢٢٠	يشفع الشهيد .
٢١١	يقال لأهل الجنة .
١٨٦	يقتل ابن مريم الدجال .
١٨٩	يقول الله تعالى يا آدم .
١٣٩	يؤتى بجهنم يومئذ
٢٠١	يؤتى بالقرآن .

فهرس الآسار
مرتباً حسب الحروف الهجائية

الآسار	الصفحة
خس قد مضى	١٩٣
زوجكن أهالكن وزوجنى ربى	١٠٢
سحر رسول الله ﷺ يهودى من بنى زريق	٢٨٩
كنا فى زمن النهى لا نعدل بأبى بكر أحدا	٢٩٦
لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا	٢٩٥
ما كنت أظن أن الله ينزل برأى وحيا يطفى	١٤٥
ما كنت حقى أصبحت	١٩٣
المنقبات ملك موكل به	١٣٧
من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم	١٩٣
هما دخانان قد مضى أحدهما	١٩٤
ولم يسكت لولا ما وقع فيه الناس كان يسمعه السكوت	١٥٦

فهرس الأعلام
مرتباً حسب الحروف الهجائية لأسمائهم

الصفحة	
٣٢٨	أبو بكر بن عبد الرحمن
٦٧	أبو دواد بن الأشعث
٣٢٩	أحمد بن حنبل
١١٦	أحمد بن الحسين بن الحسن
٧٠	أحمد بن عمرو (البرار)
٦٩	أبو نعيم - أحمد بن عبد الله بن أحمد
١٧٦	ابن حجر - أحمد بن علي بن محمد
٦٩	ابن متجويه - أحمد بن علي بن محمد
٧٠	أبو يعلى الموصلي - أحمد بن علي بن الملقى
٦٧	الخطابي - أحمد بن محمد إبراهيم
٦٩	اليرفاني - أحمد بن محمد أحمد
١٤٦	الطحاوي - أحمد بن محمد سلامة
١٨٠	أحمد بن محمد شاكور
٦٩	الخلال - أحمد بن محمد هارون
٦٧	أحمد بن شعيب النسائي
١٦	أحمد بن محمد جابر
١٦	أحمد بن يحيى الحمي
١٧	إبراهيم حسن شعبي
١٧٦	إسماعيل بن عمر بن كثير
٦٠	أبو محمد ابن سبهين
١٤٣	بشر بن غياث
١٤٢	الطعمد بن درهم
٥٠	الجهم بن صفوان
١٦	حسن بن زيد الحمي
١٦	حسن بن يحيى حلي
٣٢٨	الحسن البصري

الصفحة	
١٦	حسين بن عبد الله الحكمي
٦١	الحسين بن عبد الله بن سينا
٣٢٩	حماد بن سلمة
٣٢٨	خارجة بن زيد
٦٧	خليل بن أحمد السهافوري
١٧	زيد بن محمد هادي مدخلي
٣٢٨	معيد بن المسيب
٣٢٩	مفيان الثوري
٣٢٩	مفيان بن عينة
٧٠	سليمان بن أحمد الطبراني
٧٠	سليمان بن داود الطيالسي
٣٢٨	سليمان بن يسار
١٩	طاهر بن أحمد طالي
٣٢٩	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي
٥٤	عبد الله بن سباء
١٢-١٣	عبد الله القرعاوي
٣٢٨	عبد الله بن المبارك
٦١	عبد الله بن محمد بن عربي
٧٠	علي بن أبي بكر الميمني
١٧	علي بن عبد الله الأهدل
١٧	علي بن قاسم القيبي
١٨	علي بن ناصر لقيبي
٣٢٨	القاسم بن محمد
١٧	مالك بن أنس
١٤	محمد بن أحمد حكيم
٣٢٩	محمد بن إدريس الشافعي
٦٧	محمد بن إسماعيل البخاري
٦٠	محمد بن الحسن الطوسي

الصفحة	
١٧	محمد بن صفيح المحسن
١٥	محمد بن عبد الرزاق حمزة
٦٨	محمد بن عبد الله بن محمد (أبن العربي)
١٤٦	محمد بن عمر الرازي
٦١	محمد بن محمد الفارابي
١٤٧	محمد بن محمد الماتريدي
٦٧	محمد بن يزيد بن ماجة
٦٨	يحيى بن يحيى الليثي
٦٧	محمد بن عيسى بن سودة (الترمذي)
٦٧	مسلم بن الحجاج
١٦	ناصر خلوفة
٣٢٩	النعمان بن ثابت (أبو حنيفة)
١٤٦	هبة الله بن ملكا (أبو البركات)

فهرس المراجع

القرآن الكريم .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة

لعز الدين بن الأثير ، دار الفكر .

- أسماء الله وصفاته

عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن ، دار الوطن ، الرياض / ط ١ : ١٤١٧هـ .

- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة

د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس - الأردن ، ط ٣ : ١٤١٨هـ .

- أشراف الساعة

ليوسف بن عبد الله الوابل ، دار ابن الجوزي ، ط ١٠ : ١٤١٨هـ

- أصول الدين الإسلامي

محمد بن إبراهيم التويجري ، دار العاصمة - الرياض ، ط ١ : ١٤١٤هـ

- أصول الفقه

للإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ١٩٧٩ م .

- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة .

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، خرج أحاديثه وعلق عليه : مصطفى أبو النصر الشلي،

مكتبة السوادي ، ط ٣ : ١٤١٠ هـ .

- أهوال يوم القيامة

عبد الملك علي الكليب ، مكتبة المعارف - الرياض .

- إتحاف الجماعة بما جاء في الفن والملاحم وأشراف الساعة .

حمود بن عبد الله التويجري ، دار العصيمي - الرياض ، ط ١ : ١٣٩٦هـ ، ط ٢ :

١٤١٤هـ

- اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية

للإمام ابن القيم ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : بشير محمد عون ، مكتبة المؤيد -

الرياض ، ط ١ : ١٤١٤هـ .

- اجتماع الخيوش الإسلامية ، للإمام ابن القيم ، مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق إعداد وتحقيق : د: عواد عبد الله المعثق ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط ٢ : ١٤١٥ هـ .
- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه
محمد نعيم ياسين ، دار الندوة الجديدة - بيروت - لبنان
- البداية والنهاية
للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن القاهرة .
- البدر الطالع للشوكاني
محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة بيروت - الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ
- بغية المرتاد
لشيخ الإسلام أحمد بن عباس ابن تيمية
تحقيق ودراسة : د. موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية
تصحيح وتكميل وتعليق : محمد بن عبد الرحمن قاسم ، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة
ط ١ : ١٣٩٢ هـ .
- تاريخ الأمم والملوك
للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر - بيروت ، طبعة ١٣٩٩ هـ
- تاريخ بغداد
للمحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- تاريخ المذاهب الإسلامية
محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، طبعة ١٩٨٩ هـ
- التمييز في الدين وتمييز الفرق الناحية عن الفرق المالكين
للإمام أبي المنظف الإسفراييني ، مطبعة الأنوار ، ط ١ : ١٣٥٩ هـ .
- التبيان شرح نواقض الإسلام
سليمان بن ناصر العلوان ، دار المسلم - الرياض ، ط ٦ : ١٣١١ هـ .
- التحريف من النار والتعريف بدار أهل البوار
للمحافظ أبي الفرج بن الجوزي ، المكتبة العلمية - بيروت .

- ترتيب القاموس المحيط

للفيروز آبادي ، رتبة الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي دار الكتب العلمية ، ط ١٣٩٩ هـ

- تذكرة الحفاظ

لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، دار احياء التراث العربي بيروت مصورة عن الطبعة الهندية

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام القرطبي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا، دار الجليل - بيروت - لبنان ، طبعة

١٤٠٦ هـ .

- التصوف في حمأة

محمد بن أحمد العقلي ، دار البلاد - جدة ، ط ٢ .

- تعريف الخلف بمنهج السلف

د/ إبراهيم بن محمد البريكان ، دار بن الجوزي - الدمام ، ط ١ : ١٤١٨ هـ .

- التعليقات على كشف الشبهات

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، تعليق : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار أولي

النهي - بيروت ، ط ٢ : ١٤١٧ هـ .

- الشهيد في الرد على الملحدة والمعتلة ، والرافضة والخوارج والمعتزلة

للإمام محمد بن الطيب الباقلاني ، ضبطه وقدم له وعلق عليه : محمود محمد الحضري ،

ومحمد عبد الهادي أبو ريذة ، دار الفكر العربي - بيروت - لبنان .

- تقسيمات الواجب وأحكامه

د/ مختار بابا آذر ، راجعه ونشره : المحامي أحمد محمد عبد الله الشنقيطي ، ط ١ :

١٤١٤ هـ

- تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤٠٧ هـ .

- تفسير غريب القرآن

لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية -

بيروت ، ط ١٣٩٨ هـ .

- تفسر المنار

للشيخ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ط ٢ .

- تقريب التهذيب

للإمام أبي حجر العسقلاني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - دار المعرفة بيروت لبنان

- تمهيد التهذيب

للإمام أبي حجر السقلاني دار الفكر للطباعة والنشر ط ١ : ١٤٠٤ هـ .

- تيسير مصطلح الحديث

عمود الطحن مكتبة المعارف - الرياض ، ط ٩ ١٤١٧ هـ .

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشلفية في

الانتصار

للفرقة النجدة

أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤٠٦ هـ

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، مطبعة الحلبي - مصر ، ط ٣ ١٣٨٨ هـ .

- الجامع الصغير في أحاديث البشر النذير

جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- جامع العلوم والحكم

للإمام بن رجب البغدادي الدمشقي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط إبراهيم باجر ، مؤسسة

الرسالة - بيروت لبنان ، ط ٣ ١٤٢١ هـ .

- الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي

- حادي الأرواح

للإمام ابن القيم ، قدم له علي السيد صبح المدني ، مكتبة المدني - جدة

- حاشية الروض المربع

لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، ط ٤ : ١٤١٠ هـ .

- حاشية الأصول الثلاثة -

بقلم : عبد الرحمن بن محمد النجدي، الإدارة العامة للطبع والترجمة - الرياض، طبعة ١٤١١هـ .

- الحطة في ذكر الصحاح الستة -

للسيد صديق حسن خان القهوجي ، دراسة وتحقيق : حسن الجلي ، دار الجليل - بيروت،
ودار عمار - عمان ، ط ١ : ١٤٠٨هـ .

- الخور العين -

لنشوان الحميري ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي .

- الحيدة والاعتدال في الرد على من قال بخلق القرآن -

لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى الكنتاني ، حققه وعلق عليه : د. علي بن محمد ناصر
الفيهي ، طبعة ١٤١٢هـ .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء -

للمحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل -

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ : ١٤١١هـ .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور -

للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، ط : ٢ ،

١٤٠٣هـ .

- درء تعارض العقل والنقل -

لشيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها -

د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، مركز الدراسات والإعلام - دار إشييليا - الرياض ،

ط ١ : ١٤١٨هـ .

- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعية) -

د. أحمد محمد أحمد جلي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض ،

ط ٢ : ١٤٠٨هـ .

- الدياج المذهب لأبن فرحون

في معرفة أعيان علماء المذهب لرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي - دار
الكتب العلمية بيروت

- الدين الخالص

السيد محمد صديق النوجي ، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه : محمد سالم هاشم دار

الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ٥ : ١٤١٤ هـ .

- الرد على الجهمية والزنادقة ، مع مقدمة في علم الكلام والمذاهب الهدامة

للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق وتعليق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار اللواء - الرياض -

ط ١ : ١٣٩٧ هـ وط ٢ : ١٤٠٢ هـ .

- الرد على القائلين بوحدة الوجود

لعلي بن سلطان قاري ، دراسة وتحقيق : علي رضا بن عبد الله ، دار المأمون - دمشق

ط ١ : ١٤١٥ هـ

- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة

السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثانية .

- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

راجعة وأعد فهرسه : سيف الدين الكاتب ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ، ط ٣ :

١٤١٣ هـ .

- زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت ، طبعة ١٤٠٤ هـ /

١٩٨٤ م

- سلسلة الأحاديث الصحيحة

محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض ط ١ : ١٤١٢ هـ

- السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي

علي بن قاسم الفيفي ، ط ١ : ١٤١١ هـ .

- من أبي داود

للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث - دار الفكر مراجعة وضبط وتعليق محي الدين عبد

الحمي

- متن النسائي
- بشرح المحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- سر أعلام النبلاء
- للإمام شمس الدين الذهبي ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤١٧ هـ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
- عبد الحمي بن عماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان .
- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة
- سعيد علي القحطاني ، راجعه الشيخ : عبد الله الجبرين ، مؤسسة الجبريني - الرياض ، ط ٤ : ١٤١٦ هـ
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وممن بعدهم
- للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق : د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ
- شرح السنة
- للإمام البغوي ، تحقيق / رهر الشاويش ، وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ
- شرح صحيح مسلم
- للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، راجعه فضيلة الشيخ : خليل المس ، دار القلم - بيروت - لبنان .
- شرح العقيدة الطحاوية
- لابن أبي العز الحنفي ، حققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه ، وقدم له : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ .
- شرح الفقه الأكبر
- للإمام السمرقندي ، عني بطبعه ومراجعتها : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري .
- شرح القصيدة التوتية للإمام ابن القيم

شرحها وحققها : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ٢ :

١٤١٥ هـ .

- شرح نواقض التوحيد

أبي اسامة حسن بن علي العواجي ، مكتبة لينة - دمنهور - مصر ، ط ١ : ١٤١٣ هـ .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام ابن قيم الجوزية ، مكتبة السوادى - جدة ، ط ١ : ١٤١٢ هـ — و ط ٢ ك

١٤١٥ هـ .

- الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها

د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع ، دار أطلس - الرياض ، ط ١ : ١٤١٧ هـ .

- الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب

أحمد بن علوش مدخلي ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط ١ : ١٤١٤ هـ .

- الشيعة وأهل البيت

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ١٠ : ١٤١٥ هـ .

- الشيعة والتشيع

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ١٠ : ١٤١٥ هـ .

- الشيعة والقرآن

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ٧ : ١٤١٥ هـ .

- صبب العذاب على من صبب الأصحاب

لعمود شكري الألوسي ، دراسة وتحقيق : عبد الله البخاري ، مكتبة أضواء السلف -

الرياض ط ١ : ١٤١٧ هـ .

- صحيح أشراط الساعة

مصطفى أبو النصر الشلي ، مكتبة السوادى - جدة ، ط ٢ : ١٤١٨ هـ .

- صحيح البخاري
- للإمام عبد الله بن إسماعيل البخاري ، ضبطه ورقمه : د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير
- دمشق - بيروت ط ٥ : ١٤١٤هـ .
- صحيح الترمذي
- بشرح الإمام بن العربي المالكي ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- صحيح ابن حبان
- ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي تقدم كمال يوسف الحوت - دار الكتب
- العلمية بيروت - لبنان ط ١ : ١٤٠٧هـ
- صحيح سنن أبي داود
- صحيح سنن الترمذي
- محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج -
- الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ
- محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج -
- الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ
- صحيح سنن النسائي
- محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج -
- الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٩هـ
- صحيح مسلم
- للإمام حافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ،
- بيت الأفكار .
- الدولية - الرياض ، ١٤١٩هـ
- الصفات الإلهية بين السلف والخلف
- عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة لينة - دمنهور - مصر ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ .
- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام
- جلال الدين السيوطي ، تعليق : علي سامي النجار ، دار الكتب العلمية - بيروت -
- لبنان .

- ضوابط المعرفة

لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم - دمشق ، ط ٤ : ١٤١٤ هـ .

- طبقات الحفاظ

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق علي محمد عمر - مكتبة وهبه
القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

- العبودية

لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق : علي بن حسن الحلبي .

دار الأضالة - الإسماعيلية - مصر ط ٢ : ١٤١٦هـ .

- عقائد الثلاث والسبعين فرقة

لأبي محمد البميني ، تحقيق ودراسة : محمد بن عبد الله زريان الفاسمدي ، مكتبة العموم

والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ : ١٤١٤هـ

- العقيدة السلفية في كلام رب البرية

عبد الله بن يوسف الجديع ، دار العصيمي - الرياض ، ط ٢ : ١٤١٦هـ .

- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

د: صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ، ط ٣ :

١٤١٧هـ .

- العقيدة في الله

د: عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح - الكويت ، ط ٥ : ١٩٨٤م .

- عقيدة المؤمن

أبو بكر الجزائري ، دار الشروق - جدة ، ط ٥ : ١٤٠٧هـ .

- العلو للعلی الغفار

للإمام الذهبي ، اعتنى به : أبو محمد أشرف عبد المقصود

- علوم الحديث

لابن الصلاح ، تحقيق وشرح : نور الدين عمر .

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي المعروف بابن أبي أصيبعة شرح وتحقيق :

د. نزار رضا ، مكتبة الحياة - بيروت ، طبعة ١٩٦٥م .

- غياث الأمم في الغياث الظلم
لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق : د. عبد العظيم الديب ، مكتبة إمام الحرمين - قطر ،
ط ١ : ١٤٠٠ هـ .
- فتح الباري
للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فسواد
عبد الباقي قرأ أصله وأشرف على مقابلة نسخته : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الفكر .
- فتح القدير
للإمام الشوكاني ، دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد
الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد - الرياض ، ط ١ : ١٤٠٣ هـ و ط ٢ : ١٤١١ هـ .
- الفتح الرباني
ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - ترتيب وتأليف أحمد عبد الرحمن البناء - دار
الشهاب القاهرة .
- فرجة النظر
للشيخ أحمد شعفي المعافا .
- الفرق بين الفرق
لعالم عبد القاهر طاهر بن محمد البغدادي الإسفرايني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد
الحميد - المطبعة العصرية - بيروت ، طبعة ١٤١١ هـ ، و ١٤١٣ هـ .
- فرق معاصرة تنسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها
إعداد : غالب بن علي عواجي ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، ط ١ : ١٤١٤ هـ ، و ط ٢ :
١٤١٦ هـ .
- الفرقان بين الحق والباطل
لشيخ الإسلام أحمد بن عباس ابن تيمية ، وثقه وخرج أحاديثه : عبد القادر الأروؤوط ،
مكتبة دار البيان - دمشق - بيروت ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل
للإمام ابن حزم الظاهري ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصير ، د. عبد الرحمن عميرة دار
الجيل - بيروت - لبنان ، طبعة : ١٤٠٥هـ -
- فضائح الصرفية
عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة ابن تيمية - الكويت - ط ١ : ١٤٠٤هـ .
- فقه السنة
سيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الشرعية الثامنة .
- فقد جاء أشراتها
عمود عطية محمد ، تقدم الشيخ : حسين العرايشة ، رمادي للنشر - الدمام ، ط ١ :
١٤١٦هـ ، و ط ٢ : ١٤١٧هـ .
فوات الوفيات والذي عليها
محمد بن شاكر الكشي ، تحقيق الدكتور : إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ،
١٩٩٧م
- القضاء والقدر
محمد بن إبراهيم الحمد ، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز
- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة
لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دراسة وتحقيق : ربيع بن هادي عمير مدخلي ، مكتبة لينة
- دمنهور - مصر ط ١ : ١٤١٢هـ .
- القاموس المحيط
للفيروز آبادي ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- القدريّة والمرجئة نشأتها وأصولها وموقف السلف منها
د: ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الوطن - الرياض ، ط ١ : ١٤١٨هـ -
- القواعد الطيبات في الأسماء والصفات
ابن القيم ، الشنقيطي ، ابن عثيمين اعنى به وعلق عليه : أبو محمد أشرف عبد المقصود
مكتبة أضواء السلف - الرياض ، ط ١ : ١٤١٦هـ .

- القول المفيد

شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمعه وخرج أحاديثه : د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل ، د. خالد بن عبد الله المشيخ دار ابن الجوزي - الدمام ، ط ١ : ١٤١٨ هـ .

- الكامل في التاريخ

للإمام ابن الأثير الجزري ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١ : ١٤٠٧ هـ

- كتاب الأسماء والصفات

للإمام البيهقي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

- كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث

للإمام أبي شامة الشافعي ، ضبط نصه ، وقدم له ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه : مشهور حسن سليمان دار الراية - الرياض ، ط ١ : ١٤١٠ هـ .

- كتاب التعريفات

لعلي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤٠٨ هـ .

- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مده ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : د. علي بن ناصر الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ، ط ٢ : ١٤١٤ هـ .

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب

للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ، راجعه وعلق عليه : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤١٢ هـ .

- كتاب الحوادث والبدع

أبو بكر الطرطوشي ، تحقيق : عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان.

- كتاب الرد على المنطقيين

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دار ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ٢ : ١٣٩٦ هـ

- كتاب الرؤية

للإمام الدار قطني ، قدم له ، وحققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه : إبراهيم محمد العلي ، وأحمد فخرى الرفاعي ، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن ، ط ١ : ١٤١١ هـ .

- كتاب السنة
للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق ودراسة : د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ،
رمادى للنشر - الدمام ، ط ٢ : ١٤١٤ هـ ، وط ٣ : ١٤١٦ هـ .
- كتاب السنة
للإمام أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط ٢ :
١٤٠٥ هـ .
- كتاب الكبائر
للإمام الذهبي ، مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، طبعة ١٩٨٧ م .
- كتاب الإيمان
لمحافظ محمد بن إسحاق بن منده ، حققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه د. علي بن
ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤٠٧ هـ .
- كتاب تهذيب التهذيب
للإمام الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، ط ١ : ١٤٠٤ هـ .
- الكشف عن حقيقة الصوفية
عمود عبد الرؤوف القاسم ، دار الصحابة - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ .
- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية
عبد العزيز محمد السلطان ، شركة الراجحي للصرافة والتجارة ، ط ١٠ : ١٤٠١ هـ .
- كشف الغمة ببيان خصائص رسول الله ﷺ والأمة
أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل ، قدم له : الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة ابن
تيمية ، القاهرة ، ط ١ : ١٤١٤ هـ .
- لسان العرب
للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، دار صادر - بيروت - لبنان ،
ط ١ : ١٣٧٤ هـ .
- لسان الميزان
ابن حجر ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، طبعة ١٤٠٧ هـ .

- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد
للإمام ابن قدامة المقيشي ، شرح : محمد بن صالح العثيمين حققه وخرج أحاديثه أشرف
عبد المقصود ، مكتبة طيرية/الرياض ، ط ٣ : ١٤١٥ هـ .
- لوائح الأنوار السنية ولواقع الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية ، في عقيدة أهل
الآثار السلفية .
- للإمام محمد بن أحمد السفاريني ، دراسة وتحقيق : عبد الله بن محمد سليمان البصري مكتبة
الرشد - الرياض ، ط ١ : ١٤١٥ هـ .
- لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، بشرح الدرر المضية في عقيدة الفرقة المرضية
للعامة محمد السفاريني الحنبلي ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤١١ هـ .
- الماتريديّة
- أحمد بن عوض الله الحربي ، دار العاصمة - الرياض ، ط ١ : ١٤١٣ هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
- للمحافظ نور الدين الهيثمي بتحرير المحافظين الجليلين العراقي وأبن حجر - مؤسسة المعارف
- بيروت لبنان ط ٦ ١٤٠٦ هـ
- مجموعة الرسائل والمسائل
- لشيخ الإسلام أحمد بن عباس بن تيمية ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ :
١٤٠٣ هـ .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية
- جمع وترتيب : عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد ، دار العربية - بيروت - لبنان ، ط ١ :
١٣٩٨ هـ .
- المحاضرات السنية
- الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، حقق نصوصه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه : أشرف بن
عبد المقصود .
- مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة
- للإمام ابن قيم الجوزية ، اختصره الشيخ : محمد بن الموصلي ، مكتبة الرياض الحديثة -
الرياض .

- مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية
اختصره : الشيخ عبد الله الغنيان ، دار لينة للنشر والتوزيع دمنهور ، ط ٢ : ١٤١٥ هـ .
- مدارك السالكين
للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان .
- مرآة الجنان وغير الزمان
للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ، ط ٢ : ١٣٩٠ هـ .
- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة
جمع وتحقيق ودراسة : د: عبد الله بن سليمان الأحمد ، دار طيبة - الرياض ، ط ٢ : ١٤١٦ هـ .
- المستدرك على الصحيحين
للإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - دار الكتاب العربي بيروت
- مسند الإمام أحمد بن حنبل
دار الفكر - بيروت - لبنان
- المسند للإمام أحمد بن حنبل
بشرح أحمد شاكر ، دار المعارف - مصر ، ط ٣ : ١٣٦٨ هـ . د .
- مشكاة المصابيح
لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي
بيروت ط ٣ : ١٤٠٥ هـ
- مبرع التصوف
للعلماء برهان الدين البقاعي ، تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل ، إدارة البحوث العلمية
والإفتاء - الرياض ، ط ١ : ١٤١٥ هـ .
- المعجم الكبير
للمحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد
السلفي - دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان ط ٢ : ١٤٠٤ هـ .

- مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين
لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية -
القاهرة ، ط ٢ : ١٩٦٩ م .
- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
تصنيف الإمام المحدث المحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية -
بيروت - لبنان
- مار السيل في شرح الدليل
إبراهيم بن سالم ضويان ، مكتبة المعار - الرياض ، ط ٢ : ١٤٠٥ هـ .
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه : عمر بن محمود
أبو عمر ، دار ابن القيم - الدمام ، ط ١ : ١٤١٨ هـ .
- معجم الأدباء
لباقوت الحموي ، دار الفكر ، ط ٣ : ١٤٠٠ هـ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ٤ : ١٤١٤ هـ .
- المعجزة وكرامات الأولياء
لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ .
- الملل والنحل
للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : أمين علي مهنا ، وعلي حسن ناعور
دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ٤ : ١٤١٥ هـ .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - دائرة المعارف
العثمانية حيدر آباد الدكن الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ .
- من معجزات النبي ﷺ
عبد العزيز أحمد سلمان ، ط ١٦ : ١٤١٠ هـ .

- منهاج السلامة في ميزان القيامة
لابن ناصر الدين الدمشقي ، تحقيق وتعليق: مشعل المطيري ، دار ابن حزم - بيروت -
لبنان ، ط ١ : ١٤١٦ هـ .
- منهاج الحسنة النبوية
لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم ط ١ : ١٤٠٦ هـ .
- منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة
سعود بن عبد العزيز الدعحان ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ط ١ : ١٤١٦ هـ
- منهج السلف في الأسماء والصفات
شاكر بن توفيق العاروري ، رمادي للنشر - الدمام ، ط ١ : ١٤١٧ هـ .
- موسوعة الحديث الشريف
جمع بعض طلبة العلم ، إشراف ومراجعة : فضيلة الشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
دار السلام - الرياض ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ .
- الموطأ
للإمام مالك بن أنس ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقى
، دار الحديث - القاهرة .
- ميراث الاعتدال في نقد الرجال
للإمام الذهبي ، تحقيق علي بن محمد البحاري دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ١ :
١٩٦٣ م .
- النوات
لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، دار الريان - مصر ،
ط ١ : ١٤٠٥ هـ .
- المحرم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن نفع الطيب
- نفع الطيب
من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني - دار الفكر بيروت -
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأكرم المرسلين
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما لقد اشتمل هذا البحث (الجمهرة الفريدة في تحقيق العقيدة دراسة وتحقيقاً وشرحاً)
على مقدمة وقسمين وعائلة.

وقد تناولت في المقدمة أسباب اختيار هذا البحث والخطبة التي اتبعتها فيه وتناولت في
القسم الأول دراسة لحياة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي مؤلف هذه المنظومة.

وقد اشتمل هذا القسم على عدة مباحث، تناولت في المبحث الأول التعريف بالشيخ
حافظ الحكمي من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته وصفاته وشيوخه، وتلاميذه وآثاره
العلمية، ثم وفاته ورثاء العلماء له.

وتناولت في المبحث الثاني منهج الناظم في تقرير العقيدة.

وفي المبحث الثالث عرفت بالجمهرة الفريدة وأهم موضوعاتها.

وفي المبحث الرابع تناولت منهج الناظم الذي اتبعه في هذه المنظومة.

وفي المبحث الخامس تناولت مصدر المؤلف التي اعتمد عليها.

وفي المبحث السادس ذكرت موقف الناظم من المبتدعة.

أما القسم الثاني من هذا البحث فقد كان عبارة عن تحقيق وشرح لهذه المنظومة الفريسة التي تناول أغلب عرى الإسلام وتبينها بياناً شافياً، وتفند ما قاله أعداء الإسلام من مقالات وبدع مستحدثة.

وقد اشتمل هذا القسم على عدة مباحث تناولت من خلالها وصفاً للنسبعة المخطوطة والمطبوعة المعتمدة في التحقيق والشرح وذكرت فيها نظم الجوهرة الفريسة كاملاً، ثم تناولت أبواب هذا النظم بالتحقيق والشرح مستدلة على ذلك بما تيسر من أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة لبعض أقوال السلف الصالح في بعض المواضع التي تحتاج لذلك.

كما تناولت شبه المخالفين لأهل السنة والجماعة، وذكرت ما يطلوها ويرد عليها ثم تناولت بالشرح شيئا من أمور الشرع وأصول الفقه وذلك حسبما ورد في آيات المنظومة. ثم ذكرت في نهاية البحث بعض التوصيات التي رأيت أنها نافعة في هذا المجال. ثم ختمت البحث بذكر بعض الفهارس التي اشتمل عليها البحث.

والحمد لله رب العالمين

الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة

للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

(دراسة وتحقيق وشرح)

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير

تخصص عقيدة

إعداد الطالبة

مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي

إشراف أ. د. علي محمد ناصر فقيهي

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار الشريف للنشر والتوزيع

للمراسلات ص.ب ٥٨٢٨٧ الرياض ١١٥٩٤

هاتف وفاكس ٤٧٣١٤٦١

البريد الإلكتروني daralsharief@yahoo.com

ح) دار الشريف للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكمي ، حافظ بن أحمد

الجوهرية الفريدة في تحقيق العقيدة / حافظ بن أحمد الحكمي ؛

مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي - الرياض ، ١٤٢٥هـ

٣٩٤ ص ٢٤ × ١٧ سم

ردمك : ٣ - ٧٩ - ٨٦٦ - ٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية ١- مدخلي ؛ مريم طاهر أحمد

ب- العنوان

طالبي (محقق)

١٤٢٥/٦٥٣

ديري ٢٤٠

رقم الايداع ١٤٢٥/٦٥٣

ردمك. ٣-٧٩-٨٦٦-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الشريف للنشر والتوزيع

للمراسلات ص.ب ٥٨٢٨٧ الرياض ١١٥٩٤

هاتف وفاكس ٤٧٣١٤٦١

البريد الإلكتروني daralsharief@yahoo . com



بسم الله الرحمن الرحيم



الجامعة الإسلامية

الرئاسة العامة لتعليم البنات
الإدارة العامة لكتابات البنات
 بالمنطقة الغربية - جدة
 كلية التربية للبنات - بجدة
 الأقسام الأدبية
 مكتب الدراسات العليا

الرقم :
التاريخ :
ملاحظات :

إعتماد لجنة المناقشة والحكم

نوقشت رسالة الطالبة : مريم بنت طاهر طالبى مدخلى

بتاريخ ١٥/٢/١٤٢٢هـ الموافق ٩/٥/٢٠٠١م .

وتكونت لجنة المناقشة والحكم من الأسفذة :

الاسم	الوظيفة	التوقيع
أ.د. على محمد ناصر الفقيهي.	أسفاذ العقيدة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة . " مشرفاً على الرسالة "	
د. محمد ربيع هادي مدخلى.	الأسفاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية قسم العقيدة . " متحناً خارجياً "	
د. زينب محمد رجاء الله الحربي.	الأسفاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية لدينا بالكلية . " متحناً داخلياً "	

قرار اللجنة : منح الطالبة درجة : الماجستير بتقديم :

تاريخ موافقة مجلس الكلية على المنح : | | ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

عميدة كلية التربية للبنات بجدة

بإعتماد

وكيلة الكلية للدراسات العليا

" د. جوهرة بنت مسعود بن محمد المقاطي

" د. ثريا محمد عطيه الفقمي "

ختم الكلية

تصريح

شكر وعرفان

بكل التقدير والإمتنان أقدم بالشكر الجزيل لكل من كان له يد في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر والذي العزيز الذي رعاني بتربيته وإحسانه وتابع دراسي في كل مراحل الدراسة لاسيما في مجال العقيدة حيث كانت دراسي الابتدائية والمتوسطة في ثلاث دول مختلف منهج العقيدة فيها عن منهج أهل السنة والجماعة فكان والذي بحق الموجه والمرشد لمنهج أهل السنة والجماعة فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أما هذا البحث فكانت له اليد الطولى في إنجازه وذلك من خلال توجيهاته وتوليه كافة المراجع المطلوبة له فجزاه الله خيراً وجعله في ميزان حسناته.

كما أقدم شكري وتقديري لأمي الحبيبة التي رعنتي وربنتي على الأخلاق الفاضلة وهيات لي كل الأجواء المناسبة لإنجاز هذا البحث ، فشكراً لها على ما بذلت ورعت وربت وجزاها الله عني خير الجزاء .

كما أقدم شكري وتقديري لزوجي العزيز الذي ساعدني في إنجاز هذا البحث بوقته وجهده فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أقدم بالشكر الجزيل لكلية التربية بمجدة عمادة وأساتذة وإدارة هذه الكلية التي فتحت لي أبوابها طالبة للعلم في مرحلة الماجستير في قسم العقيدة. هذا القسم الذي تشرفت بالانتماء إليه.

كما أقدم الشكر الجزيل للأستاذ الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي المشرف على هذا البحث الذي لم يرض علي بوقته وعلمه وملحوظاته فكان نعم الأستاذ ونعم المعلم.

كما أقدم الشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين المناشرين لهذه الأطروحة وهما:

١- الدكتور محمد ربيع مدخلي - الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٢- الدكتورة زينب محمد الحربي - أستاذ مساعد بكلية التربية للبنات بمجدة

على لهما مناقشة هذا البحث وتكبدتهما عناء القراءة والإطلاع عليه وإبداء ما يريانه من ملحوظات ، وستكون للمحوظات كما كبير الأثر في نفسي وزيادة معلوماتي إن شاء الله .

كما أقدم شكري لجميع الأنصوات اللواتي وقفن إلى جانبي في إنجاز هذا البحث.

إلى هؤلاء وغيرهم ممن سدوا وقاربوا شكري وتقديري، فجزاء الله الجميع عني خير الجزاء.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر وعرفان
١	مقدمة الباحثة
	القسم الأول: الدراسة
٦	المبحث الأول التعريف بالشيخ حافظ ولله مطالب
٦	المطلب الأول اسمه ونسبه وقيته
٨	المطلب الثاني مولده ونشأته
٩	المطلب الثالث صفاته الخلقية والخلقية
١١	المطلب الرابع نبوغه وأسبابه
١٢	المطلب الخامس شيوخه
١٥	المطلب السادس تلامذه
١٩	المطلب السابع آثاره العلمية
٢٥	المطلب الثامن وفاته وراث العلماء له
٢٧	المبحث الثاني منهج المؤلف في تقرير العقيدة
٢٨	المبحث الثالث التعريف بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها
٢٨	المبحث الرابع منهج المؤلف فيها
٢٩	المبحث الخامس مصادر المؤلف التي اعتمد عليها
٢٩	المبحث السادس موقف المؤلف من المبدعة
	القسم الثاني : (التحقيق والشرح)
٣٠	المبحث الأول النسخة المخطوطة والمطبوعة المحتمدة في التحقيق والشرح ولله مطالب
٣١	المطلب الأول نظم الجوهرة الفريدة
٤٦	المطلب الثاني غطية المؤلف
٥١	المطلب الثالث مقلمة في براعة المتبعين من جراءة المبدعين والتراءات المبدعين
٨٣	المطلب الرابع أبواب أمور الدين
٩٠	المبحث الثاني باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته ولله مطالب
	المطلب الأول أنواع التوحيد
٩٨	المطلب الثاني حديث المؤلف عن صفة الطو
١١٢	المطلب الثالث فصل في الشرك الأكبر

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع باب الإيمان بالملائكة	١٣٢
المبحث الخامس باب الإيمان بحسب الله المولا	١٤٠
المبحث السادس باب الإيمان بالرسول عليهم السلام	١٥٨
المبحث السابع باب الإيمان باليوم الآخر	١٦٩
المبحث الثامن باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل	٢٢٦
المبحث التاسع باب الإيمان بالقدر غيره وشره	٢٣٥
المبحث العاشر بمجمل أركان الإسلام	٢٥٣
المبحث الحادي عشر جامع وصف الإحسان	٢٦٢
المبحث الثاني عشر باب نواقض الإسلام أعادنا الله منها	٢٦٥
المبحث الثالث عشر باب شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق	٢٧٠
المبحث الرابع عشر باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي	٢٨٢
المبحث الخامس عشر باب التوبة وحروطها	٢٨٥
المبحث السادس عشر باب حكم السحر والكهانة والتنجيم والقطر والاستسقاء والعين	٢٨٨
المبحث السابع عشر باب حكم الرقي والتعليق	٢٩٤
المبحث الثامن عشر باب الخلافة وعمة الصحابة وآل البيت	٢٩٥
المبحث التاسع عشر باب وجوب طاعة أولي الأمر	٣٠٦
المبحث العشرون باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٠٩
المبحث الحادي والعشرون باب الشرع وأصول الفقه	٣١١
خاتمة البحث	٣٣٣
الفهارس	
فهرست الآيات	٣٣٥
فهرست الأحاديث	٣٥١
فهرست الآثار	٣٥٨
فهرست الأعلام	٣٥٩
فهرست المراجع	٣٦٢
فهرست الموضوعات	